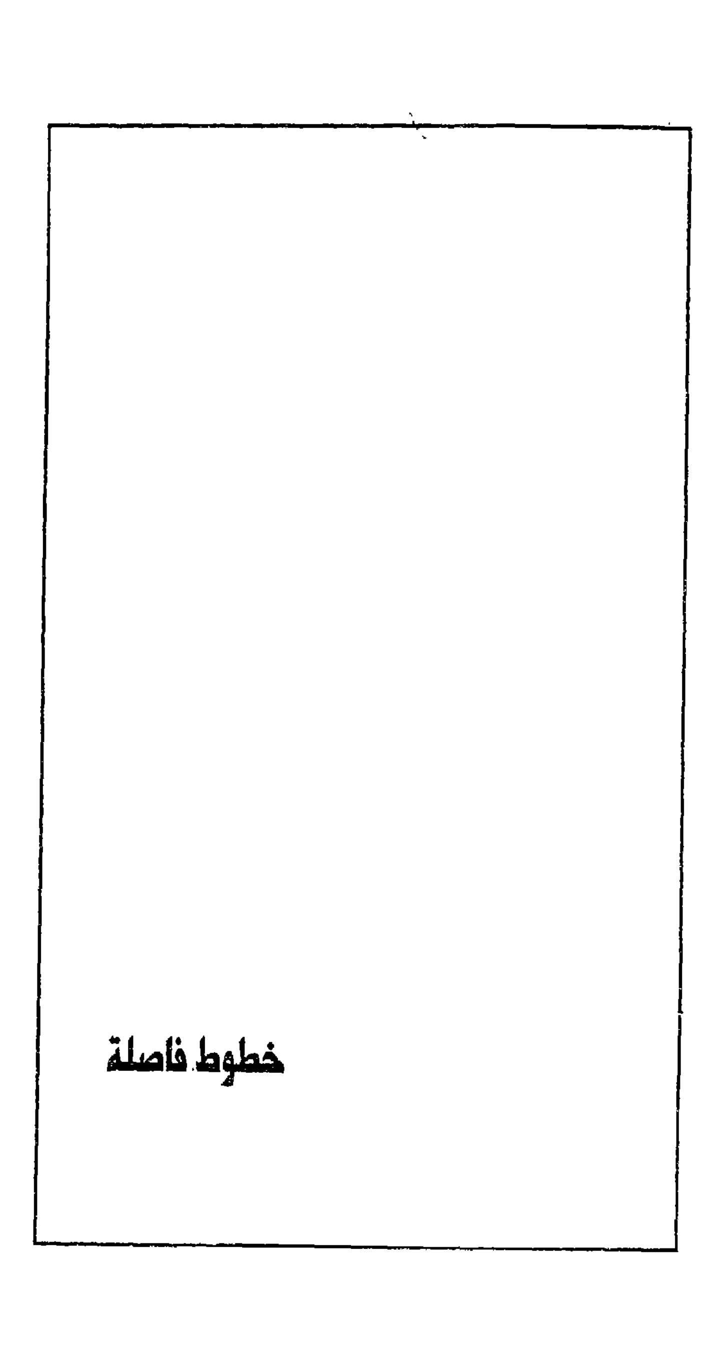
خطوط فاصلة

سمير رجب


خطوط فاصلة



مهرجان القراءة للجميع ٩٧

مكتبة الأسرة

برعاية السيدة سوزان مبارك

(الأعمال الخاصة)

خطوط فاصلة
سمير رجب

الغلاف
الإشراف الفني:
للفنان محمود الهندى

المشرف العام
د. سمير سرحان

الجهات المشتركة:
جمعية الرعاية المتكاملة المركزية
وزارة الثقافة
وزارة الإعلام
وزارة التعليم
وزارة الإدارة المحلية
المجلس الأعلى للشباب والرياضة
التنفيذ: الهيئة المصرية العامة للكتاب



مقدمة

وهكذا تمضى مسيرة مكتبة الأسرة لتقدم فى عامها الرابع تسع سلاسل جديدة تضم روائع الفكر والإبداع من عيون كتب الآداب والفنون والفكر فى مختلف فروع المعرفة الإنسانية، تروى تعطش الجماهير للثقافة الجادة والرفيعة، وتنضم إلى مجموعة العناوين التى صدرت خلال الأعوام الثلاثة الماضية لتغطى مساحة عريضة من بحور المعرفة الإنسانية، ولتقطع بأن مصر غنية بتراثها الأدبى والفكرى والإبداعى والعلمى، وان مصر على مر التاريخ هى بلاد الحكمة والمعرفة والفن والحضارة .. عبقرية فى المكان وعبقرية الإبداع فى كل زمان.

سوزان مبارك

على سبيل التقديم...

مكتبة الأسرة ٩٧ رسالة إلى شباب مصر الواعد تقدم صفحات متألقة من متعة الإبداع ونور المعرفة مصدر القوة فى عالم اليوم..

صفحات تكشف عن ماضينا العريق وحاضرنا الواعد وتستشرف مستقبلنا المشرق.

د. سمير سرحان

إهداء

إلى الشمس..

التى لا يقدر كائن من كان

على حجب ضوئها..

أهدى هذا الكتاب

سمير رجب

مقدمة

الحلال بين.. والحرام بين..

وفرق كبير بين الصواب، والخطأ.. وبين الحق، والباطل.. وبين الواقع والحلم.. وقد وهبنا الله سبحانه وتعالى من أسلحة العلم، والمعرفة، واليقين.. ما يجعلنا قادرين على مواجهة الزيف وعلى مناهضة الضلال من أجل أن يسود الجمال.

لكن لأن الحياة لاتخلو من حلوها ومرها .. فإن المسئولية تحتم علينا.. أن نعمل، ونجتهد، ونحاول الوصول إلى الأفضل.. وفى النهاية لابد أن نعترف بالحقيقة التى تقول إن الكمال لله وحده.

* * *

من هنا ربما يثور سؤال مهم:

.. ولماذا خطوط فاصلة..؟!

الإجابة باختصار:لأنى أريد أن أصل إلى لب الحقيقة من أقصر الطرق.. بلالف أو دوران.. ولاتحيز ولا مجاملة..

أريد أن يعترف الخطأ.. بأن المكان ليس مكانه.. وأن يدرك الحلم.. أن الاستغراق فى الخيال لا يأتى بالهدف المنشود.

* * *

لقد خضت معارك عاتية.. وتعرضت لأزمات عنيفة وكنت مثارا لهجوم ضار من جانب قوى عديدة.. لكن لأن الله سبحانه وتعالى يعرف مكنونات نفسى.. فقد زادنى ايمانا فوق ايمان، وثقة فوق ثقة.. ألهمنى أن أتحدث بلسان المظلوم، وأن أقف فى وجه الظالم أيا كان موقعه.. وأحذر الغرور.. من يوم آت.. لا ملاذ فيه ولا مأوى.!

* * *

ادعوا.. بأنى كاتب السلطة.. لكنك حينما تطالع هذا الكتاب بتمعن.. سوف تدرك أن كل ما يروجونه ليس إلا زورا وبهتانا.

حاولوا.. افتعال وقيعة بينى وبين أعز ما أملك.. قرائى.. زاعمين بأنى لا أتحدث سوى عن الصفوة.. فإذا بالتجربة العملية والتى سوف تلمسها من خلال سطور الكتاب.. تؤكد أن رصيدى فى الحياة هم أهلى وأخوتى البسطاء من الناس الذين أعتز وأفخر بأنى واحد منهم ولدت وتربيت ونشأت فى أحيائهم الشعبية الدافئة.

* * *

إن هذه «الخطوط الفاصلة».. وجبة دسمة.. أرجو أن تقبل عليها وأنت مطمئن إلى أنها تحتوى على أهم عناصر الغذاء العقلى.. ومع ذلك فأنى راض بحكمك سعيد مسبقا برأيك.

المؤلف

تحريرا فى أول يونيو ١٩٩٧

اشهد .. ياتاريخ

ما أسعدنى - ولابد أنه يسعد كل مصرى - حينما أعلن الرئيس حسنى مبارك .. بأن مصر أصبحت تسدد لأول مرة ثمن القمح الذى تستورده نقدا .. وبالدولار.

إن هذا الخبر يحمل فى طياته دلائل عديدة .. أهمها: -

- أولا: نجاح سياسة الإصلاح الاقتصادى
- ثانيا: توفير فوائد الأقساط
- ثالثا: تأكيد نظرة العالم للمصريين.. على أساس أننا قوم جادون نؤمن بما نفعل.. قادرون على تخطى الصعاب، والعقبات مهما كانت الظروف.

● ● ●

لقد كنا حتى سنوات قليلة مضت.. لا نملك دولارا واحدا فى البنوك.. يغطى احتياجاتنا من السلع الأساسية.. وعلى رأسها

القمح.. وطالما بذلت الحكومة «جهودا مستميتة».. لتجمع العملة الصعبة من الأسواق.. حتى لايتعرض الشعب لكارثة محققة.

الآن تغيرت الصورة.. وأصبحنا نمارس «السعر».. ونحن فى المركز الأقوى... لأن البائع دائما يلهث وراء المشترى الجاهز.. وبصراحة.. لقد تحولنا إلى مشترين جاهزين - والحمد لله -

•••

مشكلتنا .. أننا ننسى بسرعة.. فنحن مثلا نرفض أن نرجع بذاكرتنا إلى الوراء.. عندما كنا نقف فى طوابير طويلة.. للحصول على كيلو سكر، أو باكو شاى، أو «كيس» دقيق، أوزجاجة زيت، أو عشرة أرغفة ساخنة.. من «الفرن»..!

وقتئذ.. لم تكن الأموال متوفرة لدينا.. لكى ندفع للموردين حقوقهم.. وبالتالى لم يكن أمام الحكومة مبرر تغطى به ماء وجهها أمام المواطنين.

•••

الآن توفرت السلع - كافة السلع - بلا استثناء.. واختفت ظاهرة الطوابير تلك الظاهرة غير الحضارية التى شوهت سمعتنا على مدى سنوات طويلة ولم يعد المواطن سواء فى القرية، أو المدينة يعانى فى سبيل الحصول على احتياجاته.

•••

من هنا.. يمكن القول إن بشائر نتائج الإصلاح الاقتصادى قد بدأت بالفعل.. لأن مايجرى على أرض الواقع يؤكد ذلك.. ولو

كنا قد تأخرنا قليلا فى تنفيذ إجراءات الإصلاح.. ما وجدنا طعاما، أو شرابا.. ولأصبحت سيرتنا على كل لسان فى العالم.

●●●

وبعد..

فلتشهد يا تاريخ.. أن سنة ١٩٨١ كانت فاتحة خير لتغيير وجه الحياة على أرض مصر.. إنها الشعلة التى انطلقت منها مسيرة العمل، والاستقرار، والأمل.. وسوف تستمر بنفس الدفعة مادامت الارادة.. قوية.. والسرائر نقية خالصة.. والشعب ملتحم مع قائدة.

الحرية.. الصحيحة

من بين بنود دستوره التى صاغها بقلب مؤمن نقى.. وبعقل راجح متطور.. متفتح على العالم بأسره.. أكد الرئيس حسنى مبارك - أن الحرية الصحيحة هى التى تحفظ كرامة الفرد، وتصون نظام المجتمع، وتصلح أمر الأمة.. إنها الحرية الملتزمة.. البعيدة عن التحكم، والتسيب.

●●●

نعم.. ما أغلى الحرية قيمة، ومعنى فى نفوسنا جميعا.. لكن يجب أن نعترف بأن سلوك الكثيرين منا حتى الآن - للأسف - يتناقض تناقضا كاملا مع هذه القيمة.. وتلك المعانى..!!

ليست الحرية أبدا.. أن تسيطر المصلحة الذاتية على المصالح العامة.. أو أن تختلط الأوراق بعضها مع بعض بحيث يتعذر على الجماهير التمييز بين ما هو صواب.. وما هو خطأ.. أو بين ما هو حق.. وما هو باطل.

ليست الحرية أبدا.. أن يفرض فرد أو مجموعة أفراد رأيهم بالضغط، وبالقهر، وبالصوت العالى.. حتى يجبروا الآخرين على الصمت.. والانصياع إلى أفكارهم المريضة.

ليست الحرية أبدا.. فى تشويه كل صورة مضيئة.. وفى التعريض بحرمات الناس.. والمتاجرة بأسرارهم.. أو ممارسة أى لون من ألوان الابتزاز.. دون مراعاة لدين، أو ضمير، أو أخلاق.

●●●

لقد لخص الرئيس مبارك مفهوم الحرية الملتزمة.. فى عبارات محددة، وواضحة:

«إنها الحرية التى لا اعتداء فيها على حق الغير، ولا تجاوز يسئ إلى مصلحة المجموع، ولا إخلال بين التوازن المطلوب بين المصالح المختلفة.. وهى التى تضمن ألا تتحول الأوضاع إلى همجية مدمرة تنذر بأوخم العواقب.. وتهدد المجتمع بالعودة إلى الوراء.. والقضاء على المكاسب التى حققها الشعب على طريق الديموقراطية»..!!

●●●

بالله عليكم.. من منكم لديه الاستعداد.. لكى نرتد إلى سنوات مظلمة كئيبة.. سيطرت فيها دكتاتورية الحاكم الأوحد، والحزب الأوحد، والصحفى الأوحد..؟!

.. ومن منا يوافق على التفريط فى حيز ضئيل من مظلة الأمان التى تظلنا جميعا .. والتى توفر لنا الاستقرار، والأمان، وتزودنا بسلاح الشجاعة الذى نواجه به كل من تسول له نفسه .. لكى يتقمص شخصية زائر الفجر الذى طالما هاجم مخادعنا .. وقض مضاجعنا ..؟!

●●●

طبعا .. من المحال .. أن نقذف بحاضر أمة، ومستقبل أجيال فى أتون نار حامية .. قد لا تبقى ولاتذر ..!

●●●

أيضا .. يركز الرئيس على «أمانة الكلمة» مناشدا عدم توظيف الكلمة للتضليل، أو المزايدة، أو التزييف .. منبها إلى أنها شرف، ورسالة .. ومحذرا من التضليل باسم الدين، ومن التخريب باسم الحرية، ومن الإفساد باسم الديموقراطية، ومن الكذب والتزييف باسم الصدق، والحق.

عين الدولة ساهرة

من حق كل مواطن مصرى أن يزهو، ويفخر.. بما يكرره رئيس الجمهورية دوما عنه.. إن الرئيس مبارك.. يعتز أيما اعتزاز بأبناء بلده، ويعتبرهم.. خير أبناء الدنيا.. وأفضل ما أنجبتهم البشرية.والرئيس لا يقول هذا.. مجاملة، أو تحيزا.. بل له أسانيده، وحججه، ونظرته المتعمقة، وتجربته الواقعية.. منذ بداية نشأته وحتى اليوم.

●●●

فى اجتماع مع الكتاب، ورؤساء تحرير الصحف.. أعلن الرئيس مبارك: «رغم تلك الحوادث الفردية التى تقع أحيانا ـ شأننا فى ذلك شأن كل دول العالم ـ إلا أننى أستطيع أن أؤكد عن قناعة كاملة.. بأن مصر نظيفة، ونظيفة جدا.. والرجل المصرى.. رجل قيم، ومبادئ، والفتاة المصرية، أو المرأة المصرية.. شريفة، وطاهرة، وعزيزة».

●●●

بصـراحـة.. لقـد أثلجت كلمـات الـرئيس قلبى.. إذ جـاءت فى وقت.. تبارت فيه الصحف القومية والحزبية ـ للأسف ـ فى نشر حوادث الاغتصاب، والسرقة، والسلب، والنهب، وكأن الناس جميعا متفرغون لما يغضب الله.. وما يتنافى مع قيم المجتمع، وتقاليده، وعـاداته.. فى حين أن مـاجرى لايشكل أبدا.. حـتى مـجـرد جـزء يسـيـر فـى ظاهرة.. لأن بيـوتنا ـ والحـمـد لله ـ عـامـرة بالايمان.. نابضـة بالحب.. تظللنا جـمـيـعـا.. مظلات التـعـاطف الوجـدانى، والمودة، وصلة الرحم.

●●●

.. وهكذا.. حسنى مبارك دائما.. يزرع فى النفوس الأمل فى وقت يشتد فيه الكرب.. يؤكد الثقة عندما تلوح فى الأفق غيامات التـردد، والاهتـزاز.. يشـعل نور الحـقـيـقـة.. لكـى يبـدد ظـلامـات الضلال والبهتان..!!

●●●

إن وقوع حادثة أو حـادثتين لا يعنى نهاية العالم.. فنحن شعب يضم سـتين مليـونا.. مـتـعـددى المشـارب، والأمـزجـة، والألوان، والاتجاهات.. وليس منطقـيا أبدا.. أن يعم الخير كل الأرجاء.. وإلا فنحن نعاند نظام الكون.. الذى يحتم تواجد النقيضين.

●●●

وفى النهاية تبقى كلمة:

ربما تكون الأسرة المصرية قد أصابها الفزع فى الآونة الأخيرة.. من حجم مانشر من أخبار، وتحقيقات عن قضايا شاذة.. ثبت بالدليل القاطع - بعد أن بدأت النيابة العامة تحقيقاتها - أن كثيرا من وقائعها غير صحيحة.. وطبعا أى أسرة معذورة.. وأى أب لابد أن ينتابه القلق على بناته.. وأى أم من حقها أن تطمئن إلى أن فلذات كبدها يتمتعن بالحماية.. سواء فى الشارع.. أو فى المدرسة.. أو فى مقر العمل.

لذلك.. عندما يجئ الرئيس مبارك.. ليؤكد أن عين الدولة ساهرة.. وأن أمن البنت، والولد.. محل الرعاية النشطة.. وأن جرائم الفساد.. من المحال أن يفلت مرتكبوها.. فهذا يعيد تأكيد الثقة فى نفوسنا خصوصا وأن الرئيس أعطى المواطن المصرى حق قدره من حيث الخلق الحميد، والأصالة، وعمق الانتماء.

١٩٩٢/٤/٣

.. وعلت كلمة الحق

ليس غريبا .. أن تستقبل مصر ممثلة فى الرئيس مبارك هذا الاستقبال الدافىء جدا .. فى دولة الامارات العربية .. فالعلاقة التى تربط بين الشعبين وطيدة ووثيقة .. والمشاعر التى تجمع بين القائدين فياضة .. ونقية .. ومتجردة عن الهوى

•••

إن الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رئيس دولة الامارات .. يرى فى مصر .. الوفاء بأجلى معانيه .. والتفانى الذى يتخطى كل الحدود والحرص على المصلحة العربية دون ما أدنى غرض.

والشيخ زايد يكرر دوما .. بأن الرئيس مبارك قد وهبه الله لأمته العربية .. لكى يحقق لشعوبها أمانيها .. ولكى يرعى بحكمته، وبصيرته، ولسانه العف، وقلبه الطاهر .. مسيرة أبنائها .. حتى يحقق بهم ومعهم مايصبون إليه.

•••

على الجانب الآخر.. يرى الرئيس مبارك فى الشيخ زايد بن سلطان.. الأصالة بكل قيمها، والعطاء بشتى صوره.. فالرجل ثابت على مبدئه منذ قديم الزمان.. لم تغيره مظهرية المنصب.. ولم يحول من اتجاهه.. أى عرض دنيوى زائل.

ومن هنا.. تعانق القلبان.. وتكاتفت الأيدى الأربع.. فوضعت بنود دستور أخلاقى بين الزعيمين، والشعبين تؤكد حتمية التضامن، والتلاحم.. إلى أقصى مدى.

●●●

لقد كان الشيخ زايد فى زيارة لمصر منذ فترة قليلة مضت.. تبادل خلالها مع الرئيس مبارك الرأى حول «الهموم العربية».. وهى كثيرة ومتنوعة.. لكن من أهم سمات الزعيمين.. أنهما لايفقدان الأمل أبدا.. طالما هناك حياة.

أتى الشيخ زايد.. فى وقت اعتدت فيه ايران «الجارة المسلمة» على أراضى دولة الامارات.. حيث احتلت ثلاث جزر هى أبو موسى، وطنب الصغرى، وطنب الكبرى.. ولأن الزعيمين على بينة كاملة من تعاليم دينهما الحنيف.. ولأنهما حريصان على عدم إراقة دم المسلمين مهما كانت الظروف.. فقد وجدا أنه من الأصوب.. اتاحة الفرصة لإيران كى تثبت حسن نواياها.. مؤكدين.. أن المفاوضات.. أهم طريق لحل المشكلات.. باعتبار أن السلام هو الباقى..أما الحرب.. فهى الخراب، والدمار.

●●●

وعندما جاء الرئيس مبارك إلى دولة الامارات.. مقدما الدعم، والمساندة، والتأييد، والمودة الصادقة.. لرئيس الدولة، وشعبها. جاء الرئيس ليؤكد.. أن أمن الامارات.. مثل أمن السعودية .. مثل أمن البحرين.. مثل أمن قطر.. أمن لمصر.

ومن جديد علت كلمة الحق مدوية تعلن فى شجاعة وجرأة.. أن الاعتداء على إرادة الشعوب، والتدخل فى شئونها.. مرفوضان.. مرفوضان.

●●●

لقد تسبب صدام حسين ـ لاسامحه الله ـ فى أن يجعل من الخليج لقمة سائغة لأى طامع.. لكن يكفى أن الجميع يدركون ـ والحمد لله ـ حقيقة مهمة تقول.. إن مصر القوية بشعبها، وزعيمها.. هى التى ترد كيد المعتدين.. وتحول بين المغامرين.. وبين ممارسة غيهم وضلالهم.

١٩٩٢/١٠/١٢

ارقى دبلوماسية

نجحت مصر ـ بفضل قيادة الرئيس مبارك ـ فى أن تضع نموذجا يحتذى فى العلاقات السياسية الدولية .

لقد أرسى مبارك ـ لأول مرة فى تاريخ هذه العلاقات ـ مبدأ «الوجه الواحد» .. وهو مبدأ أخلاقى لم يكن أحد يعترف به من قبل .

إن مصر تتعامل مع كل «موقف» بما يتمشى مع المصلحة العامة للشعوب، وفى إطار القيم، والمثل، والمبادئ .. بعيدا كل البعد .. عن النزعات الخاصة، والاعتبارات الذاتية .

●●●

لعل ذلك .. يكون قد بدا بوضوح .. فى كل من اجتماع جامعة الدول العربية بالقاهرة .. واجتماع المؤتمر البرلمانى الدولى بلاهاى .

●●●

في اجتماع القاهرة حرصت مصر على التأكيد على عدة حقائق أساسية:

أولا: رفض فكرة تقسيم أى بلد عربى.

ثانيا: الوقوف بحسم أمام.. محاولات الاعتداء على أراضى الغير، أو الاستيلاء عليها دون وجه حق.. وبالتالي رفض أن تتدخل دولة ما.. فى شئون دولة أخرى.

● ثالثا: العمل بشتى السبل، والوسائل على تحقيق التضامن العربى.. باعتباره الوسيلة الأساسية لحماية الأمن القومى.

كانت توجيهات الرئيس مبارك تقضى بالتركيز على تلك «النقاط الثلاث» بصرف النظر عمن سيستفيد من ورائها.. لأن المبادئ لدينا لا تتغير، ولا تتبدل.

●●●

نعم.. إن صدام حسين ارتكب، ومايزال أفعالا شائنة فى حق نفسه، وشعبه.. بل فى حق العرب بصفة عامة.. لكن هل صدام حسين... هو العراق..؟!

الجواب بالنفى طبعا.. لذلك فإن مصر حينما ترفض فكرة التقسيم.. فإنما تضع نصب عينيها الشعب العراقى أولا وأخيرا.. لأنه «الباقى إلى الأبد».. أما صدام حسين أو غيره فهم زائلون.

فى نفس الوقت.. حينما يستمر العراق موحدا.. فإن الدول العربية كلها عندئذ ـ سوف ـ تشتد سواعدها.

●●●

أيضا.. لا يمكن قبول احتلال إيران أو غير إيران.. أرضا عربية.. وإلا أصبحت «شريعة الغاب».. هى التى تحكم العالم.. وهذا ما لا ترتضيه مصر.. لأن سياستها فى هذا الصدد صريحة، وواضحة..!

طبعا.. إيران لا يروقها.. أن يواجهها أحد بسلاح الحق، والمنطق.. وبالتالى تسارع بشن الهجوم.. محاولة التذرع بحجج واهية.. لكن راية العدل.. هى التى ترتفع فى النهاية.

مصر . حينما تعاملت مع «التوجه الايرانى» فى هذا المجال.. تعاملت معه «مجردا من أى شىء».. إذ أن هناك طرفا معتديا يصر على اقتناص ما ليس له حق فيه.. وطرفا آخر معتدى عليه... الأمر الذى لا يمكن اقراره.

●●●

فى المؤتمر البرلمانى الدولى بلاهاى.. تأكد مبدأ «الوجه الواحد» بصورة جعلت العالم.. يزداد اعجابا، وتقديرا للنهج السياسى الذى تسير عليه مصر.

لقد وقف رئيس وفد السودان فى المؤتمر.. يطالب بانضمام «البرلمان السودانى» إلى الاتحاد البرلمانى الدولى..!

تسمر معظم الأعضاء فى أماكنهم..!! فأى «برلمان» هذا الموجود فى السودان..؟ وأى ديمقراطية تلك التى أتت بأعضائه..؟؟

بدت الدهشة على الوجوه.. لأن الجميع يعرفون أن حكومة البشير التى يساندها، ويسيرها «الترابى».. لا تعترف بما يسمى بالديمقراطية.. بل تعتبرها.. رجسا من عمل الشيطان..!!

لكن مصر.. مصر الأصالة.. والقدوة.. والتجربة السوية وقفت تقول في شجاعة:

● نحن نؤيد انضمام «الشعب السوداني».. للبرلمان الدولي.. إن شعب السودان هو «الأساس»، وهو الوسيلة، وهو الغاية.

وإذا كانت مصر تبغى لهذا الشعب الرفعة، والسؤدد.. فالمصلحة تقتضى وقوفها إلى جواره مؤيدة، ومؤازرة.

●●●

كثيرون من أعضاء البرلمان الدولي.. تابعوا «كلام مصر».. وهم مشدوهون، وفخورون معا.. فهي لم تعمل على خلط الأوراق.. بل تصرفت.. التصرف الأمثل الذى ينم عن موضوعية.. وعمق.. وتجرد عن الهوى.

.. حتى عندما قام رئيس برلمان العراق .. وأراد استصدار قرار من مؤتمر لاهاى يستنكر فيه تقسيم العراق .. سارعت مصر بالتحرك معلنة شجبها لفكرة التقسيم بشتى صورها..! لكن «العراقى» عاد ليستثمر الموقف لصالحه.. فأضاف فقرة على بيانه يطالب فيها برفع الحصار عن بلاده..!

مرة أخرى.. يتجدد سمو الفكر المصرى.. عندما تقوم القاهرة.. رافعة صوتها على الملأ.. موجهة حديثها لبغداد:

● إذا كنتم تريدون رفع الحصار.. فالأولى.. أن تتعهدوا بإعادة الأسرى الكويتيين.. إلى بلادهم.

٩٢/٩/١٧

الرمز والمكانة والأمل

تعود العرب على أن يتصارعوا ويتشاحنوا ويتبادلوا الاتهامات، لكنهم - والحق يقال - أصبحوا مؤخرا يتفقون على أمر واحد هو أن مصر.. الرمز والمكانة والأمل.

فى ليبيا عكفت الصحف على انتقاد العقيد معمر القذافى بسبب توجهاته العربية وإصراره على تحقيق وحدة خيالية لن تقوم لها قائمة مهما طال الزمن. وتعرضت بعض تلك الصحف بالهمز واللمز أحيانا إلى مصر، وكان واضحا بطبيعة الحال أن العقيد معمر القذافى موافق على نشر تلك المقالات.

●●●

حينما أدركت الحكومة الليبية أن مصر قد أصابها بعض الرذاذ سارعت نفس الصحف على الفور إلى تغيير دفة مسارها مؤكدة

أن مصر بمثابة القلب والعقل لدى الليبيين ومن المحال المساس بها من قريب أو بعيد.

●●●

على الجانب المقابل بذلت مصر ومازالت تبذل جهودا خارقة من أجل حل مشكلة ليبيا مع الدول الغربية والتى خلفتها طائرة لوكربى التى انفجرت فوق اسكتلندا، وقد أثمرت تلك الجهود منع أى إجراء عسكرى ضد الشعب الليبى الشقيق.. كما أنه نتيجة اتصالات الرئيس مبارك تم تأجيل قرار فرض العقوبات أكثر من مرة حتى حينما صدر لم يتضمن سوى الحظر الجوى وبالتالى تم تحجيم آثاره السلبية.

●●●

حرص الرئيس مبارك على أن يلتقى بالعقيد القذافى ليناقش معه احتمالات الموقف إيمانا من الرئيس بأهمية حماية مصالح الاخوة الليبيين وعدم تعريضهم لأية مخاطر. جاء الرئيس مبارك إلى طرابلس فى رحلة شاقة وصعبة حيث استقل الطائرة من القاهرة إلى مدينة سيدى برانى ومنها إلى السلوم بالهليوكبتر ثم ركب السيارة إلى قاعدة جمال عبد الناصر الجوية فى طبرق ليستقل الطائرة مرة أخرى إلى طرابلس.

الرحلة استغرقت ثمانى ساعات تقريبا لكنها فى الواقع تنطوى على دلالتين أساسيتين:

أولا: أن مصر لا يمكن أن تتخلى عن صديق أو جار أو شقيق.. لابد أن تتواجد في وقت الشدائد.. هذه طبيعتها.. وتلك شيمتها.. وإلا ما أطلق عليها اسم مصر.

ولعل العقيد معمر القذافي قد عبر عن ذلك إثر انتهاء إحدى جولات المباحثات مع الرئيس مبارك حيث أشاد بمصر ورئيسها وشعبها اشادة بالغة مؤكدا أنها بلد الوفاء والشهامة والمواقف الشجاعة.

ثانيا: أن مصر تحترم الشرعية الدولية احتراما بالغا فمنذ اليوم الأول لصدور قرار الحظر الجوى ضد ليبيا أعلنت فى شجاعة أنها ستنفذ القرار.. فهى لو فعلت غير ذلك فسوف تفقد مصداقيتها فى العالم.. وهذا ما لانرضاه لأنفسنا.. كما أنه يحول بينها وبين استمرار جهودها فى حل الأزمة الليبية الغربية.

وذلك هو رئيس مصر يضرب المثل والقدوة فى أن تكون للشرعية قدسيتها من أجل عالم يسوده الأمن والاستقرار والقانون.

●●●

.. وفى النهاية.. تبقى كلمة:

لعل التجارب تكون قد علمت العرب - كل العرب - أن مصر حينما تقدم النصيحة فإنما تقدمها خالصة لوجه الله تعالى، ومن أجل مصالح شعوب الأمة بأسرها، وأن الظروف فرضت عليها

المشاركة الايجابية والفعالة وهى تؤدى هذا الدور عن قناعة وإيمان ومشاعر صادقة.

ولقد بدت تلك الحقائق جلية بعد غزو العراق للكويت فى أغسطس عام ٩٠.. من هنا أيقن الجميع أن الخسارة تكون فادحة إذا حاول طرف من الأطراف أن يلعب وحده فى الساحة من غير «الكبير» الذى يملك بحكم وضعه وتكوينه طاقات واستعدادات يجيد استثمارها الاستثمار الأمثل.

٩٢/ ٨/١٣

ماذا نريد؟

نحن - والحمد لله - .. قوم لدينا من الطاقات، والامكانات، وابداعات الفكر مالا يتوفر لدى الكثيرين غيرنا .. لكننا - بصراحة - اما عاجزون عن استثمار ما وهبه الله لنا .. أو مصرون على التشبث بتلابيب أمجاد قديمة .. لابد أن تكون قد فقدت رائحتها وتجردت من اسمها لأننا لم نحاول أن نستخلص منها كل يوم .. انطلاقة جديدة .. لآفاق فجر جديد.

●●●

لماذا تمزقت خيوط العاطفة الصادقة المجردة عن الهوى التى تربط بين الأخ وأخيه .. والصديق لصديقه .. والزميل لزميله ..؟؟

كيف أصبح الواحد فينا يرضى لنفسه .. أن يدوس بقدمه على أجساد الآخرين .. سعيا وراء غاية زائفة .. أو هدف ردىء ..؟

لماذا أصبحت «المادة» هى المعيار الوحيد .. وإلى متى تظل السيطرة، والغلبة .. لذلك النداء الذاتى: «أنا ونفسى فقط ..» ؟؟

لماذا لا نضع نظاماً (System) .. يسير وفقا لمبادئه وأحكامه المجتمع ككل.. سواء فى دواوين الحكومة، أو شركات القطاع الخاص، أو الشارع، أو المدرسة، أو المصنع..؟

.. وهل يمكن أن يأتى علينا يوم.. نكف فيه عن الشكوى.. ونتعامل مع «حناجرنا» بأسلوب أقل عنفا.. لاسيما وقد اشتهرنا منذ فجر التاريخ.. بأننا خبراء فى تقديم الشكاوى، وتدوينها.. وفى «رفع» صيحات الاحتجاج بسبب، أو بدون سبب..؟

●●●

صدقونى.. لن يكون لعبارات المجاملة «الروتينية» أى معنى.. إلا إذا سأل كل واحد فينا.. ماذا يريد من نفسه.. وماذا يريد من الآخرين.. ماذا قدم لأسرته، وقريته، ومدينته، ووطنه الكبير هل حقا كان مؤمنا.. بكل ما فعل، أو قال.. أم أنه اضطر لركوب الموجة - أى موجة - ومسايرة الأجواء الصافية، والمعتمة معا.. وبالتالى تناقضت أقواله مع أفعاله.. فلم يعد يدرى أين يكون الخطأ.. وأين يكون الصواب.. أو متى تدين اللحظة المناسبة للاقتراب من الخير.. أو حتى الابتعاد عن الشر..!!

يالها من كارثة.. إذا نامت الضمائر.. فلم تحاسب أصحابها مع بداية العام الجديد.. واستمرت فى منحهم «صكوك» ارتكاب المعاصى.. والآثام..!

١٢/١/١

مظاهرة سنوية للديمقراطية

إنها ـ بحق ـ مظاهرة سنوية للديمقراطية.

كل الكتاب، والأدباء والصحفيين، والفنانين من كافة الاتجاهات.. يسألون.. ويبدون الرأى.. ويعترضون.. ويعبرون عن «هوياتهم» بكل صراحة.. والرئيس مبارك ـ على الجانب الآخر ـ يستمع.. ويجيب.. ويبدى أقصى قدر من الاهتمام.. ويؤكد.. لافرق عندى بين يسارى، ويمينى.. بين مسلم، ومسيحى.. كلكم مصريون.

●●●

الرئيس مبارك مع كتاب، ومثقفى مصر.. أعاد تأكيد عدة معان جديدة.. اتسمت بها شخصيته.. وميزت نظام حكمه.. أهمها:

● الوفاء الإنسانى اللامحدود.. فما من مرة يأتى فيها ذكر سيرة الرئيس الراحل أنور السادات.. إلا والرئيس مبارك يشيد به، وبسياسته، وبفكره الذى سبق عصره.

● الصراحة الكاملة.. حيث عودنا الرئيس ألا يقدم سوى الحقيقة مهما كانت صعبة أحيانا.. ولقد أعلن بكل ثقة أن سعر البنزين سوف يرتفع من شهر يوليو القادم.. وأن أسعار المازوت، والكيروسين.. قد زادت بنسبة ضئيلة اعتبارا من أول يناير الحالى.

● انحيازه الكامل للشعب .. والوقوف بحسم ضد أى أخطار تهدد حياة أبنائه.. لأن إرادة الجماهير.. تعلو بالنسبة له فوق كل إرادة.

● تقديسه البالغ للقانون.. ورفضه كل ما يمس به من قريب، أو من بعيد.. وبالتالى فإنه لايستطيع كما يقول نسيانه، أو تجاهله.

● تشجيع عنصر المنافسة بين الأفراد، والهيئات.. وبين القطاعين العام، والخاص.. وترك السوق لسياسة «العرض والطلب».. حتى يمكن الحد من «غول الاستيراد».

● نبذ سياسة الانتقام التى قد يلجأ إليها البعض.. لأن مصر بلد المبادئ، والأخلاق، والمثل.

●●●

الطريف فى اللقاء.. أن بعض الكتاب، والمفكرين.. وقفوا ليقولوا للرئيس إنه لايجب إقحامه فى بعض القضايا الفرعية.. التى تعتبر من صلب.. اختصاص رئيس الحكومة.. أو الوزراء.. لكن نفس الذين ذكروا ذلك.. تعرضوا لمشاكل من نفس النوعية..!!

مثلا .. طالب شاعر صعيدى.. بمساواة محطة السكك الحديدية الخاصة بالوجه القبلى بمثيلتها المخصصة لركاب الوجه البحرى.. ورغم أن القاعة ضجت بالضحك.. إلا أن الرئيس أصدر تعليماته لرئيس الوزراء، ووزير النقل والمواصلات.. بإعادة تجديد محطة وجه قبلى.. بحيث تبدو فى مظهر لائق.

أيضا.. قام من يدافعون عن كاتب صدر ضده حكم قضائى لأنه أصدر كتابا يسئ إلى الاسلام.. ومع تسليم الجميع.. بأن القانون هو الحكم فى مثل تلك الأمور.. إلا أن الرئيس دعا فضيلة المفتى ليقول رأيه.. عندما أدرك أن بعض المفاهيم الدينية ليست واضحة فى الأذهان.

ووقف المفتى ليؤكد فى يقين.. أن الكلمة حرة تماما.. لكن فى إطار ما قررته شريعة الحق.. شريعة الله.

٩٢/١/٥

جذور.. متأصلة

لابد أن تختفى ظاهرة مطاردة نواب مجلس الشعب للوزراء فى كل مكان يتواجدون فيه.. لأنها ـ بصراحة ـ ظاهرة غير حضارية.. وتحمل فى طياتها دلائل عديدة نربأ بأنفسنا جميعا عنها.

●●●

لقد سبق أن تم الاتفاق.. على عقد اجتماع أسبوعى للنادى السياسى للحزب الوطنى.. يحضره الوزراء، وأعضاء مجلسى الشعب، والشورى.. وفى هذا الاجتماع يعرض النواب مايشاءون على الوزراء.. ويحصلون منهم على تأشيرات، وموافقات، وقرارات..!

فى نفس الوقت .. حدد كل وزير موعدا ثابتا للقاء أعضاء مجلس الشعب فى مكتبه بالوزارة.. وبالتالى ليس ثمة داع أبدا لما يحدث..!!

●●●

هل مهمة النائب.. أن يمسك بتلابيب الوزير.. أم ينبغى عليه أن يجلس.. وينصت.. حتى يقدر على مناقشة البيان - فى الوقت المناسب - مناقشة موضوعية..؟!

●●●

على أى حال.. إن كل ذلك يفرض علينا تكرار المطالبة بضرورة وضع نظام «System» فى كافة المجالات.. حتى تسير الأمور بصورة طبيعية دون حاجة إلى وساطات، أو استثناءات..!

نحن نعترف بأن جذور «البيروقراطية» متأصلة.. لكنى أعتقد أنه قد أن الأوان لاقتلاعها.. فهى بصراحة وراء كل تلك المظاهر السلبية التى نعانى منها..!

●●●

ليست مهمة الوزير أبدا.. أن يغرق فى الملفات، والأضابير.. ويضيع وقته فى جزئيات صغيرة يستطيع مئات غيره الاضطلاع بها.

أيضا.. ليس مطلوبا من النائب فى البرلمان.. أن يترك القضايا الأساسية.. ويتفرغ لمشاكل فرعية.. أو شخصية..!

٩٢/١/٦

مشاكل الجماهير لها الأولوية

عرف الرئيس مبارك ـ من خلال لقائه بنوعيات عديدة من المواطنين، ومن خلال الاتصالات التليفونية التى يتلقاها ـ أن سكان مصر الجديدة يعانون من مشاكل ضخمة.. فى الكهرباء..!! فالشركة التى وضعت يدها على المنطقة منذ زمن طويل.. تحولت إلى «سمسار» .. يحصل على الكهرباء من الوزارة المختصة بأسعار معينة.. ثم يقوم بتوزيعها على المواطنين بأسعار أعلى..!

أكثر من هذا.. لقد تصورت شركة مصر الجديدة للاسكان والتعمير.. بأنها مادامت تحتكر الكهرباء، والمياه، والمواصلات.. فمن حقها عمل أى شىء دون أدنى اعتبار لمصلحة الجماهير.

●●●

من هنا.. أصدر الرئيس مبارك تعليمات حاسمة بأن تمارس وزارة الكهرباء ولايتها الشرعية على مصر الجديدة مثلما هو الحال

فى أى منطقة أخرى فى مصر.. كما تتولى محافظة القاهرة تشغيل «المترو».. الذى اعتبرته الشركة أحد ممتلكاتها الخاصة.

●●●

أصدر مجلس الوزراء القرار التنفيذى.. فاكتشفت وزارة الكهرباء.. حقائق بالغة الأهمية:

● لم يكن «كشاف النور» يمر على المنازل.. ورغم هذا يدون أرقاما نابعة من خياله تحمل تقديرات جزافية.. حيث لاتوجد بطاقات تسجل فيها القراءة..!!

● فى حالة سفر «المستهلك».. يستمر محاسبته بنظام المتوسط الشهرى.. مهما طالت المدة.

● حظر تقسيط المبالغ المتراكمة لدى المواطنين.

● الشبكات كلها هوائية (غير معزولة).. مما جعلها دائما عرضة للاحتراق.. وتهديد حياة الناس.

●●●

على الفور ـ وبعد أن تولت شركة توزيع كهرباء القاهرة التابعة لوزارة الكهرباء والطاقة المسئولية ـ صدرت التعليمات بضرورة مرور «كشافى النور» على جميع المشتركين.. ثم معاودة المرور أكثر من مرة ابتداء من الساعة الثامنة صباحا حتى غروب الشمس.. وفى المواعيد التى تتناسب وظروف المشتركين.

فى نفس الوقت تقرر زيادة عدد المفتشين.. وابعاد الكشافين المقصرين منعا لظاهرة (التقديرات الجزافية) كما تم توزيع بطاقات على المشتركين توضح فيها قيمة استهلاكهم قبل إصدار الفاتورة.

أما فى حالات السفر.. فإنه يوقف إصدار أية فواتير.. ولا يؤخذ بنظام المتوسطات إطلاقا.

وتيسيرا على الناس .. تقرر تطبيق نظام التقسيط بالنسبة للمبالغ المتراكمة.. حتى ولو لم يطلب المشترك ذلك.

أيضا.. بدأ عمل دراسة متكاملة عن إمكانية استخدام الأسلاك الهوائية المعزولة بدلا من الأسلاك المكشوفة التى مازالت مستخدمة حتى الآن.. إلى جانب تغيير الشبكة الهوائية برمتها.. إلى شبكة أرضية.

•••

وبالرغم من أن شركة مصر الجديدة للاسكان والتعمير.. اعتبرت الوريثة الوحيدة للشركة البلجيكية التى أنشأت المنطقة، وتولت إدارتها.. إلا أن شركة القطاع العام - للأسف - تعاملت بأسلوب روتينى معقد.. لامثيل له.. حيث تبين وجود ثلاث سيارات أبراج خاصة بإصلاح الخطوط الهوائية متوقفة عن العمل منذ أكثر من ستة شهور.. نتيجة البيروقراطية التى ضربت أطنابها فى كل مكان.. والتى كبلت اختصاصات جميع القيادات.. فيما

عدا رئيس مجلس الادارة الذى اشترط الرجوع إليه.. فى أبسط الأمور..!

الان بدأ إصلاح سيارات الأبراج.. وأعيد توزيع الاختصاصات.. وتمت زيادة مراكز تلقى شكاوى الجمهور.. ووضعت خطة لإعادة تدريب جميع العاملين.

●●●

وفى النهاية تبقى كلمة:

بصراحة.. لقد كان ممكنا.. أن تستمر شركة مصر الجديدة للاسكان والتعمير فى ممارسة سلوكها «اللاإنسانى» لولا تدخل الرئيس مبارك فى الوقت المناسب.. هذا التدخل الذى أعاد تصحيح كثير من الأخطاء، والمخالفات التى إرتكبتها إدارة الشركة السابقة..!

.. وما أحلى أن يعيش رئيس الجمهورية.. هموم، ومشاكل مواطنيه.

١٩٩٢/١/٢٠

فليبدأوا هم بأنفسهم

ليست هيئة الشرطة.. هى التى تحتفل عادة بعيدها.. بل نحن «جميعاً» ـ كشعب ـ مشاركون فى هذا الاحتفال بقلوبنا، وعقولنا. من الانصاف.. ألا نغمط الشرطة حقها.. بل يجب الاعتراف بأنه يتوفر لدى كل فرد فينا درجة من الأمن.. تفوق تلك التى توجد فى كثير من دول العالم التى نال «البوليس» فيها شهرة واسعة.

●●●

زمان.. كانوا يتغنون بـ «سكوتلانديارد» فى بريطانيا.. وكم من أفلام سينمائية ظهرت ـ ومازالت ـ تمجد بطولاته.. وتتحدث عن شجاعة العاملين بين صفوفه.. فما بالك.. وقادة «سكوتلانديارد» أصبحوا يعترفون بأن الشرطة المصرية استطاعت أن تسجل أرقاما قياسية فى بعض المجالات الأمنية.. لم تصل إليها مثيلاتها فى كثير من دول العالم..؟!!

●●●

نعم.. قد تحدث ثغرات، أو تجاوزات.. لكن ليس من العدالة فى شيء أن نحول «الاستثناء» إلى قاعدة.. فالخطأ موجود.. والصواب موجود.. وإلا ما استمرت الحياة..!

فى نفس الوقت.. هل يمكن الزعم بأن الجريمة سوف تختفى فى يوم من الأيام من مجتمعنا.. أو من أى مجتمع آخر..؟

الجواب بالنفى طبعا.. لكن مهمة الشرطة ـ على الجانب الآخر ـ بذل جهد من أجل محاصرتها، وضبط مرتكبيها.

●●●

إن الشارع المصرى مقارنة بأى شارع أوروبى، أو أمريكى، أو أسيوى يتمتع بدرجة لا بأس بها من الأمن.. والذين يطالبون بانضباط هذا الشارع.. يجب عليهم أولا «ضبط» أنفسهم.. فالحكومة ممثلة فى الشرطة.. لاتستطيع مهما أوتيت من عبقرية.. أن تفرض أنماطا معينة من السلوك على المواطنين.. فالسلوك تربية، وتعود، وممارسة.. وأعتقد أن ذلك كله خارج عن نطاق عمل الشرطة.

●●●

أيضا.. لقد أشارت أصابع الاتهام إلى وزارة الداخلية.. تحملها مسئولية سفر، أو بالأحرى «هروب» بعض الأشخاص للخارج.. وفى تصورى أن هذا يحسب للوزارة.. وليس ضدها.. إذ تبين أن معظم تلك الحالات.. إن لم يكن كلها.. قد حصل أصحابها على أحكام قضائية تسمح لهم بمغادرة البلاد.. وبالتالى لم يكن هناك بد من احترام القانون.

ومع ذلك.. ليس ثمة ما يمنع من احتمال سفر آخرين فى أى وقت سواء متسللين عبر الحدود، أو بجوازات مزورة.. أو بأية وسيلة أخرى من وسائل الاحتيال.. فكلها أمور واردة.. ومن العسير السيطرة عليها بنسبة مائة فى المائة.. ليس فى مصر فحسب.. ولكن فى كل بلاد الدنيا.

٩٢/١/٢٥

الرمز.. لا يختفى أبداً

تعلمت من «موسى صبرى» الكثير.. وسوف أذكر فضله على إلى يوم الدين.. فكم قدم لى من نصائح غالية مخلصة.. وكم وقف بجانبى فى وقت تخلى فيه عنى الكثيرون.. وشد أزرى عندما شاءت الظروف أن نخوض معا معركة صحفية واحدة.. أعترف أنه كان خلالها فى القمة.. بينما أنا أترسم خطاه.. أحاول الاستفادة من خبرته، وتجاربه، وأنهل من منابع مدرسته الصحفية المتميزة والفريدة

●●●

كان «موسى صبرى» .. أبلغ مثال للصحفى الشامل.. ينفرد بالخبر.. يكتب المقال.. يجرى الأحاديث، والحوارات.. يرسم «ماكيتات» الصفحات يترجم برقيات وكالات الأنباء.. وفى نفس الوقت.. اقتحم عالم القصة بمهارة، واقتدار، وخيال راق، وأسلوب شيق جذاب.

●●●

أعتز دائما.. بأنى أمضيت سنوات عمرى فى هذه الصحيفة.. لم أغادرها إلى مكان آخر داخل، أو خارج مصر.. وشاءت الظروف أن يجيء إلينا «موسى صبرى».. لنعرف على يديه.. دقائق العمل.. «ومقومات» النجاح.

●●●

مرة.. اتصل بى موسى صبرى.. فى السادسة صباحا - ولم أزل بعد أخطو خطواتى الأولى - .. وسألنى فى حسم:

هل قرأت الصحف..اليوم..؟

واندهشت.. كيف يسألنى ذلك.. وأنا لم أستيقظ من النوم إلا على رنين جرس تليفونه.. لكن قبل أن أرد عليه.. قال:

الصحفى الذى لا يقرأ الصحف فى الساعات المبكرة من نهاره.. أفضل له أن يبحث عن عمل آخر..!!

وبطريقته المعتادة والشهيرة.. استطرد: «يا أستاذ».. لقد فاتك خبر مهم.. وأنت نائم..! وأعترف أننى منذ ذلك اليوم.. أصحو من نومى قبل السادسة!!

●●●

عاد «موسى صبرى».. إلى داره أخبار اليوم.. لكنه لم يبتعد عنى بتوجيهاته، ونصائحه.. إذا انفردت بخبر.. أشاد بى.. وإذا فاتنى خبر... حتى ولو نشرته صحيفة الأخبار التى يرأس تحريرها - لامنى وعاتبنى..!

.. وعندما بدأ قلمى يرسم لنفسه شخصية محددة.. أخذت السهام تنهال على من كل جانب.. إلى أن وصل الأمر بنقابة الصحفيين ذاتها.. أن أحالتنى إلى «لجنة تأديب»..!!

وفجأة.. وجدت الجميع.. ينصرفون عنى.. ماعدا اثنين.. موسى صبرى ـ رحمه الله ـ .. ومحسن محمد الذى أدعو الله أن يطيل فى عمره.. لكى يبقى دائما «الكومبيوتر».. الذى نلجأ إليه وقت الحاجة.. وانتهت أزمتى مع النقابة.. ليكتب موسى صبرى .. مقالا ناريا.. يشيد فيه بى.. تتغير بعده كافة الموازين.. فيتحول مشككو الأمس.. إلى مؤيدين، ومؤازرين..!!

●●●

لقد كان موسى صبرى ـ والحق يقال ـ محاربا شجاعا.. لا يلين، ولا يضعف، ولا يتراجع.. ولا يجامل ـ فى الحق ـ أقرب الناس إليه.. ولعل هذا سر الهجوم عليه فى أحيان كثيرة.. وهو هجوم لم يشغل بال الرجل كثيرا.. لأنه يأتى غالبا.. ممن أقل حجما، وأقصر قامة.

●●●

فى بعض الأحيان كنت أتعرض فى مقالاتى لقضايا معينة.. وكان موسى صبرى يتصل بى ليقول:

● هذا الموضوع سيجلب لك المشاكل.. لكن استمر.. وأنا معك.

وكم سبقنى «أستاذى ومعلمى».. لهذه الفكرة.. وبالنشر.. وأنا

على الجانب الآخر. لم أجد أى نوع من الحرج فى أن أكتب بعده .. فى نفس الموضوع.

عندما تحمست لإصدار مجلة عن مؤسسة دار التحرير.. تصبح شاهدا على عصر الحرية، والديمقراطية الذى تعيشه مصر.. عرف موسى صبرى بأننا نطبع «الأعداد التجريبية الأولى للمجلة» .. فسألنى:

● ما الاسم الذى اخترته للمجلة ..؟

رددت:

حريتى

قال على الفور.. وقد أحسست بمدى السعادة فى نبرات صوته:

● «هايل» .. إنه أحسن، وأنسب اسم.

أعلن موسى صبرى ذلك .. بينما كان الكثيرون يبدون اعتراضاتهم، وتحفظاتهم.. وبعد أيام. صدرت المجلة.. لأنى اعتبرت كلمة «موسى صبرى» شهادة ميلاد حقيقية لـ «حريتى».

وفى نفس يوم الصدور .. كتب موسى فى مقاله بصحيفة الأخبار.. يحيى المجلة الجديدة.. مشيدا بالاسم، والفكرة.. ثم تبعه بمقال آخر فى مجلة آخر ساعة «المنافسة».. وبصراحة كان الزميل الوحيد.. الذى يكتب عن «حريتى».. بتلك الروح الرائقة.

●●●

لقد أراد الله.. أن يغادر «موسى صبرى» دنيانا.. وأنا خارج مصر.. فلم أشارك فى تشييع جنازته .. لكنى واثق من أنه على يقين - وهو فى دار الحق - بأننى لست مقصرا.. فى حقه.. أو أننى تلميذ عاق لأنه يعلم مدى ما أحمله فى قلبى تجاهه من حب، ومودة، وتقدير، كما أن خسارتى فيه فادحة، وعظيمة.. سأحرم من نصائحه، وتوجيهاته.. التى كانت عونا دائما لى.. ونبراسا يضىء أمامى الطريق.

●●●

أستاذى.. ومعلمى.. وأخى الأكبر موسى صبرى: تأكد أنك لم تغب عن الساحة الصحفية والسياسية.. «فالرمز» لا يختفى أبدا.

٩٢/١/١٠

وقفة .. مع الضمير

لن أضيف جديدا إذا قلت.. إن شهر رمضان الكريم.. أفضل مناسبة.. لمراجعة النفس.. ومحاولة تحريرها من شوائبها.. والعودة إلى الحق.. بعد مخاصمة الباطل، والبهتان.

العام المنصرم...ـ ولاشك ـ مليء بالأخطاء، والخطايا.

على مدى شهور وأيام عديدة منه.. طالما تعثرت الخطى.. وطالما حصلت الضمائر على أجازة من غير أن يكون لأصحابها «رصيد» فى سجلات الواقع القائم.

وكم منا.. تخلى عن «الصديق» سواء بإرادته، أو رغما عنه.. فى معاملات مع الآخرين.. أو ضرب بتعاليم الدين الحنيف عرض الحائط.. ناسيا، أو متناسيا.. أن ساعة الحساب قادمة لاريب فيها.

●●●

على أى حال.. أنا لا أريد تضييع الوقت فى متاهات نظرية.. لكنى أقولها فى صراحة ووضوح.. إن المسلم الحق.. هو الذى

يحمى أمن، واستقرار وطنه.. ويقف بجرأة وشجاعة فى مواجهة.. كل من يريد العبث بمقدرات شعبه.. لا لشىء.. إلا لأننا جميعا.. الذين نجنى ثمار هذا الأمن، والاستقرار.. ونحن أيضا الذين سندفع الثمن إذا حدث - لاقدر الله - ما يمكن أن يسبب هزة.. أو هزات.. قد تعصف بهما.. أو تؤثر فى بقائهما، واستمرارهما.

●●●

مثلا.. أولئك الذين تخصصوا فى تشويه الحقائق.. وفى التشكيك فى كل انجاز يتم على أرض هذا البلد.. لماذا لا يستفيدون من حلول شهر رمضان.. بحيث يعودون إلى الله سبحانه وتعالى فلا ينطقون بغير الحق.. ويتجردون من ثياب الزيف، والخداع.. التى ابلت أجسادهم..؟ إن ما تحقق على مدى العشر سنوات الأخيرة سياسيا، واقتصاديا، واجتماعيا لا يمكن انكاره.. لكن نظرا لوجود بعض القلوب العليلة.. فإننا نقرأ فى صحف بعض أحزاب المعارضة «مانشيتات» ما أنزل الله بها من سلطان.. ونستمع إلى تصريحات من رؤسائها.. إن دلت على شىء.. فإنما تدل على أنهم يعيشون فى عالم منعزل تماما.

مثلا كلمة «الديمقراطية الناقصة».. التى يرددونها فى جلساتهم، وعلى صفحات جرائدهم.. ألا تعبر عن فكر ضيق حصر نفسه فى اطار لا يريد الخروج منه أبدا..؟

فليطوفوا الدنيا كلها.. ليعقدوا المقارنات بين الديمقراطية الناقصة التى يتحدثون عنها.. وبين أى ديمقراطية أخرى فى أى

مكان فى العالم.. فى أمريكا.. فى بريطانيا... فى فرنسا.. فى الصين الشعبية.. فى روسيا الاتحادية..!

●●●

.. أيضا الذين لا يروقهم أن ترفع مصر مظلة القانون فوق ربوعها بهدف تحقيق المساواة بين الجميع.. ويفبركون «وقائع» من نبت خيالهم، أو يركزون على أحداث فردية.. فيعلموا أن القانون الفرنسى مثلا.. والقانون البريطانى يتضمنان كثيرا من الإجراءات الاستثنائية التى لا يمكن أن نطبقها عندنا.. علما بأن فرنسا هى بلد «الحرية، والإخاء، والمساواة» كما عرف عنها منذ قيام ثورتها الشهيرة.. كما أن بريطانيا تتغنى ليل نهار.. بالحرية، وسيادة القانون.

●●●

إلى جانب هؤلاء.. وأولئك.. يوجد بيننا.. من يعتبر الاصلاح الاقتصادى الذى بدأنا فى تنفيذه.. غير كاف.. بل أكثر من ذلك يلصقون به التهم التى لا تتمشى مع أى عقل، أو منطق، أو علم.. حيث يزعمون أنه سبب موجة عنيفة من الكساد وجمود السوق، وتعقيد مشكلة البطالة.

والذى لا يعرفه هؤلاء.. إن سياسة التحرر الاقتصادى التى بدأنا فى تنفيذها واجهت - وهذا أمر طبيعى - عقولا مغلقة.. مازالت متشبثة بالماضى.. هذه العقول هى التى لا تريد أن تفهم ماذا يمكن أن تسفر عنه المنافسة بين القطاعين العام، والخاص.. ولا

تعترف بحجم التأثير الهائل للمستهلك الذى يستند إلى رغباته الحقيقية وذلك مكمن الخطر.

●●●

من هنا.. أعود لأكرر أن «الوقفة مع الذات».. ونحن نستقبل أول يوم من أيام شهر الصوم.. مسألة ضرورية.. بحيث لا تنطق ألسنتنا إلا بكل ما هو صدق، وحق.. وأن نبتعد عن سبل الاثارة والابتزاز الرخيصة.. وهل يمكن أن يبتر الإنسان أهله،وذويه.. وأى مسلم يرضى أن يؤلب الأخ عى أخيه. والأب على ابنه..؟!

●●●

إنه شهر فضيل.. نصيحة.. لا تدعوه يمر.. إلا وقد قام كل منا بعمل مصالحة شاملة مع نفسه فالله سبحانه وتعالى طيب.. لا يقبل إلا طيبا.

٩٢/٣/٥

شهادة جديدة

توفرت السلع التموينية ، وغير التموينية فى شهر رمضان هذا العام بصورة لم يسبق لها مثيل من قبل.. فالحمد لله.. لم يشك واحد فينا من نقص السكر أو الزيت، أو السمن، أو الشاى.. كما كان يحدث فى الماضى.. فطالما جارت الأصوات بالشكوى.. وأفاضت الصحف - قومية ومعارضة - عن ظاهرة اختفاء هذه السلع.. محملة الحكومة كل التبعات.. التى اضطرت بدورها لتقبل ما يوجه اليها من انتقادات، وهجوم..!

حتى «الياميش».. الذى اختفى من الموائد سنوات طويلة.. عاد إلى الظهور.. ولا تكاد تخلو منه مائدة الغنى، أو الفقير.. كل حسب امكاناته.

●●●

التقيت بالدكتور يوسف والى نائب رئيس الوزراء، ووزير الزراعة، واستصلاح الأراضى حيث عدنا بذاكرتنا إلى الوراء.. عندما كنت أنا شخصيا أطالب بتسعير «الفواكه».. ضمانا لتحقيق السيطرة والانضباط.

والآن.. سألنى د. يوسف والى:

● ما رأيك..؟ ألم تغمر الفاكهة - فى ظل عدم وجود تسعيرة - الأسواق بأسعار معقولة.. وعلى مدى العام تقريبا..؟

رددت:

● نعم.. عندك حق.. ويكفى أننا أصبحنا نصدر الموز بعد أن كنا نستورده.. كما توفرت الفراولة، والبرتقال، واليوسفى.. حتى البطيخ أصبح موجودا خلال فصل الشتاء..!

عاد د. يوسف والى يقول:

● لقد وصل يوما سعر كيلو البطيخ - فى عز موسمه - إلى جنيهين.. لكن بعد أن أدخلنا زراعة «الكانتالوب».. بكميات هائلة.. ونتيجة اقبال الناس عليه.. انخفض ثمن كيلو البطيخ تلقائيا إلى خمسين، أو أربعين قرشا.

●●●

المهم.. مانشهده الآن أمام أعيننا.. وما نلمسه بأيدينا خلال شهر رمضان بالذات.. لم يأت من فراغ.. بل إنه إحدى ثمرات الاصلاح الاقتصادى التى وضعت الدولة إجراءاته، ونفذتها بعلم،

رفهم، وحسم.. والغريب أننا لم نقرأ مقالا لكاتب، أو تحقيقا صحفيا في جريدة يلقى الضوء على الظاهرة الجديدة.. وكأن مهمة الصحافة عندنا تنحصر في التركيز على السلبيات دون غيرها.

●●●

لقد ظل الجنيه المصرى غريبا في وطنه منذ قيام ثورة يوليو.. وحتى فترة قصيرة مضت.. وأخذ الدولار الأمريكى يهدد استقراره، وأمنه، وبقاءه.. حتى تحققت المعجزة مؤخرا.. ونجح الجنيه فى أن يصمد.. وأن يتحدى.. ومنع الدولار.. من تحقيق أى تقدم آخر..!! ورغم ذلك فهناك ـ للأسف ـ من لايزالون يرعمون.. بأنها «ظاهرة مؤقتة».. لن تستمر.

●●●

على أى حال. إن كل المؤشرات، والدلائل تؤكد أننا نسير إلى الأحسن.

ربما يقولون.. إن السلع متوفرة بالفعل.. لكن الأسعار مرتفعة.. ونحن نرد عليهم بأن هذا أفضل الف مرة.. من توفر الأموال في الجيوب.. بينما الأسواق خالية من البضائع مثلما الحال في دول كثيرة.. عجزت عن إستيعاب روح الاصلاح الاقتصادى.. وبالتالى فشلت في وضع وتنفيذ إجراءاته.

●●●

إن شهر رمضان.. شهادة جديدة .. لنجاح سياسات الاصلاح الاقتصادى فى مصر.. وهى شهادة واقعية.. حية نابعة من ضمير كل مواطن.

٩٢/٣/١٤

نحن صنّاع النصر

سوف يظل يوم ١٠ رمضان.. رمزا لانتصار الإرادة المصرية.. ونقطة تشع بالضوء والأمل.. تلتف حولها الأجيال المتعاقبة.. تأكيدا لقدرة الإنسان على التفوق.. وعلى نفض رداء الانكسار، والهزيمة.. والعبور إلى عالم جديد.. أصبح فيه للانتماء معنى.. و للتضحية قيمة .

●●●

لقد عادت للعسكرية المصرية فى هذا اليوم.. سمعتها التى تستحقها.. وعادت هامات الرجال ترتفع فى كبرياء، وشموخ.. وسط انبهار عالمى لم يسبق له مثيل.

والحمد لله.. أن الذين صححوا الأخطاء.. وعدلوا المسار.. هم ضباطنا، وجنودنا.. الذين ضربوا منذ تسعة عشر عاما مضت.. أروع الأمثلة فى البطولة، والفداء.

●●●

نحن لم نستورد النصر.. بل كنا صناعه.. بعقولنا، وسواعدنا، واصرارنا.. وهذا هو الفرق بين أمة صاحبة حضارة تليدة.. تزخر بالخبرات، والكفاءات، والطاقات.. وأخرى تفتقر إلى أبسط مقومات المواجهة.

●●●

إن المواجهة الشجاعة بين جنود مصر.. وجنود العدو غيرت منذ اللحظات الأولى موازين القوى فى منطقة الشرق الأوسط.. وكان لابد أن تغيرها تحت ظروف كان العرب قد انتقلوا بسببها.. إلى عالم النسيان.

●●●

لقد وضعت مصر فى يوم العاشر من رمضان الأسس الواقعية للسلام العادل.. عندما حققت انتصارها المذهل الذى هز الكيان.. وزلزل الأرض تحت الأقدام. لذلك.. كان حرصها على حماية هذا السلام بكل ما أوتيت من قوة.. لأنها هى التى جادت بأرواح أبنائها.. وبدمائهم.. لم تبخل بمال.. أو سلاح.

●●●

إن مسئولية مصر هائلة، وكبيرة.. لأن الذى وضع يده فى النار - كما يقول المثل العربى - ليس كمن وقف متفرجا .. ولاهيا.. لايعبأ بشىء.. ولا يشغل باله ما يدور حوله.

●●●

أبطالنا .. رجال القوات المسلحة:

نحن نزهو بكم أمام العالمين .. نضعكم فى عيوننا .. ونحفظكم - مع رعاية الله - بين جنبات قلوبنا.

أنتم خير جنود الأرض .. أنتم الذين دافعتم، وتدافعون وسوف تدافعون .. عن الكرامة العربية .. فهذا قدركم .. لأنكم أبناء مصر.

٩٢/٣/١٥

مصر . . لجميع أبنائها

عندما التقى المسلمون، والمسيحيون حول مائدة إفطار واحدة داخل الكاتدرائية.. بدا من المشاعر الصادقة ما يؤكد أن الرابطة التى تجمع بين الطرفين وثيقة ومتينة.. الأمر الذى يجعل شبهة تهديدها.. ضربا من ضروب المستحيلات..!

.. وحينما قام كل من شيخ الأزهر، والمفتى، وبطريرك الأقباط.. ليتحدثوا.. أحسست أن كلماتهم تصدر من قلوب متعانقة تتبادل المودة، والألفة، والحب.

•••

نادى المؤذن «الله أكبر.. الله أكبر.. أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله».. مرتين.. مرة عند المغرب.. والثانية عند العشاء.. وبصراحة لم ألحظ.. أن هناك من ضجر، أو تأفف.. بالعكس.. كانت وجوه «القسس» باشة.. وكان ترحيبهم بالمدعوين يزداد حرارة، ودفئا.

وفى الوقت الذى أقيمت فيه الصلاة جماعة داخل إحدى قاعات الكاتدرائية .. كان البابا يشيد بسيادة القانون فى مصر التى لم تميز بين مسيحى، ومسلم سواء فى الحقوق، أو الواجبات .. وتلك العظمة بكل معانيها.

•••

وفى ليلة القدر وقف الرئيس حسنى مبارك يعلن للعالم أجمع (أن من عظمة الاسلام، ومفاخره تأكيده لحرية الإنسان فى العقيدة، وأنه لم يكره أحدا أبدا على اعتناقه ..وقد ثبت أن الرسول الكريم ﷺ قد ترك بعض أصحاب الديانات الأخرى على ما يعتقدون، وعاهدهم .. وسار أصحابه من بعده على هذه السنة السامية .. فبعد أن أوصلوا الدعوة إلى من يحتاجون معرفتها تركوا الناس أحراراً يدخل فى الإسلام من يشاء ويظل على دينه من أراد».

•••

من هنا أقول إن مصر .. «نموذج من طراز خاص» .. فهى لاتعرف التعصب .. وشعبها عاش وسيعيش - إن شاء الله - متلاحما .. متعاطفا .. آمنا .. يقف فى شجاعة، وجرأة أمام أية محاولة من محاولات الفرقة، والانقسام.

•••

طبعا هذا لايمنع من أن يظهر بين كل وقت وآخر.. فرد أو مجموعة.. تتصور أنها قادرة على فرض الرأى بالارهاب المعنوى، أو المادى.. لكن سرعان.. ما تتبدد الأوهام.. ويتسابق كل المصريين صفا واحدا يتحدون كل نزعات البهتان، والضلال.

●●●

إن الرئيس مبارك الذى التف حوله المسلمون، والمسيحيون.. كما لم يلتفوا حول أى حاكم من قبل.. والذى يؤكد دوما أن مصر لجميع أبنائها.. حريص على أن تكون «القدوة».. منزهة عن الهوى.. وعلى أن تكون دلالات التراحم والتعاطف شاهدة على هذا العصر الذى وفر الأمن، والأمان لكل مواطن.. ورفع رايات الاستقرار، والسلام فوق كل بقعة من بقاع الوطن الحبيب.

●●●

إن حاملى القرآن الكريم.. ينالون تقدير الدولة، ورعايتها، ودعمها، ومساندتها.. كما أن أهل الانجيل يلقون التكريم، والاعزاز، والتقدير لتسمو مصر فوق الصغائر.. وليخطو المجتمع الموحد كل يوم خطوة إلى الأمام.. فتتكاتف الأيدى.. وتتفاعل العقول.. ونزهو..ونزهو.. نحن الشعب صاحب المصلحة الحقيقية.

٩٢/٤/١

لا شعارات براقة

فى عصور سابقة.. كانت تتردد مقولة شهيرة فى مصر: القانون فى اجازة،..! والسبب أن الحكم تعود على التدخل فى ـمال القضاء كيفما يشاء.. والقاضى الذى لا ينفذ التعليمات، يرفض الاستجابة للأهواء.. لا سبيل أمامه سوى أن ينتظر وقوع المذبحة، .. فهى آتية لا ريب فيها..!

●●●

الموقف تغير فى عصر حسنى مبارك.. تغيرا جذريا، وكاملا.. حيث أصبح للقضاء احترامه، وقدسيته، واستقلاليته بكل ماتحمله الكلمات من معان.. فالرجل الذى يمسك بيديه «ميزان العدل».. لاراد لقراره وبالتالى فهو يعرف حق قدره جيداً .. ويؤمن بأن كلمته هى الفيصل الحاسم.. فلا يعلنها.. إلا بعد محاسبة شاملة، وصارمة مع النفس، والضمير.

●●●

بصراحة .. كم كانت سعادتي.. بل سعادة كل المصريين .. عندما وقف الرئيس مبارك يقول في فخار، واعتزاز.. إن العالم ينظر إلى القضاء المصرى.. نظرة مليئة بالثقة، والاحترام، والعرفان.

إن «السلطة القضائية».. إنما هى سلطة مستقلة عن باقى السلطات.. قرارها واجب التنفيذ على الكبير، والصغير.. العدالة المطلقة هى التى تحمى أصحابها بنفس النسبة التى يرفعون بها لواءها.

ولقد صدر عن هذه السلطة كثير من القرارات التى غيرت الاتجاهات، وقلبت الموازين.. وخالفت كافة التوقعات.. ورغم ذلك لم يكن هناك مناص من تنفيذها.. لأن «السيادة» لا تتجزأ.. والتفرقة مرفوضة بكل المقاييس.. ولعل الحكم الشهير الذى أصدرته المحكمة الدستورية بعدم دستورية مجلس الشعب خير شاهد .أبلغ دليل..

●●●

وهكذا.. فليطمئن كل مواطن على أرض هذا البلد إلى أنه سوف يعيش دائما وأبدا بإذن الله آمنا.. مستقرا.. ففى غياب القانون.. تنهار دعائم الأمن.. وتتحطم قواعد الاستقرار.. والحمد لله أن القانون عندنا حاضر دائماً.

أما الذين يتشدقون بكلمات جوفاء عن «الديمقراطية الشكلية»، والحريات المنقوصة .. فهؤلاء قد مزقوا بأيديهم كل الخيوط التى

تربطهم بالواقع القائم اذ يكفى أن مصر باعتراف الدنيا بأسرها من أوائل الدول التى خطت خطوات سريعة نحو عالم الديمقراطية، والحرية .. فاحتلت مكانها الملائم، والمرموق.

●●●

وفى النهاية .. تبقى كلمة :

فليهنأ قضاة مصر.. بأن عصر حسنى مبارك.. لا يرفع شعارات براقة .. ولا يتحدث عن نظريات صعبة التحقيق.. بل إنه يثبت بالصدق، والحق.. أن القانون فوق جميع الرؤوس.. وأن حماته .. فى حمى كل العيون .. وكل القلوب.

كلمة للتاريخ

وصلتنى هذه الرسالة التى أنشرها حرفيا.. وطبق الأصل:

«جمعتنا - نحن الموقعين أدناه وسبعة آخرين - مناسبة اجتماعية.. وكالعادة قضينا الليلة فى نقاش حول كافة قضايا العمل الوطنى، والقومى.. وفى النهاية اتفقنا على أن نبعث بمجمل ما انتهينا إليه: بادىء ذى بدء.. نحن من الرعيل الأول من «الناصريين» الذين يمكن أن يطلق عليهم رجال الحرس القديم.. وبالتالى فلا أحد على الاطلاق يستطيع أن يزايد علينا.. لاسيما أولئك المصابين بأمراض التعصب، والمراهقة الفكرية..

فى نفس الوقت.. لقد كنا على امتداد الفترة من عامى ١٩٥٢ إلى ١٩٧٠ نشغل مواقع رئيسية فى مؤسسة الرئاسة، والجيش، والشرطة، وأجهزة المخابرات، والخارجية، والجامعة، ومكتب الرئيس للمعلومات. أى باختصار.. كنا مع.. ومن حول صانع القرار.

وقد رأينا أن تكون رسالتنا هذه (شهادة للتاريخ).. فنحن بحكم السن الذى تجاوز الـ ٦٥ سنة. لا نبغى جاها، أو سلطة.. ولسنا

بحاجة إلى نفاق «الحكم».. مع ملاحظة أن النفاق مرفوض تماما.. من قبل مبارك:

● أولا : إذا كنا ولازلنا من رجال، وأخلص رفاق الزعيم «الخالد» جمال عبد الناصر.. إلا أننا بحكم تجربتنا، واطلاعنا على أسرار تاريخية.. لنا بعض «التحفظات» خصوصا في مجال الديمقراطية، وحقوق الإنسان، ومستوى الإدارة السياسية، والعسكرية.

● ثانيا : إن الرئيس مبارك قائد عسكري من الطراز الفريد شهد له بذلك قادة عرب، وأجانب وهو صاحب الفضل في تخطيط، وتنفيذ الضربة الجوية الساحقة التي حققت معجزة عام ١٩٧٣، وهدمت خط بارليف، ومعه كل نظريات الأمن الإسرائيلي.. مما ساعد المفاوض المصري على أن يجلس على مائدة المفاوضات.. مرفوع الهامة مستندا إلى جسر متين من النصر.. وأيضا كان موقفه من أزمة طابا.. تاريخيا، وعقلانيا، ووطنيا.

● ثالثا : يتمتع «الرجل» بقدر كبير جدا من الثقة بالنفس، والهدوء، والرؤية البعيدة.. ومن فضائله الشرف، وعفة اللسان، والطهارة التي لا يجاريه فيها أحد.. كما يكره أساليب الضغط، «ولي» الذراع، وخداع الجماهير، واستجداء التصفيق، والوعود المعسولة، والشعارات التي تجاوز قدرة مصر والتي يدفع ثمنها الشعب مقابل مجد شخصي.

- **رابعا**: فى عهد الزعيم مبارك.. الويل كل الويل.. إذا اقترب الفساد من أحد معاونيه.
- **خامسا** : تم القضاء على السياسات التى كانت تفرز مراكز القوى، وزوار الفجر، وأهل الثقة على حساب أصحاب الخبرة.
- **سادسا** : من سمات (مصر- مبارك) سيادة القانون، واستقلال القضاء.. وهاهى الاحكام تتوالى مؤكدة كل تلك الحقائق .. ويشهد لمبارك بذلك كافة التيارات السياسية فى مصر.
- **سابعا**: لم يهتم الرئيس بالخارج على حساب الداخل.. بل أقام علاقات شخصية مع كل رؤساء العالم مستثمرا إياها من أجل صالح المواطن المصرى.. كما جاء اختيار د. عصمت عبد المجيد أمينا عاما للجامعة العربية، و د. بطرس غالى أمينا عاماً للأمم المتحدة تتويجاً لهذا الجهد.
- **ثامناً** : على المستوى العربى.. حقق إنجازات تاريخية من خلال الاحترام المتبادل وعدم التدخل فى الشئون الداخلية، والالتزام الوطنى والقومى ولعل القادة العرب وفى مقدمتهم الأخ العقيد القذافى يشيدون دائماً بالنتائج المبهرة.
- **تاسعاً** : مواقف مبارك التاريخية من أزمة الخليج، ومن المشكلة الليبية مع الغرب.. أسعدت كل عربى. وبالمناسبة نحن نؤيد موقفه تماماً من قضية الوحدة.. والحرص على مصالح شعبه.
- **عاشراً**: على ساحة العمل الوطنى الداخلى.. نؤكد من خلال تحليلاتنا، ومعلوماتنا، ودراساتنا الميدانية.. ومالدينا من

أرقام.. أنه قد تحقق فى عهد مبارك.. مالم نستطع الوصول إليه منذ عام ١٩٥٢ لاسيما فى مجال البنية الأساسية، والسكان، والمدن الجديدة، ووسائل الاتصال، والطرق، والأنفاق، والكبارى، والكهرباء، والبترول، والتعليم.

- **حادى عشر**: انطلقت الحريات في عهد مبارك وتحصنت بشكل غير مسبوق. فها هي الأحزاب وصحفها تمارس دورها دون أية قيود من رقابة، أو منع نشر، أو وقف جريدة، أو اعتقال محرر، أو قصف قلم.
- **ثانى عشر**: مبارك.. هو أكثر المصريين انتاجا.. فالوقت عنده.. له قيمته ويشهد بذلك حجم ما يؤديه من عمل فى الداخل والخارج.
- **ثالث عشر**: تبقى عدة سلبيات .. مسئولة عنها الجماهير.. مثل التضخم السكانى.. والحديث الأجوف عن قضايا فرعية وهامشية، وتصعيد الأحداث.. لكن من حسن الحظ.. أن مصر قد وهبها الله سبحانه وتعالى .. «مباركاً» .. الذى يدرك ابعاد النظام العالمى الجديد، ويتعامل معه بمهارة فائقة تعكس شخصية زعيم فذ».

الرعيل الأول من الناصريين

عنهم: لواء/ عبد الستار محمد متولى

د./ أحمد محمد عبد الرحمن (أستاذ جامعى)

د. مهندس/ مصطفى على نجيب

٩٢/٥/١٩

الانتصار على الصمت

سوف ينعم شعب مصر بالاستقرار، والأمن إلى يوم الدين.

إن أى حادث عارض لن يؤثر فى إيمان هذا الشعب. وصلابته، وقدرته الخارقة على تحمل الصعاب.

نحن جميعا نعلق آمالا كبارا على التنمية فى شتى مجالاتها.. وفى نفس الوقت ندرك جيدا.. أنه لا تنمية بدون استقرار.

●●●

ما أسعد أن يعمل الإنسان ويكد، ويكدح.. من أجل أبنائه، وأحفاده.. وهذا الشعب قد أخذ على عاتقه منذ عشر سنوات مضت أن ينطلق بكافة أدوات العصر.

من هنا.. لابد أن يتآزر الجميع وهم يصنعون المستقبل.. حتى يأتى حاملا معه ينابيع الخير، والحب، والمودة، والعدل، والسلام.

●●●

لقد كانت الأقلية أيام حكم الملكية البغيض.. وأيضا أثناء العصر الشمولي .. هي التي تفرض رأيها، وتحدد توجهات الأغلبية.. وتسير الأمور وفقا لمشيئاتها، وأهوالها.

الآن . تغيرت المواقف.. وانتصرت الأغلبية على صمتها.. واحتلت مكانتها اللائقة.. وبالتالي أصبحت مطالبة بالدفاع عن ديمقراطية القرار، وحماية كل ما حققته من مكاسب.. وإلا عادت إلى الوراء.. لتدور في حلقة مفرغة لاجدوى من ورائها، ولا طائل.. وهذا ـ بكل المقاييس ـ ضرب من ضروب المستحيلات.

●●●

إن الإنسان.. باعتباره أرقى الكائنات قادر على توفير المناخ النظيف الذي يهيئ له.. من أمره رشدا.. ولا جدال أن الإنسان المصري لا يقل عن غيره في شيء.. بل إنه ـ دون مجاملة ـ أكثر تفاعلا وتكيفا مع الظروف.. وأنقى سريرة.. وأشد طهرا.

١٠/٦/٩٢

وسيلة .. وغاية

ظل الطفل المصرى سواء فى الريف، أو الحضر محروما من أبسط الحقوق الإنسانية على مدى سنوات عديدة.. دون أن يجد من يمد له يد المساعدة.. أو من يرفع صوته مطالبا بحقوقه.. وكانت النتيجة.. أن أخذ حجم المشاكل الاقتصادية، والسياسية، والاجتماعية يزداد رويدا.. رويدا.. إلى أن تفاقم بالصورة التى نراها أمام أعيننا الآن.. لسبب بسيط.. أن طفل الأمس.. هو شاب اليوم.. ورجل الغد.

•••

كثيرون يقولون إن الممارسة الديمقراطية عندنا تعانى من بعض السلبيات.. وهذا أمر لاننكره.. لأن التربية السياسية أمر أساسى وحيوى.. شأنها شأن التربية الاجتماعية، والدينية.. والطفل الذى يعبر مراحل تنشئته مرحلة بعد مرحلة دون اهتمام كاف بتنمية عقله، ومداركه.. لاترجو منه الأمة خيرا.

•••

من هنا.. اتجه فكر السيدة حرم رئيس الجمهورية إلى «القراءة» كوسيلة وغاية معاً.. عن طريقها.. يكتسب الطفل كل ماحرم منه فى الماضى.. فعندما يقرأ.. لابد أن يتعلم.. ولاجدال أن العلم أغلى أسلحة الإنسان فى معركة الحياة.

بالعلم.. تتحقق الصحوة والنهضة.. وبالعلم يتحول المستحيل إلى ممكن.. ويسبر العقل أغوار المجهول.. ويحارب المرء أشرف المعارك من أجل تعميق الديمقراطية، والحرية، وحماية سيادة القانون.

●●●

منذ فترة طويلة فكرت السيدة حرم الرئيس فى تنظيم برنامج «القراءة للجميع» بهدف اقامة جسور من المودة بين الطفل، والكتاب.. ولقد لاقت الدعوة نجاحا منقطع النظير.. حيث تحولت الحدائق العامة في المحافظات إلى نواد للقراءة.. وفتحت المدارس أبوابها للتلاميذ خلال العطلة الصيفية كى ينهلوا من منابع المفكرين، والأدباء، والعلماء القدامى منهم والمحدثين.

لقد تابعت أنا نفسى تنفيذ الفكرة في عدد من المحافظات.. وكم كانت دهشتى، وسعادتى بالغتين.. وأنا أرى أمامى الأطفال يتسابقون للحصول على كتاب.. أو مجلة.. أو صحيفة.. وماخشيته.. ألا تستمر التجربة بنفس الحماس، وقوة الدفع التى بدأت بها.

●●●

الآن وضح جلياً أن الثمار قد أينعت.. وأن طفل القرية قد دخل هو الآخر دائرة الاهتمام لاسيما وأن ريفنا المصرى - والحمد لله - يزخر بأعلى العقول، وأنقى السرائر.

•؟•

إن علماء النفس والاجتماع يؤكدون أن حياة الإنسان هى سلسلة متصلة الحلقات.. وأن القرية والمدينة كل منهما يؤثر فى الآخر تأثيرا إيجابيا ومباشرا.

تحية للسيدة حرم الرئيس على هذا الفكر المتقدم.. وعلى قدرتها على اكتشاف ملكات الطفل المصرى فى الوقت المناسب.

٩٢/٦/٢١

حكاية الأمير والخفير

فى أحيان كثيرة.. يكون سلوك «الخفير».. أفضل ألف مرة.. من سلوك الأمير.. فالعبرة.. فى الأساس.. القيمة، والمعنى، واحترام الذات.

.. وإليك هذه الحكاية:

توجه «أمير عربى» بسيارته التى اصطحب فيها إحدى السيدات إلى المنطقة السياحية بالهرم حيث استوقفه الرقيب أول جمعه قرنى الذى يعمل بالادارة العامة لشرطة السياحة.. والذى أفهمه بأن التعليمات تقضى بعدم دخول السيارات هذه المنطقة لأسباب أمنية، وسياحية.. فما كان من «سمو» الأمير إلا أن صدم الجندى بمقدمة السيارة.. ثم اعتدى عليه بالضرب..!

●●●

دافع الجندى المصرى.. عن كرامته بشجاعة.. وأصر على اقتياد الأمير إلى قسم الشرطة..!!

فى تلك الأثناء اختفت السيدة .. التى كان الأمير قد ادعى بأنها زوجته ..!!

داخل قسم الشرطة .. واصل الأمير مزاعمه .. فاتهم الرقيب أول جمعة .. بالاعتداء عليه واحداث بعض الاصابات به .. فى نفس الوقت الذى رفض فيه إحالته للكشف الطبى ..!

●●●

تم إخطار السفارة التى يتبعها «سمو الأمير» التى أوفدت بدورها أحد أعضائها .. وبصحبته المحامى فريد الديب اللذين رفضا تحرير مذكرة بما حدث .. وإن كانا قد حررا تعهداً بأن يمثل الأمير أمام جهات التحقيق حين طلبها له .. وعدم مغادرته البلاد إلى أن تنتهى التحقيقات فى الواقعة.

بدأ اتخاذ الاجراءات القانونية التى أسفرت عن ضبط «مطواة» مع الأمير تم تسليمها لمندوب سفارته ..!! كما تم توقيع الكشف الطبى على جندى الشرطة الذى تبين اصابته بجرح قطعى بالأذن اليسرى يحتاج إلى علاج أقل من ٢١ يوماً ..!

وقد تقدم للشهادة .. «أسامة حامد حمودة» مفتش الآثار بمنطقة الأهرامات الذى أكد كل أقوال الرقيب أول جمعة.

●●●

فى اليوم التالى توجه لمقر إدارة شرطة السياحة والآثار مدير أعمال الأمير العربى الذى قدم جواز سفره الدبلوماسى، واعتذارا

رسميا باسم الأمير إلى جندى السياحة المصرى أبدى فيه أسفه عما بدر منه كما قدم ٥٠٠ جنيه و ٢٠٠ دولار للأخ جمعة لكى يصفح عنه.

●●●

هنا.. تظهر الأصالة المصرية فى أجلى معانيها.. إذ قبل الجندى اعتذار الأمير.. لكنه رفض بإباء، وشمم قبول أى نقود.. مؤكداً.. أنه يمثل حضارة مصر وجهاز أمنها الذى لابد وأن يظل رافعاً رأسه أمام العالمين.

هذه حكاية الأمـــيـــر.. والجندى.. رأيت أن أســـردها بكل تفصيلاتها.. لكي تكون شاهداً.. على أن المصريين هم أفضل خلق الله على الأرض.

وإذا كانت شرطة السياحة قد قررت صرف مكافأة للرقيب أول جمعة قيمتها مائة جنيه.. فهذا ليس إلا مجرد تعبير عن اعتزازنا جميعاً به، وبسلوكه الحضارى، وبأمانته في عمله، واعتزازه بنفسه.

٩٢/٧/٦

شهامة أولاد البلد

اشتهرت ضاحية عين شمس منذ قديم الزمان.. بالهدوء، والأصالة، والمناخ الجاف.. كما عرف عن أهلها.. الطيبة، والوفاء، واكرام الضيف.

فوق أرضها.. أقيمت المسلة الشهيرة عام ١٩٥٠ قبل الميلاد خلال حكم الأسرة «الفرعونية» الثانية عشرة..!!

●●●

ارتبطت أنا بعين شمس منذ أكثر من ثلاثين عاماً مضت.. فقد عشت واحدا من أبنائها الذين لايألون جهدا فى تقديم أى لون من ألوان المساعدة لكى تمتد إليها يد التطوير.. لاسيما بعد أن تخلى عنها ركب الحضارة الذى سبق أن شاركت في اعداده منذ عهد الفراعنة..!!

حتى بداية الستينيات.. لم تكن مياه الشرب قد وصلت إلى المنازل.. وأتذكر أننا كنا نستخدم «الطلمبات».. لضخ المياه إلى

خزانات بأعلى المساكن ثم نعود لتوزيعها على بعضنا البعض.. كما كان التيار الكهربائى ضعيفا للغاية.. وكم اضطررنا إلى تركيب «اللمبات» ذات الـ ١١٠ فولت حتى العاشرة مساء.. ثم نعود لاستبدالها باللمبات العادية ذات الـ ٢٢٠ فولت..!!

أيضا.. لم يتم «رصف» شوارع عين شمس إلا منذ فترة وجيزة.. عانى خلالها الناس من شدة تحرك الرمال الناعمة التى غطت كل شئ..!!

●●●

بالصبر.. والعمل.. نجح أبناء عين شمس بالمشاركة الشعبية تارة.. وبالعون الحكومى تارة أخرى فى حل معظم المشاكل.. وعادت المنطقة تفخر من جديد.. باسمها.. وحضارتها.. ومجدها التليد.

الناس.. فى المنطقة.. هم نفس الناس.. الشهامة.. والاخلاص.. وعمق الانتماء.. والحرص على أداء الواجب.. لم أشعر أبدا أن «التغيرات» التى طرأت على العالم.. قد مستهم من قريب، أو من بعيد اللهم إلا من حيث سعة الأفق، وقوة الادراك.. اللتين تجلتا.. فى التسابق من قبل الصغير، والكبير.. على حماية الأمن ودعم الاستقرار.

٩٢/٧/١٤

فى القلب والعقل

ستظل القوات المسلحة تحتل منا موقع القلب، والعقل معاً.. فنحن لن ننسى أبداً.. أنها هى التى ردت لنا كرامتنا، وكرامة كل العرب فى أكتوبر عام ١٩٧٣.. وسوف نذكر لها بالفضل، والعرفان.. قدرتها على حماية إرادتنا حرة دائماً.

أيضاً.. من حقنا أن نعتز، ونفخر بأدائها المتميز خلال حرب تحرير الكويت.. وبوجودها ضمن أولى طلائع قوات حفظ السلام فى البوسنة والهرسك.

●●●

من هنا.. كم يسعدنا - كشعب - أن تنال قواتنا المسلحة تقدير الرئيس حسنى مبارك فى شتى المناسبات لأن هذا يعنى أن رئيس الجمهورية يكرم أبناءنا، وأشقاءنا، وآباءنا.. الذين يتكون منهم «الجيش الوطنى» الذى حرصت ثورة يوليو على أن يكون جيشاً قادراً.. متحرراً من «عقدة الأجنبى».. التى طالما تحكمت فى

مشيئة رجاله.. ووقفت حائلا دون تسليحهم بالصورة التى تمكنهم من الدفاع عن الأرض، والمال، والعرض.

●●●

لقد قال الرئيس حسنى مبارك إنه كان من المحال - ونحن نتخذ إجراءات الاصلاح الاقتصادى - تخفيض القوات المسلحة، أو تأجير قوات لحماية أرض مصر. إن القوات المسلحة سند لكل مواطن.. وحماية للتراب.. وشرف وفخر لكل مصرى.

لا جدال أن الجيش القوى.. يسند الديمقراطية.. ويدعم الحرية.. ويعلى سيادة القانون.. لأنه تحت مظلة هذا الجيش لايجرؤ كائن من كان.. على اختراق الصفوف.. أو المغامرة باللعب بالنار.. وإلا تعرض لأقسى ألوان الردع، والعقاب.

٩٢/٧/٢٠

أمل انتظرناه كثيرا

جمعتنا ظهر يوم ٦ أكتوبر عام ١٩٧٣ .. صيحة «الله أكبر» .. رددناها جميعا مع قواتنا الباسلة وهى تعبر قناة السويس.. بعد ست سنوات من المهانة.. والعذاب..!!

بعد هذا التاريخ.. تآلفت قلوبنا.. وتكاتفت أيدينا.. وترحدت جهودنا.. اختفت الضغائن والأحقاد.. تأكدت جذور الوحدة الوطنية.. علت صروح المودة والحب يوما.. بعد يوم.. فقد تحقق الأمل الذى انتظرناه بفارغ الصبر.

●●●

.. ويذكر العرب شمالاوجنوبا.. شرقا وغربا ٦ أكتوبر بكل الفخر، والاعتزاز.. فلأول مرة فى تاريخهم تتجه إليهم أبصار الدنيا بالتقدير، والإجلال.. بعد أن أصبحوا «رجلا واحدا» استطاع أن يبدد ظلامات النزاع، والفرقة، والشقاق.

لقد كان لنداء «الله أكبر» .. وقع السحر فى النفوس.. فتعدلت أنماط السلوك الإنسانى.. بما يتلاءم والطفرة الهائلة التى عبرت بالأمة إلى عالم جديد.. بكل المقاييس.

●●●

كم تمنينا.. أن تتأصل روح أكتوبر فى الأعماق أكثر، وأكثر.. وأن تظل معانى الحق، والخير، والجمال مزدهرة يانعة.. نواجه بها.. تحديات العصر.. فترتفع رايات النصر دائما.. النصر السياسى، والاقتصادى، والاجتماعى.. وأخيرا.. النصر على وساوس النفس، وأهوائها..!

●●●

الحمد لله.. لقد حققنا فى المجال السياسى نجاحات مبهرة وهاهى الدلائل العملية خير شاهد، وأبلغ دليل.. فالعالم يلتف حولنا مؤيدا، ومؤازرا.. إيمانا من الجميع بحقيقة ثقل مصر، ووزنها، وقدرها.

الكلمة.. التى تصدر من القاهرة.. هى كلمة حق، وصدق، وعدل.. وبالتالى.. أصبحت محورا أساسيا.. لدستور الحرية، والديمقراطية، وسيادة القانون فى كل مكان.

●●●

وفى «الاقتصاد» .. خططنا، ودرسنا، ونفذنا بترتيب متقن.. فبدأنا نخرج من عنق الزجاجة.. متجهين إلى آفاق أرحب، وأوسع

نحمل بين جوانحنا.. تطلعات المستقبل.. بكل ماتنبئ عنه من خير، ورفاهية، واستقرار، وتقدم للإنسان.

يبقى بعد ذلك.. حربنا «الضروس» ضد وساوس النفس، وأهوائها.. وهي حرب متعددة الاتجاهات.. متباينة الوسائل.. لأنها تستلزم أسلحة كثيرة.. هي أسلحة الإيمان، والصبر، والتسامح، والتجرد عن نزعات الهوى، والايثار، وتغليب المصلحة العامة على المصلحة الخاصة.

الغريب.. أنها كلها أسلحة من صنعنا نحن.. فلماذا نتهاون في امتلاكها.. مادمنا على يقين.. بأنها هي التي تفتح أمامنا الأبواب المغلقة.. وتوفر لنا الزمن، والطمأنينة، وراحة البال..؟؟

فلنستيقظ كلنا هذا الصباح.. منادين.. مهللين «الله.. أكبر».. الله أكبر.. فهو نداء ينقي النفوس من شوائبها.

الله أكبر.

٩٢/١٠/٦

مصلحة المواطن .. أولاً

قال لى المستشار فاروق سيف النصر وزير العدل:

● نحن نعترف أن عدد القضاة غير كاف.. وهناك عشرات الألوف من القضايا مكدسة أمامهم.. لكننا فى نفس الوقت حريصون على تحقيق العدالة السريعة.. فالناس ليس لهم أدنى ذنب فى تعطل مصالحهم. لذلك - والكلام مازال للوزير - أنا مستعد لبحث أى شكوى، والاستماع إلى أية ملاحظة من أى مواطن.. وأتعهد بأنى كفيل بحلها فورا.

رددت:

● ياسيادة الوزير.. اسمح لى أن أصارحك.. بأن هذا الكلام.. نظرى..!! فكيف يتسنى لرجل الشارع العادى - صاحب المصلحة - الاتصال بك.. بينما يوجد فى مكتبك.. سكرتيرون.. ومديرون.. ووكلاء وزارة.. لابد أنهم سوف يحولون دون الاتصال المباشر..؟؟!!

ثم أضفت:

.. واسمح لى أن أقول لك أيضا.. إن وزراء آخرين أبدوا أيضا.. نفس المشاعر الطيبة.. لكن عند التطبيق.. كان الأمر مختلفا تماما.

عاد المستشار فاروق سيف النصر وزير العدل يقول:

● فلتكن أنت قناة الاتصال وذلك حتى يطمئن قلبك.. أرجو أن تنشر دعوة موجهة منى إلى جميع المواطنين.. بأن يتصلوا بك.. أو يبعثوا لك بخطابات عن حقيقة معاناتهم فى أى موقع من مواقع وزارة العدل.. فى المحاكم.. فى النيابات. فى الطب الشرعى.. فى الشهر العقارى.. فى مكتب الخبراء.. ثم. ثم.. أترك الحكم فى النهاية.. لهم، ولك.

سألت الوزير:

.. بالمناسبة.. ماذا تم فى موضوع مساعدى النيابة الذين سبق أن أدوا الامتحان.. ونجحوا.. ثم ألغى تعيينهم..؟؟

أجاب المستشار سيف النصر:

● أنت تعلم حقيقة الظروف التى صاحبت مشكلة هؤلاء «الإخوة».. وقد حاولنا قدر جهدنا العمل على راحتهم.. وأرجو أن تطمئنهم بأن نتيجة الامتحان الجديد الذى أدوه على وشك الظهور.. وإنى أتمنى لهم جميعا التوفيق.

هاأنذا.. أنشر دعوة وزير العدل.. فمن له أى مشكلة. فليتفضل بإرسالها لى.. وسوف أعرض عليه كل مايصلنى أولا بأول.

إن مصلحة المواطن.. فوق جميع الاعتبارات.

٩٢/١٠/٩

عندما تتكلم مصر

موافقة اسرائيل على أن يشارك الفلسطينيون من خارج الأرض المحتلة في مفاوضات السلام.. تعتبر بمثابة اعتراف غير مباشر بمنظمة التحرير الفلسطينية.. وهذا في حد ذاته انتصار كبير.. تحرزه قضية الشرق الأوسط..

***

لقد ظل الاسرائيليون يكنون أبلغ العداء لمنظمة التحرير، ويتهمون رئيسها وأعضاءها بالارهاب، ويصفونهم بأبشع الصفات.. بينما مصر - على الجانب الآخر - تتبنى شعارا يقول.. إن المنظمة هي الممثل الشرعي للفلسطينيين.. وكم وقفت القاهرة وأعلنت رأيها بشجاعة وصراحة مؤكدة على ضرورة تمثيل فلسطينيي الخارج في أية مفاوضات تجرى حول «الأرض مقابل السلام».

لعل القائمين على أمر منظمة التحرير الفلسطينية.. وأولهم ياسر عرفات يفهمون الآن.. بأنه حينما تتكلم مصر.. فلابد أن يصمتوا

جميعا، ولايتفوهوا ببنت شفه.. وتلك ليست دكتاتورية.. وذلك ليس غرورا- حاشا لله.. بل لأن مصر تعرف المصلحة العربية أفضل منهم بكثير.. بحكم خبرتها، وتاريخها الطويل، والدروس التى استفادتها من معارك الحرب والسلام.. وبفضل رجالها الأكفاء، فى العسكرية والدبلوماسية.. نجحت فى تحقيق ماعجز عنه العرب على مدى سنوات طويلة من الزمان.

●●●

ولعل الوقت أيضا يكون قد حان لكى يعى التجربة.. أولئك الذين تجمدت عقولهم، ولم تستطع استيعاب نتائج حرب أكتوبر.. فهاجموا مصر، واتهموها بما ليس فيها.. فاذا بهم الآن يعضون بنان الندم.. لأنهم لو كانوا تدبروا الأمور بحكمة مصر، وبصيرتها.. لأصبح الوضع الفلسطينى حاليا مختلفا بكل المقاييس.

●●●

على أى حال.. لقد تعودنا التسامح، والصفح، والغفران.. لالشئ.. إلا لأن مصالح الشعوب عندنا فوق كل الاعتبارات.. وإذا كانت تصفية الحسابات من خصالنا.. ماجرؤ واحد من هؤلاء الذين ناصبونا يوما العداء بلا سبب على أن يضع يده فى أيدينا تحت وطأة أى ظرف من الظروف.

●●●

نحن نكرر النصيحة لياسر عرفات، وزملائه وجميع الأطراف العربية المشاركة فى مفاوضات السلام.. بأن يصمدوا.. وأن يتحلوا بالصبر.. وأن يتعلموا.. وأن يثقوا في نفوسهم.. ويتأكدوا بأن حل القضية آت لاريب فيه.. وبارك الله فى مصر.. وشعب مصر.. وزعيم مصر.

٩٢/١٠/١٠

مائدة الوحدة الوطنية

أحيى البابا شنودة بطريرك الأقباط على ماقاله فى المؤتمر الجماهيرى للوحدة الوطنية.

إن كلمات البابا.. تؤكد حرصه وحرص الإخوة المسيحيين على أن تبقى مصر دائما بعيدة عن أية خلافات طائفية، أو نزعات مذهبية.

وما أعجبنى أكثر.. النداء الذى وجهه للمسيحيين، والمسلمين.. بألا يستمعوا للشائعات، وألا ينقادوا لها.. بعد أن تبين ـ للأسف ـ أن معظم أحداث العنف وراءها إشاعة كاذبة.. أطلقها شخص، أو مجموعة أشخاص فقدوا الضمير، والولاء.

●●●

لقد طالب البابا شنودة.. بالمحافظة على سمعة مصر أمام العالم، كما أعلن استعداده للقاء أى إنسان.. أو ممثلى أية هيئة من أجل سلام البلاد، وتعزيز الوحدة الوطنية بها.

لاجدال.. أن ذلك كله ينم عن نوايا طيبة تعيد صياغة العلاقة بين المسلمين، والأقباط.. وهى ـ بكل المقاييس ـ علاقة متينة.. مهما حاول البعض سواء من قبل هذا الطرف أو ذاك.. اختراقها..!!

•••

فى شهر رمضان الماضى.. حضرت مأدبة إفطار أقامها البابا شنودة فى البطريركية الكائنة بشارع رمسيس أطلق عليها اسم «مائدة الوحدة الوطنية».. وأشهد أنها كانت كذلك بالفعل.. فعندما تبادلت القيادات الدينية المسلمة، والمسيحية الكلمات.. لم أشعر بأى خلاف.. أو فارق فى المعانى، والمفاهيم فسواء هذه أو تلك.. تضع مصر فى العيون، والقلوب.. وتؤكد استعدادها للذود عن استقرارها، وأمن شعبها.. بكل ما أوتيت من قوة.

نصيحة.. أسديها.. لأولئك الذين أرادوا تنصيب أنفسهم قيّمين على الإسلام، والمسيحية.. أن يبتعدوا عن الديانات السماوية.. وألا يتخذوا منها وسيلة للغوهم، ولمزهم.. فالله سبحانه وتعالى هو وحده صاحب الحق.. فى حساب الإنسان على أفعاله فى الدنيا، وفى الآخرة.. ومن لايؤمن بغير ذلك.. إنما يعتدى على حقوق الله.

•••

وفى النهاية.. تبقى كلمة:

سوف يعيش المسلمون والأقباط تجمعهم وشائج الأخوة، والمودة الخالصة.. طالما أنهم على أرض مصر.. تظلهم سماؤها.. وتدعم

المواقف الوطنية وحدتهم.. مثلما قال البابا ضمن ماقال.. إنه خلال حرب أكتوبر.. كان هناك جيش يقوده أحمد بدوى المسلم.. وجيش يقوده عزيز غالى المسيحى.. يرفرف على الجيشين من الجو حسنى مبارك.

٩٢/١٠/١١

«أسافين» اتحاد العمال

عجيب أمر اتحاد العمال.. إنه مصرّ على تحريض العاملين فى قطاع الأعمال ضد الأوضاع الجديدة فى الشركات..!!

مرة يقولون إنهم مهددون بالفصل.. وتارة يثيرون زوابع ما أنزل الله بها من سلطان عن فقدانهم لبعض الميزات التى كانوا يحصلون عليها قبل صدور القانون رغم أن الواقع يشير إلى غير ذلك تماماً..!!

●●●

إن رئيس الجمهورية يؤكد دوماً بأن الدولة مسئولة عن رعاية أبنائها وأنها لن تفرط فيهم ولن تترك واحداً منهم عرضة لأية ضربة قدر مفاجئة.

القيادات الجديدة للشركات القابضة والتابعة تتفرغ حالياً لإصلاح الهياكل المالية معتمدة على جهود العاملين واجتهاداتهم.

من هنا.. كان مفروضاً على إتحاد العمال تغيير سياسته من جذورها.. يحث على زيادة الانتاج موضحاً حقيقة أساسية هى أن العامل قبل أن يطالب بحقوقه.. عليه أداء واجباته كما ينبغى أن يكون، محاولا تحسين ظروف العمل وتخطى كافة العقبات والصعاب باعتباره مشاركاً فى النتائج سواء أكانت سلبية أو إيجابية. أما التفرغ للنواح وإثارة مشاكل لا وجود لها والاصرار على هز الاستقرار داخل مواقع معينة.. فتلك أمور مرفوضة بكل المقاييس.

●●●

على أى حال إن القضية محصورة أساساً فى الشركات المتعثرة ولا خلاف علي أن السبب فى انهيار تلك الشركات يرجع إلى العاملين أنفسهم الذين سبق أن تخاذلوا وتكاسلوا.. أو تركوا لقيادة فاشلة مهمة تسيير الأمور وفق هواها دون مواجهتها بالحق والمنطق والصراحة والحسم لايقافها عند حدها.

ورغم ذلك كله لقد عقدت الحكومة اتفاقاً مع اتحاد العمال لإيجاد حلول موضوعية لعمال الشركات «الفاشلة».. وليست «المتعثرة» كما يحلو لهم أن يسموها..!!

ورحم الله أيام أحمد العماوى رئيس اتحاد عمال مصر السابق !!

٩٢/٩/٨

أبدًا .. ليس اعتراضًا على مشيئة الله

كنت أود منذ فترة أن أحيى المستشار رجاء العربى النائب العام.. على قراره الإنسانى «الحاسم».. بمنع نقل أعضاء المحكوم عليهم بالاعدام.. إلى أجساد المرضى..! فقد تولد لدى إحساس منذ البـــداية.. بأن هؤلاء الذين ينتظرون الموت فى «زنزانات» انفرادية.. إنما يساء استغلال مواقفهم أسوأ استغلال.. حتى تنتزع منهم موافقات التبرع بأعضائهم..!!

ويبدو أن نفس هذا الاحساس.. هو الذى دفع النائب العام إلى اصدار قراره..!!

●●●

لكن بصـــرف النظر عن حكاية المحكوم عليـــهم بالإعـــدام بالذات.. فإن قضية نقل الأعضاء البشرية مازالت تفرض نفسها على الرأى العام فى شتى بقاع العالم.. هناك شعوب تؤيد.. وأخرى تعارض.. أطباء يصرون على التمسك بأى خيط أمل

رفيع.. وغيرهم.. يرفضون أن يتحول جسم الإنسان إلى حقل تجارب.. مهما بلغت درجة حسن النوايا..!!

•••

أنا شخصيا.. تألمت لوفاة المريض الذى مات بعد أن زرعوا له كبد قرد بـ ٧١ يوما.. لا لشئ إلا لأن مرض الكبد تنوعت أشكاله، وألوانه.. وأصبح خطرا حقيقيا يهدد حياة الأفراد، والأمم.. وقد أثبتت التجارب أن عمليات زرع كبد «بشرى».. تكتنفها صعوبات جمة.. كما أنها تحتاج إلى تكاليف مالية باهظة.. خصوصاً أن النهاية فى الحالتين واحدة..!!

•••

إن الأطباء الذين زرعوا كبد القرد يدركون مسبقا.. بأن الحالة ميئوس منها.. لأنهم على بينة من أن الصفة التشريحية فى كل من الإنسان، والحيوان مختلفة.. لكنهم لايجدون بأسا فى القيام بالمحاولة.. تلو المحاولة إلى أن يتحقق المراد..!! بالضبط.. مثلما حدث من قبل بالنسبة لعمليات زرع القلب، وزرع القرنية.. التى دخلت الآن أطوارا مهمة.. تم خلالها التغلب على مشاكل الماضى..!!

•••

على أى حال.. إن كل مايجرى لايمكن أبدا اعتباره ضد مشيئة الخالق سبحانه وتعالى.. فإرادته.. فوق أى إرادة.. وهو الذى بيده ملكوت كل شئ.. وإليه ترجع الأمور.

٩٢/٩/٩

نعم .. الدين المعاملة

ليس منّاً، أو غروراً.. إذا قلنا إن البلد الإسلامى الوحيد الذى يكرم علماء الأمة، ويدفع بهم إلى مقدمة الصفوف.. ويتخذ من ميلاد الرسول الكريم ﷺ.. القدوة والمثل.. تطبيقاً لحديثه الشريف.. «الدين المعاملة».. هذا البلد هو مصر.

ولقد أجمع العلماء الذين كرمهم الرئيس مبارك بهذه المناسبة الشريفة على أن مايجرى كل عام ليس إلا مظهراً من مظاهر اهتمام مصر، ورعايتها للإسلام.

ولعل ذلك كله خير رد على أولئك الذين يريدون الانحراف بأمور الدين بهدف هز استقرار المجتمع، وأمنه.. لأن الذين جاءوا إلينا يوم مولد النبى ﷺ من شتى بقاع العالم.. أكدوا على أن «الصيحة» الصادرة من القاهرة على مدى ألف عام.. كان لها أبلغ التأثير فى الدعوة إلى الله.. بالحكمة، والموعظة الحسنة.

●●●

إن مصر ـ دون منازع ـ هى بلد الحضارة، والإسلام، والعلوم، والفنون.. ومسئوليتها إزاء أبنائها.. بل إزاء العالم كله.. أن ترفع الرايات فى شتى المجالات.. ملتزمة فى كل وقت بتعاليم الدين الحنيف، ومبادئه، وأركانه.. ولعل هذا سر اختلافها عن سائر الدول الأخرى.. سواء أكانت شعوبها تدين بالإسلام أم بأى دين سماوى آخر.

●●●

وانصافاً للحقيقة .. لابد من الاعتراف ـ مهما كره الكارهون ـ بأن وزير الأوقاف يؤدى جهداً سوف يكافئه الله سبحانه وتعالى عليه يوم القيامة .. فى سبيل اعلاء كلمة الحق ، وإبعاد الاسلام عن كافة المزايدات الرخيصة.

إن الرجل يجوب الكفور ، والنجوع على مدار العام كله رافضا الجلوس على مقعد مكتبه إيماناً منه .. بأن هذا المقعد زائل .. أما الباقى .. فهو نتاج عمل الانسان ، وثمار جده واجتهاده.

●●●

لقد أحسن وزير الأوقاف اختيار المجموعة التى تم تكريمها يوم مولد الرسول الكريم .. فمنهم من تحدث أمام مجلس الشيوخ الأمريكى مطالبا أعضاءه بتوفير الخدمات للمسلمين هناك.. ومنهم من ترجم القرآن إلى اللغة النيجيرية ، ومنهم .. امام مسجد باريس .

انهم باختصار أفراد منتقون .. ولاجدال أنهم يعودون اليوم إلى بلادهم .. وهم أكثر اصراراً ، ، وحماساً على نشر الدعوة على أكمل وجه .

٩٢/٩/١٢

هكذا نشأت الفكرة

حينما يشعر الإنسان «المتفوق»، أو المتميز.. أنه يلقى التكريم، والرعاية.. فسوف يعمل كل مافى وسعه للحفاظ على تفوقه.

من هنا.. فإن أحسن استثمار فى الحياة.. أن يتوافر لأصحاب المواهب، والاستعدادات الطيبة المناخ الذى يساعدهم على صقل مواهبهم، وتأكيد استعداداتهم.

●●●

لقد حرصت صحيفة «الجمهورية» على تكريم الطلبة المتفوقين على مدى ثلاثين عاما كاملة إيمانا منها.. بأن الأجيال الجديدة.. هى القادرة على العطاء.. وهى التى تتحمل تبعات البناء. ونحن «نزعم».. بأن النتائج قد جاءت مسايرة لأفكارنا، وتصوراتنا.. والدليل.. أن جميع من كرمتهم «الجمهورية» خلال هذه المدة الطويلة لم يتخلوا يوما عن أداء الواجب.. ولم يفتر حماسهم أبدا.. عندما كانت تحين ساعة النداء.

●●●

لقد رأينا منذ البداية.. أن الطالب المتفوق.. تتسع مداركه، وتنمو آفاق عقله.. عندما يلتقى بأقرانه فى دول أجنبية.. يستمع إليهم، ويستمعون إليه، ويجرون المقارنات بين هنا، وهناك.

.. وهكذا نشأت فكرة رحلة الجمهورية لأوائل الطلبة..

●●●

إن جميع أوائل الشهادات العامة في مصر يتجهون بقلوب، وعقول مفتوحة إلى ثلاث دول أوروبية.. هى ألمانيا، وفرنسا، وإيطاليا.. ضمن برنامج شامل.. أعددنا بنوده بكل دقة بالاشتراك مع الهيئات العلمية فى الدول الثلاث.. ولقد تعمدنا أن نقول لهم قبل السفر: شاهدوا.. وتعلموا.. وناقشوا.. ثم عبروا عن آرائكم بكل صراحة.. فأنتم سند الديمقراطية التى أرست صرحها بلادكم.. ونحن ملتزمون.. بنشر هذه الآراء على صفحات «الجمهورية».. حتى ولو كانت تخالف آراءنا.

●●●

جاءنى وكيل نيابة متفوق اسمه خالد القاضى.. كان ضمن بعثة الجمهورية للأوائل عام ١٩٨٥ .. ومعه مشروع متكامل لانشاء رابطة لأعضاء هذه البعثة منذ بدايتها.

طبعا.. الفكرة جيدة.. ولاسيما أنها قد جاءت فى موعدها المناسب تماما.. وإنى متفائل بأن الرابطة الجديدة.. سوف تنطلق بأبنائنا إلى آفاق أوسع، وأرحب.

●●●

وفى النهاية.. تبقى كلمة:

ولأن «الصحفى».. ينبغى أيضا.. أن يلتحم بالشعوب على اختلاف ألوانها.. فقد حرصت على أن يرافق بعثة الأوائل.. وفد يضم محررين من جميع صحف مؤسسة دار التحرير.. حتى يعود إلينا أعضاؤه وقد اكتسبوا خبرات، وتجارب جديدة.

●●●

مع السلامة للجميع.. ورحلة موفقة بإذن الله.

١٣/٩/٩٢

صعايدة بالمعنى الحقيقى

واضح أن أهالى .. «منفلوط» .. ناس «جدعان» .. صعايدة بالمعنى الحقيقى .. يدافعون عن كرامتهم إلى أقصى مدى .. لايرضون بأن يظلموا .. أو يظلموا تحت وطأة أى ظرف من الظروف.

●●●

جاءنى منهم وفد كبير، وأرسلوا لى مئات البرقيات، والخطابات .. عاتبين على مانشرته بشأن رئيس مجلس مدينتهم .. الذى اتهمه واحد منهم زوراً وبهتاناً .. بأنه «سب منفلوط، وشتم بنيها»!

الجميع أكدوا .. أن رئيس مجلس المدينة .. رجل يتمتع بكفاءة عالية، وبطهارة اليد، ونظافة اللسان .. وفى عهده شهدت منفلوط نهضة كبرى فى شتى المجالات.

إن أعضاء كل التيارات، والاتجاهات السياسية .. شجبوا موقف الرجل .. الذى وصف رئيس المدينة بما ليس فيه بسبب

دوافع شخصية بحتة.. لاتمت بصلة للصالح العام من قريب أو من بعيد.

•••

ما أعجبنى أكثر، وأكثر.. قولهم فى شجاعة:

.. وهل كان يمكن أن نصمت.. لو أن رئيس مجلس المدينه، أو غيره شتم بلدنا.. وأهلنا.؟؟ ثم يضيفون:

إن الأمانة تقتضى الاعتراف.. بأن الرجل واجه المشاكل بحسم، وموضوعية.. حيث اختفت طوابير الخبز، وأصبحت المستشفيات تؤدى مهامها على الوجه الأكمل، وأضيئت الشوارع، ورصف الكثير منها.. وأفتتح «كوبرى منفلوط».. الذى انتظرناه بفارغ الصبر.

•••

من هنا.. أقول.. إن الإمانة من جانبى أيضا تتطلب الإسراع بإعلاء راية الحقيقة.. لاسيما.. أن الدلائل كلها تشير.. إلى أن شخصاً واحداً «موتوراً».. أراد أن يمارس إرهاباً فكرياً.. فكان من الطبيعى أن تتصدى له الأغلبية.

تحية لأهالى منفلوط الأعزاء.. وتحية لرئيس مجلس مدينتهم.

٩٢/٩/١٦

عصور الغاب .. انتهت إلى غير رجعة

أعلنت مصر.. رفضها القاطع للعدوان الإيرانى على جزر أبوموسى، وطنب الصغرى، وطنب الكبرى.. لأنها ضد سياسة البلطجة، وفرض الأمر الواقع.. بالقوة المسلحة.

كما أكد العرب نفس الموقف - من خلال مجلس جامعتهم - إذ ليس مقبولا أبدا أن تعود طهران.. لممارسة سياسة الإرهاب متمسحة فى رداء الإسلام.. الذى هو منها براء.

●●●

إن الإسلام يرعى حق الجار، ويحمى مصلحة الشقيق.. ويمنع أكل «حقوق الناس» بالباطل، ويحارب الجشع، والتزوير، والتدليس.. ولا جدال أن مافعلته إيران مع «الجارة» دولة الامارات العربية ينطوى على تلك النقائص كلها..!!

من هنا.. كيف تستقيم «الشعارات» التى يرفعها الحكام الايرانيون.. مع الأفعال التى ترتكب كل يوم.. فى حق المسلمين.. سواء فى الداخل.. أو الخارج..؟؟

●●●

إن مصر التى تذود عن الإسلام قولاً، وعملاً، والتى تحرص على تأكيد مبادئه، وتعاليمه فى كل خطوة تخطوها.. إنما تكرر من جديد.. أنها سوف تقف مع الحق إلى آخر المدى.

ولعل إيران.. تعلم جيدا - شأنها شأن سائر الدنيا - أن القيمة، والمعنى بالنسبة لمصر.. يمثلان حجر الزاوية.. فى علاقاتها السياسية الدولية.

●●●

نحن نقول لدولة الإمارات العربية الصديقة - التى تربطنا بها، وبرئيسها الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان علاقات وثيقة - إننا شركاء لكم.. فى الهدف، والمصير.. ولعل التجارب السابقة خير شاهد، وأبلغ دليل.

فلتكابر إيران كما تشاء ولتنتهك الشرعية، والقانون وفق مايزينه «الشيطان» لها.. لكن لابد أن تعلم تماما.. أن عصور الغاب قد ولت إلى غير رجعة.. وأنه ليس من مصلحة شعبها.. الوقوف فى مواجهة المجتمع الدولى.. وها هو ذا رأس الذئب الطائر أمامها.. صدام حسين..!!

●●●

مرة أخرى.. نُعلى صيحة الحق.. من فوق منبر القاهرة: إن جزر أبو موسى، وطنب الكبرى، وطنب الصغرى.. سوف تظل عربية.. رغم مكائد الفرس.. ومكرهم.. ومناوراتهم الخبيثة..!!

وصدق مالك الملك.. «ويمكرون ويمكر الله.. والله خير الماكرين».

٩٢/٩/٢٠

رحمة .. وغفران

مر أول يوم فى اجتماعات «الأستا» كأحلى مايكون.

حفل الافتتاح.. تفوق على حفلات أخرى مثيلة أقيمت فى دول عديدة من قبل.. فقد أضفت مصر الفرعونية على أجوائه.. روعة، وجمالاً لم يشهدها أعضاء المنظمة العالمية من قبل.

الانبهار.. كان واضحاً فى العيون.. ومعانى التقدير، والاحترام لحضارة هذا الشعب تجلت فى لوحات دقيقة التصوير على وجوه هؤلاء الذين «يصدرون» السياحة.. إلى مختلف أنحاء الدنيا.

●●●

لا أخفى عليكم.. أننى - شخصياً - كنت متخوفا من حدوث بعض الثغرات، أو المشاكل فى حفل الافتتاح.. لكن أقولها اليوم.. إن الذين أخذوا على عاتقهم مهمة عقد دورة «الأستا» الحالية فى القاهرة.. وتصدوا للمسئولية الصعبة يستحقون كل تحية، وإجلال.

●●●

أيضاً.. لقد تسابقت جميع فنادق مصر على تقديم أفضل خدمة للمشاركين فى مؤتمر الأستا.. بحيث لايستطيع عضو واحد.. الادعاء بأن الخدمة عندنا تقل ولو بنسبة واحد فى الألف عن أى فندق فى العالم.. وهو الزعم الذى تردد كثيراً.. خلال فترة الإعداد للمؤتمر.

لنأخذ.. فندق «شيراتون الجزيرة».. مثلا.. لما يجرى. إن التعليمات الصريحة، والواضحة لمدير عام الفندق.. تقضى بتقديم كافة التسهيلات للنزلاء من أعضاء المؤتمر.

كل يوم.. يعقد «المدير» اجتماعاً فى مكتبه.. للعاملين معه.. قائلا:

امحوا من قاموس حياتكم.. جميع أدوات الاستفهام لماذا.. من.. كيف.. أين.. هذه كلها كلمات أريدكم أن تنسوها طوال فترة انعقاد المؤتمر.

جميع طلبات النزلاء.. لابد أن تجاب - حتى ولو كانت بالغة الصعوبة - دون مناقشة.

وانصافاً للحقيقة.. فإن جميع معاونى «مدير عام الفندق».. على مستوى المسئولية.. يفهمونه من أول نظرة ويعرفون ماذا يريد.. وبالتالى يجئ الأداء متميزا.. بينما أعضاء «الأستا».. يصفقون، ويهللون، ريشيدون.. بتلك الطفرة السياحية المصرية..

***

لا جدال.. أن سياسة التحرر الاقتصادى التى أخذت مصر فى تطبيقها كانت من أهم عوامل نجاح هذا المؤتمر حيث اختفت العقد: ومظاهر البيروقراطية البالية.. ومعها العقول الجامدة المتحجرة..!

إن جميع الهيئات، والشركات التى تعمل فى قطاع السياحة.. أصبحت تعزف نغمة واحدة.. لاتداخل فيها أبداً لصوت نشاز..!!

وزير السياحة يتعامل مع الجميع.. بقلب واحد.. وفكر مفتوح.. وبالتالى لاتفرقه بين هذا.. وذاك.. إلا بقيمة، ونوعية مايقدمانه من جهد ومايسفر عنه من نتائج.

•••

وفى النهاية.. تبقى كلمة:

إن من أهم سمات المصريين.. الوفاء.. الذى يفرض علينا أن نتذكر رائدين راحلين من رواد السياحة.. طالما راودهما حلم انعقاد مؤتمر «الأستا» فى القاهرة.. لكن شاءت إرادة الله.. أن يغادرا الدنيا.. قبل أن يتحقق حلمهما.. وهما عادل طاهر، ومحمد السقا.

لروحهما العزيزة.. كل تقدير، ورحمة، وغفران.

٩٢/٩/٢٣

مسئولية المجتمع

أبداً.. لن يكون هذا سلوكاً حضارياً بأى مقياس من المقاييس.

نحن شعب تربى أبناؤه على احترام القيم، والمثل وقواعد الدين، والأخلاق.. ولن يسمح واحد فينا.. أن تصبح شريعة الغاب.. هى أساس التعامل فيما بيننا.

وبالتالى.. فإن ماحدث فى مركز أبو حماد بمحافظة الشرقية.. مرفوض جملة، وتفصيلاً.. لأن هناك شيئاً اسمه «قانون» يجب أن ندين له جميعاً بالولاء.. فى نفس الوقت ليس منطقياً.. أن تثير مشاعرنا.. واقعة حدثت.. سواء أكانت فصولها صحيحة أم غير صحيحة.. بحيث ينطلق البعض منا للتخريب، وإلقاء الحجارة، وترويع الناس فى الشوارع، والبيوت..!!

●●●

إذا افترضنا ـ على أسوأ الفروض ـ أن هناك طرفاً أخطأ فى حق الطرف الآخر.. هل يكون ذلك مبرراً.. لرد العدوان بالعدوان..؟؟

إن المجتمع بمفهومه الراقى، والحضارى يعنى أنه عبارة عن مجموعة من الأفراد تحكمهم نظم، ودساتير، وعادات، وتقاليد اتفقوا فيما بينهم على احترامها.. وبالتالى فإن الخروج على أى منها.. يعتبرمساساً بكيان هذا المجتمع - ككل - الذى يسخر جهوده، وإمكاناته، وطاقاته لتوفير سبل الحياة الكريمة لهؤلاء الأفراد.. أصحاب العقد الأساسيين.

إذن.. المجتمع.. مسئول عن محاسبة «الخارج» على شريعته.. وتلك المسئولية تمارسها - فى العصر الحديث - مؤسسات متخصصة تملك من الصلاحيات التى تسمح لها بإنزال أقصى العقاب.

●●●

من هنا.. أقول.. إن بعض أهالى أبو حماد.. الذين نصبوا أنفسهم «حكماً» من غير سند.. واندفعوا يشعلون النار فى سيارات الشرطة، ويلقون الطوب على المركز، ويضربون المأمور ونائبه.. لايمكن أبداً أن يكونوا من نبت هذا الشعب الأصيل.. ولاينتمون إلى محافظة كريمة هى محافظة الشرقية التى نعتز جميعاً ونفخر بأبنائها أمام العالمين.. فنحن فى مصر.. رفعنا طائعين مختارين راية سيادة القانون، وارتضينا أن تظلنا مظلته.. حتى نبعد أى شبهة تفرقة بين إنسان، وإنسان.. ولكى نضمن أن تظل الحقوق مصانة.. والإرادة متحررة من أى ضغط.

●●●

إننى لا أريد أن أستبق الحوادث.. فحوادث الشغب التى وقعت بمركز أبو حماد فى يد النيابة ولاتدخل فى عملها.. لكن ماأؤكد عليه.. أن المشاكل لاتعالج بمزيد من المشاكل.. والعنف لايخلق سوى مزيد من العنف.. ليصبح الخاسر الوحيد.. المواطن العادى.. الذى نعلن فى جرأة وشجاعة أننا لن نتركه وحده عرضة لسلوكيات شاذة مريضة.. بل سنقف بجواره نحمى به ومعه ممتلكاته وممتلكاتنا.. مبادئه.. ومبادئنا.. لأنها ممتلكات، ومبادئ كل الوطن.

٩٢/٩/٢٨

جحود.. واهمال.. وسرقة

ظل المصريون على مدى قرون طويلة يتغنون بالثروة التى توارثوها جيلا بعد جيل.. لكنهم - فى حقيقة الأمر - لم يحسنوا استغلالها.

منذ سنوات مضت.. بدأ الاهتمام بالكنوز الغالية حيث وجهت لها الدولة رعايتها واهتمامها.. مثلما فعلت فى مجالات عديدة أخرى.

●●●

مثلا.. من يصدق.. أن لدينا كميات هائلة من الآثار مكدسة فى المخازن.. لانستطيع الاستفادة بها نتيجة عدم وجود أماكن مناسبة للعرض..؟؟

وهل يعقل.. أن يتعرض ٥٦٠ أثراً إسلامياً فى القاهرة وحدها لاعتداءات سافرة من جانب المواطنين وسط ظروف طبيعية صعبة.. دون أن يفكر أحد فى إنقاذها..؟؟

وكيف قبل الشعب المصرى على نفسه.. أن تنهب أحجار الهرم الأكبر.. لتستخدم فى بناء قصور الأغنياء.. وهو «الرمز».. الذى نفتخر به أمام العالمين..؟؟

•••

يقول رئيس هيئة الآثار.. إن النظرة قد تغيرت الآن تماماً.. حيث ستخرج «الكنوز» من قماقمها لتعرض فى متاحف عامة بمختلف المحافظات تتولى الهيئة إقامتها، وإعدادها بأموالها الخاصة حتى تكون شاهداً على عبقرية المصريين منذ قديم الأزل.

المشكلة أن هناك «محافظين».. يتفهمون الأهداف الكبرى جيداً.. وآخرين ينظرون «للآثار».. على أنها من مخلفات الماضى فيرفضون مد أيدى التعاون متناسين بأن «العائد» سوف يكون كبيراً.. لاسيما وأنهم غير مطالبين إلا بتقديم الأرض فقط.

•••

أيضا.. يقول إن المساجد الأثرية فى المناطق الشعبية عانت كثيرا من تسرب المياه الجوفية.. ومياه الصرف الصحى.. ومن «الاستخدام السيئ».. الأمر الذى دعا هيئة الآثار إلى ضرورة التعامل معها بأسلوب مختلف.. وقد رأت أن الحل الأمثل.. يكمن فى عقد لقاءات مع أهالى كل منطقة لحثهم على المحافظة على «الأثر» ومنع العدوان عليه.. وقد تم الاتفاق على ضم مندوب عن كل حى إلى الهيئة يكون بمثابة حلقة وصل إلى أن يتم إعادة

تجديد كافة المساجد وحمايتها من الآثار الناجمة عن الظروف الجوية، والطبيعية.

●●●

أما عمليات السرقة التى تعرض لها الهرم الأكبر.. فهذه من الصعب علاجها.. فما نهب قد نهب.. لكن الهيئة وجدت فى أهرام «دهشور».. مايمثل إضافة كبيرة.. فانطلقت إليها بقوافلها الفنية تبث فيها الحياة.. بحيث تقف فى عزة وشموخ بجانب شقيقاتها.

●●●

.. وأخيراً.. لعل أبلغ مظاهر العدوان الردىء على آثارنا.. مااكتشفه د. بكر نفسه عندما صعد فوق ظهر «أبو الهول» ليجد أنه قد تحول إلى بئر للمياه امتدت فى عمق كبير إلى تحت الأرض.. وهنا أمر على الفور بردمها.. إذ يكفى ماتعرض له التمثال العظيم من جحود.

●●●

فى النهاية.. تبقى كلمة:

فى عصور سابقة.. لم يكن الحاكم يهتم بالماضى، أو الحاضر، أو المستقبل.. بل كانت «المسكنات» هى وسيلته الوحيدة فى مواجهة المشاكل لفترة زمنية مؤقتة.. أما فى عصر مبارك.. فالموقف مختلف.. لأن الواقعية هى الأساس.. والإنسان هو الوسيلة والغاية فى آن واحد.

٩٢/٨/٧

خلط الأوراق

أحد كتاب حزب الوفد.. الذى كان يمتلك - قبل ثورة يوليو - صحيفة يديرها لحسابه.. ويسير دفتها التحريرية وفق لأغراضه، وأهوائه.. يأتى اليوم - بعد أن منحته الديمقراطية «حق العودة» وهو الذى ظل، وغيره مكتومى الأنفاس طوال ثمانية وعشرين عاما - ليقول فى إحدى مقالاته التى لم تعد تلائم روح العصر فكرا، وأسلوبا، ومنهجا، وصناعة: «إن زحف الديمقراطية سيصل إلى مصر لأنها لاتستطيع مقاومته»..!!

•••

بعد كل هذا.. يريد مالك «صحيفة ماقبل ثورة يوليو» أن ينكر ضوء الشمس.. فيحجب حقيقة.. لايختلف عليها اثنان.. مفروض أن يكون هو أحدهما.. لو كتب حقا.. بضمير نقى، ورؤيا صادقة، وتجرد من نزعات الماضى.. وسلبياته..!!

أى ديمقراطية يقصدها..؟؟

•••

هل هى ديمقراطية «الحزب المستبد» الذى لايعترف بأية قيادة جماعية .. فرد واحد فيه .. هو صاحب الطول، والحول .. لاراد لكلماته .. ولامعقب على أفعاله ..؟؟

أم أن الديمقراطية التى يتمنى زحفها ـ كما يلمح فى إحدى مقالاته ـ هى التى تنصبه ملكا غير متوج .. على «صحيفته» التى امتلكها فى فترة حالكة السواد .. لم يكن فيها للأغلبية من أبناء هذا الشعب نصيب فى أى شئ ..!!

●●●

للأسف .. إن أحزاب المعارضة، وكتابها مصرون هذه الأيام على خلط الأوراق .. إما عن عمد .. أو عن جهل ..!! فهم يعقدون مقارنات ما أنزل الله بها من سلطان .. متناسين بأن مصر هى التى كان لها زمام المبادرة .. عندما أرست مبادئ الديمقراطية، والحرية فى وقت .. كان لايسمع فيه عنهما الكثيرون .. بل كانوا يعتبرونها مساً من الشيطان ..!!

إن المقارنة بزامبيا ـ كما يفعل الكاتب الحزبى إياه، وغيره ـ أو الجزائر، أو الاتحاد السوفيتى .. كمن يحاول جمع ثمرات البرتقال على الليمون ..!! فالفرق شاسع .. والنهج مختلف .. والقاعدة التى قام عليها البنيان الديمقراطى عندنا .. متينة، وقوية .. نتيجة طول فترة التجربة، والممارسة، بعكس الآخرين تماماً.

●●●

إن مالك صحيفة ما قبل الثورة.. يقول إن مصر سوف تصلها الديمقراطية الحقيقية.. حيث لاصحافة حكومية.. ولا إذاعات حكومية.. ولاقيود على حريات الشعب..!!

لاحول.. ولاقوة إلا بالله..!!

أنا شخصيا أعذر الرجل لأن الظروف فرضت عليه أن يعيش في زمان غير الزمان..!! فليس لدينا في مصر حاليا مايمكن أن يطلق عليه لفظ «الصحافة الحكومية».. وإذا كان يقصد الصحافة القومية.. فتلك يمتلكها الشعب الذي يمثله «مجلس الشورى».. ولم يحدث يوماً.. أن تدخل ممثل المالك ليمنع رأيا، أو يحجب فكرا، أو يعترض حتى على نشر خبر.. بعكس صحافة زمان التي كان «صاحبنا» واحدا من أباطرتها.. له سلطة المنع، والمنح.. وبالتالي كُبِّلت إرادة الصحفي رغما عنه..!

كما أن وجود الصحافة القومية.. لم يمنع الصحافة الحزبية، وغير الحزبية من المشاركة.. كل ماهنالك.. أن العاملين في الصحف القومية يتمتعون بحقوق وميزات لاتقدر الأحزاب، أو الهيئات أو الأفراد على توفيرها لهم.. لأنها فوق طاقاتهم، وإمكاناتهم بكثير..!!

●●●

أما المطالبة بإلغاء الإذاعات الحكومية.. فكل دول العالم.. لها محطات إذاعاتها، وتليفزيوناتها.. ولم يقل أحد عندهم إن ذلك

يتنافى مع الديمقراطية، أو الحرية.. ويكفى المصريين فخرا.. أن كثيرا من برامج الإذاعة، والتليفزيون.. تتعرض لقضايا ومشاكل جماهيرية بجرأة، وشجاعة لاتقدر عليها أحزاب المعارضة، وغيرها.. لأننا فى هذا العصر نؤمن بجدوى تبادل وجهات النظر، وأهمية تعدد الآراء.. لأن ذلك لابد وأن يصل بنا فى النهاية إلى النتائج التى ترضينا جميعا.. كشعب.

٤/١/٩٢

الـرد.. عملـى

شعر المواطنون بالاطمئنان.. فور أن وطأت قدما الرئيس مبارك أرض مصر. كانوا نائمين فى العراء.. لكنهم ما إن علموا بنبأ عودة الرئيس من رحلته التى قطعها ليكون بجوارهم.. حتى هجعوا إلى مضاجعهم آمنين.. وادعين..!

●●●

إن مافعلته جميع الأجهزة فى مصر.. كفيل بقطع «الألسنة».. التى دأبت على الزيف، والخداع والتزوير.

للأسف.. هناك مندوبون لبعض الإذاعات الأجنبية تخصصوا فى بث الأخبار الكاذبة.. والناس تسمع.. وقد يصدقون..!

●●●

أى «جماعات» تلك التى قيل إنها قدمت تبرعات للمنكوبين..؟؟

إن مافعلته الحكومة.. أبلغ رد عملى.. على أولئك الذين يقلبون الحقائق.. «ويلوون» ذراع الحقيقة.

على سبيل المثال.. لقد كانت المستشفيات العامة - التى طالما جأرت الأصوات منها بالشكوى - على أعلى قدر من المسئولية.. فقد طلب وزير الصحة من رئيس الشركة القابضة للأدوية فتح مخازن الشركة لتقدم كل ماعندها إلى أقسام الطوارئ، والاستقبال.. وقد كان.

لم تحدث شكوى واحدة من نقص فى الدواء، أو فى «الجبس».. أو فى «الدم».. أو فى الشاش، أو القطن.. أو.. أو..

بالعكس.. كل شئ وفرته الحكومة بدرجة أكثر مما تحتاجه المستشفيات.

أيضا.. هناك «جهاز الإسعاف» الذى تمكن من نقل المتوفين، والمصابين إلى المستشفيات فى زمن قياسى.

على الجانب الآخر.. لم يستقبل مستشفى خاص واحد، أو استثمارى.. أى مصاب.. بل تحملت العبء كله.. المستشفيات الحكومية علماً بأن طلبات أصحاب المستشفيات الخاصة من الدولة لاتتوقف..!! أى أنهم بكل وضوح.. حريصون على أن يأخذوا..دون أن يعطوا..!!

●●●

محافظة القاهرة وحدها.. نجحت فى تسكين ٩٥٠ شقة بالمتضررين من الزلزال خلال ٢٤ ساعة..!!

●●●

المحافظ عمر عبد الآخر يقول إن ٣٠ ألف شقة أخرى فى كل من مدن السلام، والقطامية، والمقطم سوف تكون جاهزة للسكنى خلال ١٥ يوما.

كل ما هنالك.. أن تهدأ أعصاب أصحاب المصلحة قليلا.

إن الكل يقدر ظروفهم.. والدولة فى عصر مبارك لايمكن أن تترك واحدا منهم دون أن تكفل له الرعاية الكاملة.. لكن ماذا يفيد الصراخ، والعويل، والتزاحم..؟؟

لو أن ضحايا «الزلزال الغادر» تحلوا بالصبر قليلا لسارت الأمور فى انسيابية بالغة.. وبلا أية عقبات.

نعم.. قد يكون هناك بعض التعسف من صغار الموظفين، أو بعض التجاوزات.. لكن - والحق يقال - عندما يعرف الوزير أو المحافظ بما يجرى فإنه ينحاز فورا إلى جانب المواطن صاحب المصلحة.. فتلك توجيهات الرئيس مبارك شخصيا لهم جميعا.

إن بعض أصحاب العقارات أرادوا استغلال الموقف لصالحهم.. فانتهزوا الفرصة لإخلاء عقاراتهم من سكانها لاسيما مستأجرى الشقق ذات الإيجار المخفض.. وعاونهم فى ذلك للأسف عدد من رؤساء الأحياء.. لكن ما إن بلغ الخبر عمر عبد الآخر محافظ القاهرة.. حتى أصدر تعليماته الفورية لرؤساء الوحدات الهندسية بوقف كل ما اتخذ من إجراءات وفض «أختام» الشقق والمنازل التى كان قد تم «تشميعها» فى غفلة من الزمن.. كما أصدر قرارا

بألايتم إخــلاء أى منزل حــالتــه مــتــوسطة.. أو حــتـى أقل من المتوسطة.

●●●

وفى النهاية.. تبقى كلمة:

كل مـانريده من الإخوة المتضررين من آثار الزلزال أن يتأكـدوا بأن إصاباتهم.. إصاباتنا.. وخسائرهم خسائرنا.. من هنا نرجوهم أن يلتقطوا الأنفاس لمدة ساعات قليلة فقط.. أكرر ساعـات قليلة.. وليست أياما أو شهورا.

أما بالنسبـة لمراسلى وكالات الأنباء، ومحطات الإذاعـة الأجنبية - الذين هم أولا وأخـيـرا - مـصـريون فإنا لانملك - ونحن فـى هذه الظروف القاسيـة والأليمة - إلا أن نقول لهم.. سامـحكم الله مـقابل ماتبعثون بـه من رسائل غير صادقة.. تبث الرعب، والفزع فى النفوس..!!

١٦/١٠/٩٢

فن إدارة الأزمات

لم يكن سهلاً.. أن يحدث هذا «التناغم» بين كافة الأجهزة التى تعاملت مع الزلزال، وآثاره العنيفة.. دون إعلام قوى، وصادق.. يعرف مهمته جيدا.. ويتقن أداء دوره فى تحريك الجماهير.. وشحذ همم المشاركين فى عمليات الإنقاذ.. وإشعال الحماس فى النفوس.. كل النفوس..

●●●

لقد استطاع صفوت الشريف - والحق يقال - قيادة تلك الكتيبة المتميزة بمهارة على مدى سنوات عديدة.. فكانت النتيجة.. أن أظهر أفرادها براعتهم، وقدراتهم فى أوقات الأزمات.. التى تعتبر - بحق - مقياس النجاح.

●●●

المهم.. أن يستوعب الإعلام الحدث.. فإذا ماتم ذلك بصورة طبيعية.. تقنع «المرسل» أولا.. أمكن القول مسبقا.. إن أية مشكلة تعترض التنفيذ لن تكون ذات بال..!

من هنا .. فإن النداءات التى وجهت للأطباء، والمستشفيات، والمسعفين من خلال الإذاعة والتليفزيون حملت معها أكبر الأثر فى التخفيف من حجم الخسائر.. لأن المصابين وجدوا من ينقلهم إلى المستشفيات.. ومن يتولى تقديم العلاج لهم.. بمافيه إجراء العمليات الدقيقة فى المخ، والأعصاب.

أيضا .. الحرص على نشر أنباء الزلزال أولا بأول، وماخلفه من دمار.. وعدم اخفاء الحقائق.. جعل المواطنين.. يتسابقون للتبرع بدمائهم.. من أجل أن ينقذوا أخوة لهم بعد أن رأوا «صورهم» عبر شاشات التليفزيون.. أو استمعوا إلى أنينهم من خلال ميكروفونات الاذاعة.

●●●

فى نفس الوقت.. لقد أثبت جهاز الإعلام المصرى قدرته الفائقة على التصدى للشائعات الكاذبة، والأخبار المضللة التى كانت تبثها للأسف بعض محطات الاذاعات الأجنبية.

لقد قال صفوت الشريف ـ وقتئذ ـ.. عبارة.. زادت من التفاف الناس حول «إعلامهم المسموع، والمرئى، والمقروء».. غلفها صيغة تساؤل بلهجة ممزوجة بالدهشة، والعتاب، والثقة فى آن واحد:

● هل تعتقدون يوما أننا قد نخفى عنكم خبرا..؟؟ أو أن نقدم لكم معلومة كاذبة..؟؟

●●●

كل ذلك احتاج - ولاشك - إلى استعدادات فنية ضخمة، وإلى ترتيبات تطلبت جهودا خارقة.. ثم.. وهذا هو الأهم إلى «عقل» يخطط، ويوجه، ويرسم برامج التنفيذ، ويتابع.. وإلا وقع مالا يحمد عقباه..!

لقد كان صفوت الشريف حريصا - وسط تلك الدوامة العنيفة - على التأكد من سلامة المولدات الاحتياطية التى تعمل فى حالة انقطاع التيار الكهربائى، وعلى الاطمئنان إلى أن كل محطات الارسال البديلة فى أحسن أحوالها.. وعلى أن العنصر البشرى الذى يقوم بتشغيل الآلات، والكاميرات، ويتحدث للجماهير.. يتمتع بروح معنوية مرتفعة.. لاسيما بعد حالة الذعر التى شملت الجميع صغارا، وكبارا عندما اهتزت الأرض من تحتهم.. «ورقصت» بهم المبانى والعمارات.

تحية لإعلام مصر.. وتحية لصفوت الشريف شخصيا الذى يؤكد للعالم كل يوم.. أن الحرية، والديمقراطية من أصدق أصدقاء «الإعلام» طالما أنه يفهم معانيهما جيدا.. وطالما أن القائمين على أمره واثقون من فكرهم الناضج المتطور دائما.

١٨/١٠/٩٢

رب الأسرة الملتزم

يحكم الرئيس مبارك.. مصر.. بأسلوب رب الأسرة الملتزم الحريص على تأمين حياة كل فرد من أفرادها.

.. ومفاجآت القدر.. متوقعة فى أى وقت.. لكن المهم.. مواجهتها بالصبر، والحكمة، والعلم، والإيمان الثابت الذى لايتزعزع.

●●●

من هنا.. جاء حماس الرئيس مبارك الشديد لسياسة التخطيط، وتأييده، وتشجيعه لمبدأ التوفير.. حتى يستطيع الإنسان التعرف على ملامح صورة المستقبل.. وحتى يجد ما يسند به ظهره فى أوقات الأزمات.

●●●

.. وبصراحة.. لولا إصرار الرئيس على تنفيذ الخطط الخمسية الأولى، والثانية، والثالثة.. ما أعيد إنشاء البنية الأساسية فى

مصر.. وماتجددت ماكينات المصانع التى ظلت معطلة على مدى سنوات طويلة.. وما أقيمت محطات الكهرباء، والمياه، وما استصلحت مئات الألوف من الأفدنة.

.. وبصراحة أكثر.. لولا أن الرئيس - وهو رب الأسرة الملتزم - وضع فى اعتباره ضرورة أن يكون للدولة «رصيد احتياطى».. ماستطعنا مواجهة آثار الزلزال بتلك الصورة الايجابية، وبهذا الرتم السريع.. فقد تحركت الأجهزة كلها بلا تردد.. لأن النقود موجودة.. وكما قال المثل العامي.. من امتلأ جيبه بالنقود.. سار مرفوع الرأس.

●●●

هاهى تكاليف إزالة آثار الزلزال تحتاج إلى أكثر من المليار جنيه.. ولأن «الظهر مسنود».. فلم نتوان عن البدء فى عمليات التنفيذ فورا دون انتظار إلى معونة تأتى من هنا، أو هناك.

طبعا.. نحن لا نقلل من شأن المعونات.. لكننا نقول إنه بها، أو بدونها.. كانت الدولة ستقف بجوار المواطنين المضارين.. وستعيد إصلاح الآثار، والمنشآت التى تصدعت، أو انهارت.

ربنا.. لك الحمد والشكر.

أين نحن الآن.. من عصور سابقة.. كنا نأكل فيها رغيف الخبز «بالدين».. وحينما كانت تحل بنا كارثة نبقى.. «متسمرين» فى

أماكننا.. حتى يجود علينا القريبون، والبعيدون.. بما أعطاهم الله!!.. وهذا هو الفرق.. بين حاكم يعيش الواقع رافضاً التحليق فى الخيال.. لاينس جنيها واحدا إلا فى مكانه.. وبين حاكم آخر لاينظر إلا تحت قدمه فقط.. مطبقا المثل القائل: «اصرف ما فى الجيب يأتيك ما فى الغيب».. وهو مثل تأكد عدم صحته على مدى التاريخ.

٩٢/١٠/٢٠

داء تعذيب الذات

النغمة التى ترددها بعض الإذاعات الأجنبية ـ من خلال مراسليها فى القاهرة للأسف ـ حول مصير المعونات الأجنبية للمتضررين من آثار الزلزال.. نغمة سخيفة وحقيرة، ولا يمكن أن يقبل أحد فينا أن يوصم شعب مصر بصفات معيبة ليست فيه أبداً.

●●●

نحن قوم اشتهرنا بالشهامة والأصالة والتضحيات.. والحكومة بادرت منذ اللحظات الأولى بتقديم كل العون لإنقاذ ضحايا الزلزال.. فهل معقول أن يأتى من يقول إن هذه المعونات سوف تبدد فى غير الطريق المخصص لها؟؟!!

إن أولئك الذين أرادوا إثارة الشغب وتهييج الناس تعمدوا استخدام كافة الوسائل المشروعة وغير المشروعة التى تمكنهم من الوصول إلى هدفهم.. لكن لم يكن يليق أن يجرى خلفهم مراسلو الإذاعات الأجنبية.. وأيضاً بعض كتاب الصحف القومية الذين اتخذ أحدهم هذا الاتهام الظالم مثاراً للتهكم والسخرية!!

على من يتهكمون؟؟!!

والله.. لاأدرى!!

هل الحكومة هى المقصودة؟؟.. إن الحكومة أولا وأخيرا هى حكومة شعب مصر.

أم المقصود المجتمع بصفة عامة بكل فئاته وطوائفه؟؟.. طبعا هذا المجتمع المتحضر العظيم يرفض كل مايمس سمعته واسمه من قريب أو من بعيد.

وأنا هنا لا أدافع عن كيفية استثمار هذه المعونات والمساعدات لأن مجتمعنا أشرف وأنبل من أن يشار إليه بأصابع الاتهام فى قضية لا أساس ولا سند لها من الواقع.. لكن كل ما أريد أن أقوله إنه يوجد بيننا أناس مصابون بداء «تعذيب الذات».. فالمفروض أن المحنة هى محنة الـ ٥٥ مليون مواطن، وليس ثمة مجال أبدا لتصفية حسابات سياسية أو استغلال الموقف لهز الاستقرار فى مصر.. إذ ينبغى عليهم أن يعلموا جيداً أن استقرارنا تذود عنه قيم وضمائر وأخلاق وديانة هذا الشعب الكريم.

●●●

وفى النهاية.. تبقى كلمة.

إننى أذكر هؤلاء المغرضين والمشككين بأنهم طالما اعترضوا من قبل على مبادرات مصر الدائمة والمستمرة لمساعدة شعوب

العالم التى تتعرض لأزمات مثل التى تعرضنا لها كالزلازل والأعاصير والفيضانات.. وكم كانوا يرددون، ولابد أنهم سوف يرددون مستقبلا:

«ألسنا نحن أولى بهذه المعونات؟؟؟!!!».

إذن فهم نماذج تخصص أصحابها فى تمزيق الأحبال الإنسانية وقذف خلق الله بالباطل.

لا سامحهم الله!!

٢١/١٠/٩٢

مسئولية شعبية وقومية

وقع الزلزال وقُضى الأمر وواجهت الحكومة آثاره بكل إيجابية وفهم وتقدير بالغ للمسئولية رغم حقد الحاقدين ومكابرتهم وتزييفهم للحقيقة.

لكن. لقد أكد هذا الزلزال أن مصر قد دخلت فى حزام الزلازل سواء اعترف بذلك «العباقرة» الذين يديرن المرصد المختص أم لم يعترفوا.. وواضح ـ حسب قول هؤلاء أنه من الصعب التنبؤ بوقوع أى زلزال مهما حدث!!

فى نفس الوقت لقد نشط العرافون والمنجمون فى كل أنحاء الدنيا يتنبأون بحدوث زلازل قادمة أشد وأعنف..!!

من هنا أصبح التعامل مع الزلزال مسئولية شعبية وقومية. إذ ليس فى مقدورنا أن نتحمل مزيدا من الخسائر. لا قدر الله ـ أو أن تسقط لنا قائمة جديدة من المنازل أو المبانى الأثرية.

●●●

لقد عقدت نقابة المعلمين مؤخراً اجتماعا برئاسة د. مصطفى كمال حلمي تم فيه الاتفاق على تدريب الطلبة على مواجهة الكوارث بما فيها الزلازل لأن التدريب عندئذ يصبح من الأهمية بمكان وكم نتمنى أن يبدأ تنفيذ الوسائل العلمية لتطبيق ذلك فور عودة الدراسة في المدارس والجامعات.

نحن لا نريد أن ينشغل المدرسون ـ كعادتهم في الدروس الخصوصية بحجة تعويض التلاميذ مافات ثم ننسى الأهداف الكبرى التي أصبحت أمراً حيوياً بالنسبة لنا.

كل المؤشرات تؤكد أن الحماس لم يفتر حتى الآن.. وأن كل الاجراءات تسير بجدية.. لكن كل ما أخشاه أن تطوى ملفات النسيان كارثة الزلزال بعد فترة قد تطول أو تقصر. وهنا تكون الطامة الكبرى.

لذلك فإنني أطالب د. حسين كامل بهاء الدين وزير التعليم قبل أن يصدر قراره بعودة الدراسة أن تنتهي الوزارة من وضع برامج تدريب الطلبة على مواجهة الكوارث موضع التنفيذ.. وهي برامج ـ في تصوري ـ يجب أن يتولاها المختصون في عمليات الإنقاذ وفي الظواهر الطبيعية وليس ما يمنع من أن تمتد إلى مجالات أخرى مثل الحرائق والفيضانات وخلافه.. فالله وحده أعلم بماذا يخبئه لنا القدر.

●●●

أيضا نطالب وزارة التعليم أن تقول لنا بالضبط كيف سيتم تعويض الطلبة عن تلك الفترة التى انقطعوا خلالها عن الدراسة. هل ستلغى أجازة نصف العام؟؟ هل سوف يمتد العام الدراسى فترة أطول؟؟ هل ستنظم مجموعات داخل المدارس بالمجان؟؟.. هل.. هل..؟؟!!.

أسئلة أخرى كثيرة يجب الإجابة عنها قبل عودة الدراسة.. إذ ينبغى أن نضع فى اعتبارنا جيداً بأننا إذا كنا قد خسرنا أكثر من مليار جنيه بسبب انهيارات المبانى.. فإن تعطل العملية التعليمية لمدة يوم واحد يؤدى إلى خسائر أكبر وأكبر..!!

●●●

قبل الزلزال الغادر بأيام قلائل شاركت فى ندوة تليفزيونية مع وزير التعليم دعونا من خلالها إلى المشاركة الشعبية فى دعم الأبنية التعليمية.. واليوم إذا كانت الحكومة قد وحددت الجهة التى تتلقى التبرعات المالية. فلماذا لا يتكفل أهل الخير فى القرى والمدن بإعادة إصلاح المدارس التى «أفسدها» الزلزال...؟

إن تلك الظروف القاسية التى نعيشها والتى أثرت فى رأيى تأثيرا مباشرا على العملية التعليمية أكثر من غيرها تستدعى إذكاء روح الجهود الذاتية لأن الدولة ـ والحق يقال ـ قد اضطرت إلى تحمل أموال طائلة كان مطلوبا منها توجيهها إلى ميادين أخرى غير أن إرادة الله طبعا فوق كل إرادة.

وفى النهاية تبقى كلمة أوجهها إلى هؤلاء الذين مازالوا يصرون على المكابرة على الاستمرار فى اتهام الحكومة بالتقصير:

تعرضت الولايات المتحدة الأمريكية على مدى سنوات لإعصارين مدمرين أحدهما اسمه «جلوريا» والآخر «أندرو» .. وقد أدى الإعصاران إلى تشريد عشرات الألوف بعد أن تهدمت منازلهم أو الأكواخ التى يعيشون فيها حيث إن هناك نسبة غير قليلة من الأمريكيين مازالت تعيش فى أكواخ متواضعة جدا.

فماذا فعلت الحكومة الاتحادية فى أمريكا أو حكومات الولايات التى كانت مسرحا لأحداث الإعصارين؟؟

لقد تم الاكتفاء وقتئذ بتقديم المساعدات العاجلة مثل الغذاء الغطاء والعلاج.. أما مسألة تدبير مسكن بديل فقد تركته لكل أسرة حسب ظروفها..!!

●●●

لقد آثرت أن أشير إلى ذلك اليوم لا لأنى - لا سمح الله - أريد أن أجد للحكومة فى مصر مبررا للتنصل من وعودها أو مسئوليتها.. بل أقول للذين يملأون الدنيا صياحا إن الحكومة فى كل بلاد العالم لديها طاقات محددة تتصرف فى إطارها.

أما حكاية أن هناك أصحاب عقارات أقاموا أدواراً عليا أو سفلى ضاربين عرض الحائط بالقرارات واللوائح والتعليمات فإنى أؤكد أن المسئولية مشتركة تجمع بين الإدارات الهندسية فى الأحياء

والملاك ثم مستأجرى الشقق أو مشتريها.. فأنا شخصيا أشهد أن عديدا من هؤلاء المستأجرين أو المشترين طالما طلبوا وساطتى ليحصل مالك العقار على تصريح بتعلية دور أو أكثر لأنهم تواقون لكى يشغلوا شققا فى عمارة محددة ومنطقة بعينها..!!! وفى كل مرة أرفض التدخل.. غير أن الإصرار يزداد ثم سرعان ما يجدون وسيلة أخرى. ان الإدارات الهندسية فى الأحياء المختلفة بالمحافظات تتعرض لضغوط لا حد لها من أجل إصدار التصاريح «المخالفة» فإذا اعترضت أو تباطأت اتهموا القائمين عليها بالانحراف وتقاضى الرشوة.

طبعا هذا لا يمنع من أن هناك عددا منهم ليسوا فوق مستوى الشبهات. لكن سواء هؤلاء أو أولئك فهم أصلا أناس منا اختاروا السير فى الطريق الخطأ..!!

الغريب.. أنه عندما يصر أحد المحافظين على تطبيق القانون ويأمر «البلدوزر» بهدم الأدوار المخالفة أو إزالة المبانى التى لم تحصل على ترخيص تقوم الدنيا ولا تقعد.. وقد تكرر ذلك على مدى السنوات الماضية كثيرا.. وكان أول من يرفع أسلحة الهجوم هؤلاء الذين يتهمون الحكومة الآن بالتسيب..!!

●●●

إنها مشكلة معقدة ليست وليدة اليوم.. بل هى من مخلفات عصور قديمة. ويجب أن نكون صرحاء مع أنفسنا ونعترف بأن النظريات والكلمات الرنانة شىء.. والواقع العملى شىء آخر.

٩٢/١٠/٢٢

فاقد الشيء لا يعطيه

لن يفـيـد الحكومـة بشيء أن تكذب على الناس ـ كـمـا يزعم البعض ـ حـينمـا تقول إنه لن تحـدث زلازل قـادمـة .. فـالظواهر الطبيـعية ليست من صنع البشر .. ومادام جميع خبـراء العالم يؤكـدون ويصـرون على أن الهـزة العنيـفة لن تتكرر على مـدى سنوات طويلة قادمـة .. فماذا يعيب الحكومة أن تعلن مايقوله هؤلاء الخبراء؟؟

إن بعض كـتـابنا ـ للأسف ـ يجدون هواياتهم فى مـهـاجمـتـهم للحكومـة سواء بحق أو بغيـر حق .. وهـى على الجـانب الآخـر لا يمـكن أن تـتـفـرغ للـرد عـلى كل اتهـام صـحـيـح أو كـاذب .. وإلا انصرفت عن مهمتها الأساسية !!

●●●

أيضا ليس من مصلحة المواطنين أو الحكومة .. أن ينبرى كاتب بعينه ـ تخصص فى «فبركة» الأخبار ودأب على التسرع فى نشر

الروايات التى مـا أنزل الله بهـا من سلطان - للرد على صـحف المعارضة.. لسبب بسيط.. أن فاقد الشيء لن يعطيه، ومن تخلى عن مصداقيته لا يمكن أن يستمع إليه أحد أو يهتم بما يكتب!!

إن هذا الكاتب يكفيه فقط أن يحول رواياته «المفبركة» إلى أفلام سينمائية هابطة.. فتلك حدوده التى لا ينبغى أن يتخطاها بأى حال من الأحوال.

●●●

إن الدولة كلها تقف على قدم وساق.. رئيس الجمهورية وعد بأنه سوف يتابع بنفسه يوما بيوم الترتيبات التى تتخذ لمواجهة آثار الزلزال.. وقد عودنا حسنى مبارك على أنه يفى بوعوده دائما.! منذ الصباح الباكر يتصل برئيس الوزراء والوزراء المختصين والمحافظين يحثهم على ضرورة الإسراع فى إعداد المساكن الخاصة بالمتضررين من الزلزال ويطمئن على حالات المصابين والجرحى ثم يستفسر ما إذا كانت هناك عقبات من أى نوع.

.. ورئيس الوزراء يقوم بجولات على الطبيعة حتى تصبح الصورة دائما مكتملة أمامه.. نفس الحال بالنسبة للعديد من الوزراء والمحافظين الذين لم يعرفوا الراحة منذ أن وقع الزلزال حتى الآن.. لأن المسئولية كبيرة ومن المحال أن تترك الدولة أبناءها فى مثل تلك الظروف القاسية دون رعاية.

●●●

على مدى الأيام الماضية التقيت بنماذج عديدة من الأجانب شاءت ظروف كل منهم أن تقع كارثة طبيعية فى بلده ولم أسمع من أحدهم أن حكومته قد فعلت أكثر مما فعلنا نحن.. بالعكس لقد قال بعضهم إن الحكومة قد ألقت بالعبء الأكبر على المواطنين وجهودهم الذاتية، وقد رضينا بذلك لأننا مقتنعون بأن أمامها مسئوليات أخرى أعم وأشمل.

●●●

أما الذين يتساءلون فى شماتة.. لماذا «تفكر» الحكومة بعد وقوع الكارثة فى اتخاذ إجراءات رادعة ضد تجار الزلازل وغشاشى البناء؟!

والرد فى بساطة..

.. وهل حدث أن وقع عندنا زلزال قبل ذلك بنفس تلك الدرجة من العنف مخلفا وراءه كل هذا الدمار؟؟

لقد وقع الزلزال فقفزت على السطح فئات أرادت أن تتكسب من عنفه وجبروته، وأن تقتنص ميزات على حساب القتلى والجرحى والمشردين فكان من واجب الحكومة أن تتصدى لتلك الفئات.

أليس هذا أمراً طبيعياً وعادياً أم المطلوب أن تصمت وتترك الحبل على الغارب؟؟!! كذلك ليس تقصيراً عندما تقوم الحكومة بمعالجة السلبيات بعد وقوع الكارثة لأن مبدأ التجربة والخطأ وارد فى حياة الأفراد والشعوب.

حقا.. قد يكون هناك كثير من التهاون والتقصير من جانب أجهزة معينة.. وها هو الوقت قد حان للتغلب على الثغرات مع الاعتراف بأن الثمن كان غالياً بكل المقاييس.

•••

وفى النهاية تبقى كلمة:

إن الكلام سهل لكن المهم العمل والعمل الجاد.. والواقع يقول إن هؤلاء «السادة» الجالسين خلف مكاتبهم ينتقدون و«يؤلفون» ويلتقطون الحكايات عبر أسلاك التليفون.. لا يخدمون قضايا الجماهير.. بالعكس إنهم يزيدون المشاكل تعقيداً.. ومن ثم فابتعادهم أرحم وسكوتهم من ذهب.

٩٢/١٠/٢٥

مشروع قومى لتوزيع السكان

لأننا نحتاج - كشعب - إلى كافة الجهود، والآراء، والمقترحات لإصلاح ما أفسده الزلزال.. فإنى أنشر اليوم الرسالة التى بعث بها إلىّ اللواء عبدالحميد محمد عبدالحميد مدير مؤسسات الشرطة بوزارة الداخلية:

لم يعد مفر أمامنا الآن.. من إعلان مشروع قومى لإعادة بناء مصر.. وتوزيع السكان.. إذ لا يمكن تصور أن يعيش ثلث السكان.. بالقاهرة الكبرى وحدها.. بينما محافظة الوادى الجديد التى تمثل نصف مساحة الجمهورية كلها.. لا يتواجد بها سوى ١٢٠ ألف نسمة.. أى مالايزيد عن سعة استاد كرة القدم..! نفس الوضع بالنسبة لشمال، وجنوب سيناء اللتين لا يتجاوزعدد سكانهما ٢٥٠ ألف نسمة.. فى الوقت الذى يمكن أن يستوعبا والوقت الضائع الناتج مالايقل عن عشرة ملايين..!

إن الفاقد اليومى فى وقود السيارات والوقت الضائع الناتج عن تكدس السكان.. يكفيان لتغطية نفقات المشروع القومى المقترح.

●●●

إن تجربة باكستان فى نقل العاصمة كراتشى إلى إسلام أباد.. أثبتت نجاحها ... وليس عيباً إذا طبقناها عندنا.. حتى لا تتحول القاهرة إلى «بومباى الهند» - لا قدر الله - حيث يفترش ما يقرب من أربعة ملايين مواطن أرصفة الشوارع، ويعيشون فى عشش من الصفيح، والورق.. مربوطة بالحبال..!!

●●●

أيضا.. ينبغى أن نضع فى اعتبارنا صعوبة إزالة أعداد كبيرة من العمارات بطريقة «الفأس والمعول».. فهذا الأسلوب بجانب أنه مضيعة للوقت.. فهو يعرض أرواح المواطنين للخطر..!! من هنا ينبغى استخدام «تكنولوجيا المفرقعات الحميدة» التى سبق استخدامها عند إزالة محطة كهرباء شبرا الخيمة القديمة رغم أنها كانت محاطة بمنشآت عديدة ملاصقة لها من كافة الاتجاهات..!!

●●●

وأخيراً.. أقول.. لابد من توجيه نداء عاجل إلى كل من كندا، وفنلندا بالتحديد.. حيث تتوفر لديهما مصانع للبناء العاجل ذات الدور الواحد، والأدوار المتعددة حتى ستة طوابق يطلق عليه «نظام

الهولوكور.. ويمكن للخط الواحد من هذه المصانع أن يقيم ١٥ منزلاً فى اليوم!!

إن تلك النوعية من المبانى توفر ٤٠٪ من خامات البناء، ولا تستخدم الحديد العادى للتسليح لأن الخرسانات فيها من النوع عالى الاجهاد..!! .. ولقد تم بناء فنادق ذات الـ ٥ نجوم، ومستشفيات، ومدارس فى دول عديدة بتلك الطريقة فى زمن قياسى (على سبيل المثال مدرسة كل ٣ شهور من خط واحد) .. كما يوجد فى مصر مصنعان لهذا الغرض إلى جانب خبراء متخصصين على أعلى مستوى!!

٩٢/١٠/٢٨

.. والاعتراف بالخطأ .. ألف فضيلة!

لم تعد المشكلة الآن.. مجرد إزالة آثار الزلزال.. بل يجدر بنا التفكير في الوسائل التي تمنع تكرار ما حدث.. سواء بعد عشرين.. أو خمسين.. أو حتى مائة سنة..!

لقد تحملت الحكومة - لاشك - العبء الأكبر في مواجهة تلك الآثار العنيفة.. لكن لو كانت الحكومة نفسها.. تنبهت إلى خطورة ما يجرى على أرض الواقع.. وتعاملت معه بحسم، وقوة، وإيجابية.. لوفرت عليها، وعلينا الكثير.. والكثير جدا.

نعم.. لقد ابتلانا الله - للأسف - بمجموعة من أصحاب الأصوات العالية.. الذين يملأون الدنيا صياحا.. أمام أية محاولة من محاولات التصحيح.. بحجة الدفاع عن مصالح الجماهير.. فكانت النتيجة - عندما اهتز باطن الأرض بعنف - أن دفعت نفس هذه الجماهير الثمن غاليا!!

●●●

أقاموا المباني العشوائية بعد أن سلبوا أملاك الدولة.. وهى مبان لم تراع فيها أية مواصفات فنية، أو هندسية.. والوضع الطبيعى أن تتدخل الدولة لاسترداد ممتلكاتها وأن تزيل الحكومة المنشآت التى قامت فى غفلة من القانون.. وكم من محاولات بذلت فى هذا الصدد.. لكنها قوبلت بالصراخ، والعويل، واطلاق رصاص الاتهامات.. فكانت النتيجة.. أن خضعت الحكومة للضغط.. وهذا أكبر خطأ وقعت فيه.. إذ ليس معقولا.. أن تصبح الكلمة النهائية للبلطجية، وحرامية الأراضى، والوسطاء، والسماسرة..!!

●●●

أيضا.. تقول الاحصائيات إن نحو ٤٠ فى المائة من مبانى القاهرة الكبرى.. صدرت ضدها قرارات إزالة فى الفترة ما بين عامى ١٩٨٠ و١٩٨١م.. وبدلا من أن يركز وزير الإسكان جهده وفكره على هذه المبانى.. للعمل على إقامتها من جديد على أسس متينة.. نجده قد اتجه ببصره إلى بعيد.. بعيد.. حيث «مراقيا» الجديدة ومراقيا القديمة.. ومارينا.. وفينيسيا.. وغيرها..!!

والسؤال:

هل مهمة وزارة الإسكان والتعمير.. إقامة مساكن، وفيلات عالية المستوى لاتستخدم إلا عدة أيام كل عام.. فى الوقت الذى تترك فيه «الوحدات» التى تحتاج إلى عمليات إنقاذ دائمة.. بلا أدنى اهتمام..!!

لا شك أن معظم الدول الآن تحرص على تعمير المناطق السياحية لكنها تضع نصب عينيها دائما.. ضرورة دعم الاقتصاد القومي.. بمعنى أنها تشجع ـ القطاع الخاص، وليس الحكومة ـ على إقامة فنادق، وموتيلات، وقرى لاستقبال ملايين السياح.. لا أن تخصص الأرض، والمباني لعدد محدود من المواطنين!!.

●●●

أيضاً.. لقد كشفت التجربة القاسية... إلى جانب ما كشفت ـ عن أبعاد هامة.. هي أن المحافظات التي وضعت «خطة مستقبلية» تعتمد على العلم، والدراسة السليمة.. لم تجد صعوبة في التعامل مع آثار الزلزال.. بعكس تلك التي تركت الأمور تسير على عواهنها.. بلا ضابط، أو رابط.. والدليل أن محافظتي القاهرة، والجيزة... عندما فوجئتا بما لم يكن بالحسبان ـ أصابتهما الحيرة لاسيما عندما وجدتا أمامهما أن «المتاح» من الشقق أقل من الطلب بكثير...!! ففي الجيزة مثلا لا توجد سوى ٢٦٠ شقة.. في حين أن عدد المستحقين يبلغ ٢٣٠٠ بعكس محافظة الفيوم التي يمكن القول إن مشكلة المتضررين من الزلزال بها قد انتهت تماماً.. رغم أن الهزة الغادرة.. جاءت من عندها..!!

لقد تم تسكين جميع المواطنين، كما تم صرف التعويضات لأصحاب ٤١٣٢ منزلا ريفيا لكي يتولوا إعادة ترميمها، أو بنائها بمعرفتهم الخاصة.. وبعد ذلك مازالت توجد ٦٥١ شقة خالية بالمحافظة...!!

●●●

من هنا.. نعود، ونؤكد.. بأن «الحسم» ضرورى.. والخضوع لإرهاب أصحاب الأصوات العالية.. عيب خطير.. «الحكومة - أية حكومة - ينبغى أن تظل فى أعين الناس رمزاً «للقوة»»، والهيبة.. واحترام الذات.. وبالتالى كم نتمنى ألا نرى مبانى تدنفع خلال فترة الحظر القائمة من غير أن تتراجع الحكومة عن إزالتها لسبب، أو لآخر.. أو تقتطع مساحات جديدة من أرض الدولة دون أن يدافع عنها أحد.. أو تزداد المساحات «العشوائية» لتنضم إلى سابقاتها.. عندئذ.. لن يكون أمامنا.. سوى الاعتراف بالحقيقة المرة.. هى أن أى زلزال.. مهما بلغت درجة عنفوانه.. لا يؤثر فينا..!!

●●●

لقد عانت الآثار الإسلامية، والمسيحية.. نفس معاناة المساكن، والمنشآت.. فهى الأخرى كانت تحتاج إلى رعاية مستمرة.. ومتابعة دائمة.. وكم نبهنا إلى حجم المهانة التى تتعرض لها.. دون جدوى..!!

حتى عندما وقعت الكارثة.. تعامل معها وزير الثقافة بسلبية شديدة.. وكأن «الكنوز الغالية».. لا تعنينا بشىء..!

إن هناك عديداً من المبانى الأثرية مهددة بالانهيار الكامل بين لحظة وأخرى ورغم أن المواطنين أبلغوا هيئة الآثار.. إلا أن أحداً لم يتحرك لسرعة إنقاذها.. على اعتبار أن لدينا منها الكثير..

على أى حال.. إن آثار الزلزال سوف تنتهى بإذن الله بفضل تكاتفنا جميعاً - كشعب وحكومة - لكن المصلحة تقتضى.. أن نغير من أنماط سلوكنا.. وأن نفكر بأسلوب مختلف.. وأن ننفض عن كواهلنا.. الاتكالية.. وأن نتعامل مع الواقع بالمنطق، والإيجابية.. وأن ندرك مسبقا.. بأن الاعتراف بالخطأ.. ليس فضيلة واحدة فحسب.. بل بمثابة ألف فضيلة.

٢٩ / ١٠ / ٩٢

ليتهم جميعاً .. على نفس المستوى

قبل وقوع الزلزال بعدة أيام.. اتصلت بالمحافظ عمر عبدالآخر محافظ القاهرة.. فوجدته طريح الفراش.. مصابا بنزلة شعبية حادة.. نصحه الطبيب على أثرها.. ألا يبذل مجهودا لمدة ١٥ يوما.. وإلا ازدادت حالته الصحية سوءا..!

●●●

عندما حدث ما حدث.. لم يحس عمر عبدالآخر بنفسه إلا وهو فى الشارع.. مع الناس.. يحاول أن يجد لهم حلا بعد ان تهدمت منازلهم.. أو تصدعت.. ونسى.. ما يعانى منه من آلام فى صدره.

إن مؤهلات عمر عبدالآخر الذاتية، وحماسه المشتعل دائما، وتفانيه فى أداء الواجب.. كلها عوامل ساعدت على تخفيف حدة مشكلة التعامل مع آثار الزلزال فى القاهرة رغم ضخامتها.. ورغم «أحوال» العاصمة التى تتشابك الخيوط، وتتعقد فى شوارعها، وارشاداتها!!

●●●

عندما تنجح محافظة القاهرة فى تسكين ٣٦٤٠ أسرة فى السلام والدويقة خلال أربعة أيام فقط - وهى كل الوحدات المزودة بالمرافق التى تضع يدها عليها - فلابد أن هناك «فكرا» ثاقبا.. استطاع أن يوجه، ويخطط، وينفذ.

لكن المشكلة.. أن الانهيارات توالت.. وعدد العقارات المطلوب هدمها، أو هدم جزء منها، أو تنكيسها.. أخذ يتزايد يوما بعد يوم.. وبالتالى ظهرت أهمية عنصرين أساسيين... كان من الضرورى توافرهما.. التخطيط، والمرافق.. وذمة عمر عبدالآخر - والحق يقال - بريئة من الاثنين.. لأن النظرة المستقبلية.. كان ينبغى أن تبدأ منذ سنوات طويلة مضت.. والرجل جاء إلى مقعده منذ فترة وجيزة.. مع الأخذ فى الاعتبار أن وزير الإسكان يعمل فى واد بعيد تماما..!!

أيضا.. المرافق تحتاج إلى دعم مالى كبير.. لم يكن من السهل توفيره.. وإن كانت الحكومة قد سارعت مؤخرا باعتماد مبلغ ٤٠ مليون جنيه لهذا الغرض

●●●

إن محافظ القاهرة يأمل أن تصل جملة الشقق الصالحة للسكنى مع أوائل عام ١٩٩٣م إلى ٦١ ألفا و٦٧٠ شقة.. وهذه كافية لتغطية كل احتياجات المتضررين من الزلزال الذين ينتظر أن يصل عددهم بعد استكمال المعاينات إلى ١٦ ألف أسرة.

وعمر عبد الآخر - كإنسان، وكمسئول - رجل شهم، وصعيدى جدع.. ويكره «الحال المائل».. وكم نتمنى أن تكون جميع الأجهزة التى تتعاون معه فى تلك المهمة الصعبة.. على نفس المستوى..!

٩٢/١٠/٣١

سيدة .. بعشرات الرجال

استطاعت د. آمال عثمان وزيرة الشئون الاجتماعية والتأمينات.. أن تقيم نوعا من الألفة الحميمة مع ضحايا الزلزال.

ذهبت إليهم فى مخيماتهم.. وتباسطت معهم.. وناقشتهم فى موضوعات شتى.. التف حولها الأبناء، والبنات.. الآباء، والأمهات.. وهى - بنبراتها الهادئة، وشخصيتها المقنعة - لم تترك سؤالا يدور فى الأذهان.. إلا وردت عليه.

لم تحاول أن توزع الوعود الوردية يمينا، ويسارا.. بل آثرت أن تتعامل مع الواقع بالصدق، والموضوعية..

لاشك أنها صادفت صعوبات، التقت بنماذج غريبة من البشر.. لكنها وضعت فى اعتبارها أن تستوعب كل التجاوزات.. لأنها تحس فى أعماقها - مثلنا جميعا - بأن المصيبة ثقيلة.. وقاسية.

●●●

ما أثار ضيق د. آمال عثمان محاولة الكثيرين التدخل فى شئون لاتخصهم.. أو وجود فئات يريد أفرادها فرض إرادتهم بلا مبرر..

طبعا إلى جانب هؤلاء الذين بادروا بالاتجار فى المأساة.. والاستفادة ماديا من أهوال، وكوارث الآخرين.

منذ أول لحظة.. حرصت الوزيرة على أن توقف كل فرد عند حده.. وأن توضح للكافة.. بأن الحكومة قد سعت إلى الضحايا.. لتقديم العون، والمساندة .. وبالتالى فهى ترفض الوصاية من أى كائن من كان.

●●●

بعد فترة وجيزة من الوقت.. كان الناس فى كل المخيمات.. يلتفون حول د. امال عثمان.. وينادونها بلقب «الحاجة».. وهى لا تمل، أ وتضجر.. بعد أن أعلنت أنها تأخذ المسئولية على عاتقها.. بعكس بعض زملائها الوزراء الذين ألقوا الحمل على القيادات الأدنى.

●●●

إن د. آمال عثمان تقول إن ضربة القدر المفاجئة التى تعرض لها أناس كانوا يعيشون فى خير، وأمان داخل بيوتهم.. كفيلة بأن تجعلنا نتسابق لتقديم كل ما لدينا.. من أحاسيس.. ومشاعر.. وعون مادى.. لسبب بسيط.. أن أى واحد فينا.. كان معرضا.. لنفس الموقف.

وفى النهاية .. تبقى كلمة:

حقا.. إن د. آمال عثمان وزيرة.. لكنها فى نفس الوقت «سيدة».. ورغم ذلك فقد تعاملت مع آثار الزلزال.. بجلد، وحكمة عشرات الرجال..

٩٢/١٠/٣٠

عبقرية العرب

لم يكن أحد يتمنى أن ينتهى النزاع العراقى ـ الكويتى.. هذه النهاية الدرامية..!

لقد بدأ العالم كله.. يدرك أن الحروب لا تضع حلا حاسماً للمشاكل.. لكن العرب لابد أن يشذوا عن القاعدة.. ويرفضوا مجرد الحوار.. بين بعضهم البعض..؟؟

●●●

ماذا نستطيع أن نقول..؟؟

هل كان «لقاء جدة» بين العراق والكويت.. مجرد تمثيلية.. تمهيدا للضربة القاضية..؟؟

إن الاجتماع.. لم يستغرق سوى ساعتين.. سافر بعدهما أعضاء الوفدين إلى بلديهما. وبعد وصولهما بفترة وجيزة.. تحركت القوات العسكرية..!

●●●

وكم كان بود العرب جميعا.. أن تظل دائرة الحوار مفتوحة ليس عيبا أن يدافع كل طرف عن مصلحته إلي أقصى مدى.. حتى يتم التوصل إلى الاتفاق..!!.. أما أن تستيقظ الدنيا.. على أزيز الطائرات، وطلقات الرصاص.. فهذا أمر يندى له الجبين..!!

●●●

إن أى اجتماع عربى الآن سواء فى إطار جامعة الدول العربية.. أو مجلس التعاون الخليجى.. أو فى أى شكل من الأشكال لا جدوى من ورائه، ولا طائل حيث أصبحت تلك الاجتماعات تستغل للتمويه.. ولتحقيق مآرب أخرى..!!

وما قيمة أى اجتماع يعقد على أى مستوى.. مادامت النوايا غير صادقة.. و علاقات الأخوة.. لا اعتبار لها..؟؟

●●●

نحن نقول فى أمثالنا العربية...

«حب المال.. وراء كل مصيبة»..!!

وهانحن نؤكد المثل فى علاقاتنا على مستوى الحكومات، والشعوب وليس الأفراد فحسب..!!

والسؤال:

ألم يتسبب الغزو العراقى للكويت.. فى خسائر مالية فادحة للطرفين..؟؟

إن العراق.. مهما حاول من تقديم تبريرات، وذرائع.. فهو قد تكلف أموالا باهظة من أجل الإنفاق على المعركة، ومن أجل «ترسيخ» جهوده داخل الأرض المحتلة..!!

أما الكويت.. فما تحملته أفدح، وأفظع.. لأنها خسرت كرامتها.. والكرامة عند العرب.. لا تقدر بمليارات الدينارات، أو بآلاف الملايين من براميل البترول..!!

●●●

إذن.. ألم يكن من الأفضل بالنسبة.. للاثنين أن يعقدا «صفقة متكافئة» منذ بداية الأمر.. تحفظ كلا من المال، والكرامة من الضياع..؟؟

●●●

والأخطر من هذا كله.. أن يحدث تدخل خارجى من أية دولة أجنبية بحجة الدفاع عن مصالحها فى الخليج..!!

عندئذ سوف تكون الخسارة عامة، وشاملة.. والكرامة السليبة.. عادة لا تسترد إلا بعد عمر طويل..!!

●●●

بصراحة.. إن العرب «عباقرة» فى وضع أنفسهم فى «مواقف حرجة».. لكى يظلوا إلى الأبد.. إما خائفين.. أو منتظرين حماية الآخرين..!!

وكلتا الحالتين.. أسوأ من الأخرى..!!

٩٠/٨/٣

لغة القوة

أثبتت تجربة «غزو الكويت».. أن المال لا قيمة له إذا لم يكفل لصاحبه الحماية، ويضمن له حياة عزيزة آمنة أبد الدهر..!!

ولقد اعتبرت معظم «دول النفط».. أن أرصدة البنوك التى تتضخم فى الخارج يوما بعد يوم.. تكفى لتحقيق الأبهة، والعظمة.. وتلبية كل ما تشتهيه الأنفس.. لكنها تناست للأسف «تجنيب» جزء من هذه الأرصدة للحفاظ على ما يسمى«بحرية الإرادة».

●●●

إن الكويت تعلم يقينا.. أن العراق يضع «عينه» عليها منذ زمن طويل.. ويعتبرها «قضاء» تابعا لمحافظة البصرة.. وتضم سجلات وزارة الخارجية الكويتية.. كافة الحقائق بشأن المحاولات العراقية لضم أرض الكويت. من بين هذه السجلات. محاضر اجتماعات مجلس الوزراء العراقى برئاسة عبدالكريم قاسم فى شهر يونيو عام١٩٦١م التى خصصت لبحث الموضوع.. حيث كان الأعضاء

العسكريون فى المجلس يرون أن «عودة» الكويت.. لا تتم إلا عن طريق احتلالها.. ثم إعلان نبأ انضمامها للعراق..!! بينما فضل الأعضاء المدنيون وعلى رأسهم هاشم جواد وزير الخارجية اتباع الوسائل الدبلوماسية.. باعتبارها أسهل وأضمن.!!

●●●

إذن.. ألم يدفع كل ذلك.. حكام الكويت - على مدى ٢٩ عاما - إلى إقامة جيش قوى.. يصد الغارات المحتملة.. ويحمى إرادة شعبهم..!!

قد يقال.. إن القلة العددية للسكان الوطنيين.. لا تساعد على إنشاء جيش بالمعنى المفهوم.. لكن ربما كانت تلك الحجة مقبولة فى فترات زمنية معينة.. أما الآن.. فقد أصبحت الأجهزة المتقدمة.. هى الأساس.. وهذه من السهل الحصول عليها. طالما أن المال متوفر.. إلى جانب أن هناك مائة وسيلة، ووسيلة.. لإيجاد نظام دفاعى سليم يقف أمامه الغزاة طويلا.. قبل أن يتمكنوا من اختراقه.. عندما ضاعت كل الأرض.. فى ساعات قليلة..!!

●●●

طبعا.. إن هذا ليس مبرراً لكى يلتهم القوى.. الضعيف.. بصرف النظر عما إذا كان «الضعيف».. هو المسئول الأول والأخير عن الحال الذى وصل إليه رغم ما يتمتع به من إمكانات هائلة..!!

لكن.. يجب أن يكون واضحاً.. أن العالم لا يعترف إلا بلغة «القوة».. وأى شعب يعهد للآخرين بمهمة حمايته عند اللزوم.. إنما يتشبث «بالأحبال الدايبة»..!!

ولعل أبلغ دليل.. تردد الولايات المتحدة فى اللجوء للخيار العسكرى رغم طلب حكومة الكويت - رسميا - مساعدتها.. لأن القرار ليس من السهولة بمكان.. فى نفس الوقت..أى تدخل أجنبى من أى شكل أو لون مرفوض عربيا.. إذ ليس منطقيا أبدا.. أن يقف العرب محذرين من هذا التدخل.. ثم يجيئون لتأييده، والتهليل له.. مهما بلغ «حجم النزيف».. الذى أدمى القلوب...!!

●●●

على أى حال.. إن «تراجيديا الكويت».. قد تساعد فى المستقبل كثيرا من الشعوب العربية على إعادة تصحيح أساليب حياتها.

المهم الآن... اكتشاف طريقة الإنقاذ..!!

٩٠/٨/٤

فتوة.. الحى

اقتناص حقوق، وأموال الآخرين لا يمكن أن يمر أبداً دون عقاب.

هناك القوانين الوضعية التى تنظم العلاقات بين الناس بعضهم، والبعض الآخر.. ومن تثبت إدانته.. إما أن يصدر ضده حكم بالإعدام.. إذا ما تأكدت المحكمة التى تمثل المجتمع أنه «قطع الطريق» للوصول إلى غايته.. وذلك تطبيقا لقول الحق سبحانه وتعالى:

«إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم» . (صدق الله العظيم) .

أو أن تكتفى المحكمة بالأشغال الشاقة التى قد تصل إلى «المؤبد».. أى السجن لمدة ٢٥ عاماً.

طبعا.. لابد أن نضع فى اعتبارنا.. أن عقاب السماء.. أشد، وأقوى.. من أى عقاب فى الدنيا.

●●●

«هو».. رجل عريض المنكبين ذو شارب كثيف اشتهر بين سكان الحى الشعبى الذى يقطن فيه.. بأنه لايقيم وزنا لعلاقات الجيرة، أو القرابة.. بل كل همه الحصول على المال بأية وسيلة مشروعه أو غير مشروعة..!!

وقد تعود على مفاجأة ضحاياه فى منتصف الليل.. فإذا ما بزغ «ضوء الفجر».. حاول أن يبدو فى شخصية غير شخصيته..!!

●●●

جاءه يوماً من يخبره.. بأن أحد أصدقاء المرحوم والده قد اكتشف كنزاً فى المنزل الذى توارثته الأسرة أباً عن جد.. هذا الكنز يضم جميع الخيرات التى طالما سمع عنها فى «الحواديت».. من مرجان، ياقوت، وذهب، وفضة، وأموال سائلة..!!

وأبلغوه.. بأن مكتشف «الكنز».. قد بعث لاستدعاء أهله، وذويه.. ليتم توزيع محتوياته عليهم.. بالعدل، والقسطاس.. لذلك.. فإن الضربة القاضية.. تكون بالاستيلاء على الكنز.. قبل أن يطلع النهار...!!

●●●

قام «فتوة الحى» باستدعاء أعوانه على عجل حيث وزع عليهم الأدوار.. وكالعادة لم يناقشه أحد..!!

ثم أصدر تعليماته الصارمة بالحصول على الكنز فى ساعات محدودة.. وحملهم مسئولية التأخير فى التنفيذ..!!

●●●

حاول بعض الأعوان الاعتراض على أساس.. أن المنزل الذى سيهاجمونه... طالما أوتهم جدرانه فى ليال كانوا لا يجدون المأوى.. وطالما أغدق عليهم صاحبه.. فى أوقات العسر، والشدة..!! فما كان «منه» إلا أن أخرج مسدسه.. ليخمد الأصوات المعارضة..!!

●●●

على الفور.. هرع باقى الأتباع لتنفيذ العملية حسب الخطة الموضوعة.. وعندما اقتحموا المنزل اكتشفوا بأن جميع سكانه يغطون فى نوم أو فى سبات عميق.. وكأن المال، والذهب.. سيوفران لهم الأمان.. ويردان عنهم أطماع المغيرين..!! وفى لمح البصر.. تم اختطاف الكنز..!!

●●●

استيقظ أبناء الحى فى الصباح.. على صراخ، وعويل، وبكاء حار.. بينما الرجل صاحب الكنز يلطم خديه، ويهيل التراب على رأسه..طالباً مساعدته فى إعادة ماله، وذهبه..!!

وتجمع الناس... وكالعادة في مثل هذه الظروف ـ تداخلت الكلمات بعضها في البعض الآخر.. فمنهم من ينحي باللائمة على صاحب الكنز الذى فشل في الحفاظ عليه.. ومنهم من يطالب بضرورة القصاص.. ومنهم من يصر على إبلاغ الشرطة أولا بدلا من تضييع الوقت..!!

●●●

وبالفعل تم إبلاغ الشرطة التي مازالت تجمع تحرياتها رغم أن الحادث مر عليه زمن طويل..!!

٩٠/٨/٥

حكم القدر

لابد أن يكون مفهوما أن «تعيين» حكومة جديدة بالكويت.. ينطوى على دلالات بالغة الأهمية:

أولا: لقد نصب العراق من نفسه الآن «شرطيا» فى المنطقة.. هو الذى له الأمر والنهى.. من حقه فرض الإثارة التى يريدها.. ومن يعترض على «الدفع».. عليه تحمل تبعات عناده، ومكابرته..!

ثانيا: ازدادت «عقد الغرور».. ومن تصور أنه صنع النصر بمفرده بالأمس.. يعود اليوم مزهواً بانتصار زائف جاء نتيجة عدم تعادل كفتى الميزان..!!

ثالثا: آمن العراق بأن الحرب الكلامية لها فوائدها إذ إنها يمكن أن تعطى صورة غير واقعية عن «القوة».. وبالتالى تتردد الأطراف الأخرى عند التفكير فى «الهجوم»..!!

رابعا: قلب موازين المفاهيم بالنسبة للشرعية، والقوانين الدولية، ومبادئ الحق، والعدل.. وهذا سوف تظهر آثاره السلبية

على خريطة السياسة العالمية خلال الشهور، والسنوات القادمة.

خامسا: أوجد هزة عنيفة فى العلاقات ـ العربية.. تحطمت معها الآمال، والمصالح المشتركة.. وبالتالى اختلطت الأوراق بصورة لم يسبق لها مثيل.. ولم يعد أحد يعرف بالضبط من هو الصديق.. ومن هو العدو..!!

●●●

للأسف.. وسط هذا المناخ.. تأتى بعض الدول العربية لترفض قرار مجلس الجامعة الذى طالب العراق بالانسحاب الفورى، وغير المشروط إلى مواقعه قبل العدوان مؤكدا على عدم الاعتراف بما ترتب على هذا العدوان..!!

ولقد تسببت تلك الدول تلقائيا فى خلق ثغرة حاول أن ينفذ منها العراق.. الذى قال إن قرار مجلس جامعة الدول العربية باطل لأنه لم يصدر بالإجماع..!!

والسؤال

هل ما فعله العراق ضد الكويت.. يحتمل الاختلاف بصدده..؟!

لقد تمت عملية «الغزو» التى قتل خلالها من قتل من البشر.. ونهب ما نهب من المال والذهب..!!

فهل يمكن أن يطلق على هذه العملية.. أى اسم آخر..؟!!

●●●

إن ما يثير الحيرة والأسى فى آن واحد، أن الجميع متفقون فى الظاهر.. لكن عندما تجيء لحظة الاختبار الحقيقية.. تتعارض المصالح.. وتصطدم الآراء..!!

والويل.. كل الويل.. لكل من حكم عليه القدر أن يولد عربيا.. إذ سوف يمضى حياته كلها يئن ويشكو من الصراعات، والخلافات، وسوء القصد.. وقبل هذا كله.. من انعدام المبادئ..!!

ويا حسرتاه..!!

٩٠/٨/٦

الحساب . . وصل!!

الكويتيون فى الخارج.. يعيشون الآن ظروفا قاسية.. فهم لا يستطيعون العودة إلى بلادهم.. كما أن معظمهم لم يعد يملك المال الذى يفى بمتطلباته الأساسية لا سيما بعد انهيار سعر الدينار، ورفض البنوك فى عديد من دول العالم التعامل به..!!

●●●

فى أحد الأيام.. استقل أحد الأخوة الكويتيين «سيارة تاكسى».. من مصر الجديدة إلى المهندسين..!!

وعندما حاول أن يمد يده فى جيبه لدفع ثمن «التوصيلة» فاجأه سائق التاكسى:

«الحساب» وصل.. شكراً.. !! ثم أسرع بسيارته واختفى عن الأنظار حتى دون أن ينتظر الرد..!!

●●●

أيضا.. أدركت أسرة كويتية عريقة أن إقامتها فى الفندق سوف تتكلف الكثير الذى قد تعجز عن سداده مستقبلا.. فكلفت أحد «السماسرة» بالبحث لها عن شقة فى منطقة الدقى.

ونشط «السمسار» من أجل إيجاد الشقة المفروشة المطلوبة، ثم رفض أن يتقاضى من رب الأسرة جنيها واحداً.. بالرغم من أن أجره فى الظروف العادية يتراوح ما بين ٣٠٠ و ٤٠٠ جنيه..!!

●●●

.. وهذه هى مصر.

لقد تربى شعبها على القيم، والأصالة وتعود منذ قديم الأزل على تقديم المساعدة لكل من يحتاجها.

«والأخوة الكويتيون».. تربطنا بهم علاقات مودة، وحب، وعروبة، ودين.. ولا يمكن أن يتعرضوا أبداً لأزمة طارئة خارجة عن إرادتهم.. ثم نقف لنتفرج عليهم..!!

ربما يعتبر شيئاً طبيعياً فى بعض المجتمعات الأخرى.. أن كل إنسان يعيش لنفسه فقط.. ولا أحد يهتم بضربات القدر المفاجئة التى تصيب غيره.. لكن الحال عندنا مختلف.. مختلف.

●●●

من هنا.. اسمحوا لى أن أوجه نداء لتقديم المساعدة الممكنة.. لإخواننا الكويتيين الذين يعيشون بيننا الآن.

فقد ضرب «سائق التاكسى» البسيط المثل.. امتنع عن تحصيل الأجرة من المواطن الكويتى.

أيضاً.. فعل نفسى الشيء.. سمسار «الشقق المفروشة». وقد اتصل بى أحد الأصدقاء وأبلغنى أنه على استعداد لاستضافة ثلاث، أو أربع أسر كويتية فى منزله، ومنازل أشقائه.. حتى تنفرج الأزمة.

كما عرض صديق آخر.. يملك فندقاً عائماً فى النيل.. تخصيص ٢٥ غرفة من غرف الفندق بلا مقابل.. لأى مواطن كويتى لا يستطيع حالياً مواجهة نفقات إقامته فى مصر.

●●●

إنها دعوة.. لجميع أبناء مصر الذين يتصفون بالشهامة، والكرم، والحرص على مد يد العون للغريب، للمشاركة فى إزالة البقعة السوداء.. التى لطخت الثوب العربى الكويتى.

فكر فى الوسيلة.. التى تستطيع أن تحقق بها هذا الغرض.. وأنا تحت أمرك.. تأكيداً لمثلنا المصرى الحبيب الذى يقول:

«الله يخليك «يا شدة» .. اللى عرفتينى عدوى.. من حبيبى»!!

٩٠/٨/٧

ثعلب و٣ أرانب

فى غمرة الأحداث.. نسيت كل الأطراف.. شعب العراق..!!

إن خسارة هذا الشعب - للأسف - فادحة.. وسوف يدفع ثمناً باهظاً.. مقابل أشياء لا ناقة له فيها ولا جمل..!!

فمن قال إن غالبية العراقيين.. تؤيد غزو الكويت..؟!

لا تصدق أبدا.. أن شعبا جرب ويلات الحروب، ونتائجها المدمرة.. يمكن أن يدخل فى تجربة حرب جديدة.. مهما كانت المبررات..!!

●●●

لقد تحركت القوات العراقية فى الفجر.. دون علم الشعب الكويتى، ولا الشعب العراقى.. وفوجىء الناس هنا، وهناك بالبيانات العسكرية.. تتوالى.

والعراقيون.. مغلوبون على أمرهم.. فهم لابد أن يهللوا، ويصفقوا، ويقفوا فى الشوارع تحت الشمس الحارقة بالساعات لإعلان الولاء، والتأييد!!

ولا تصدق.. أن ما يذاع من خلال شاشات التليفزيون، أو عبر ميكروفونات الإذاعة.. يعبر عن الشعب العراقى بأى حال من الأحوال..!!

●●●

ولقد فرضت دول العالم عقوبات اقتصادية ضد العراق.. وهذا يعنى أن المواطن العادى يمكن أن يتعرض للجوع، والتشرد.. ولن يجد من ينقذه.. كل ما هنالك أنه سوف يستمع إلى بيانات حماسية.. تطالبه بمزيد من التحمل، والتضحية من أجل إرساء دعائم مرحلة جديدة فى تاريخ الأمة العربية..!! ينقشع فيها الظلام عن سماء العراق..!!

وربما تخفت حدة هذه البيانات بعد فترة.. ليظل ذلك الشعب المغلوب على أمره.. سنوات وسنوات يجنى ثمار الخطيئة.

●●●

وهنا يثور سؤال مهم:

قد يكون من حق الإنسان أن يغامر بحياته، ويقامر بمستقبله.. فتلك مسألة شخصية وإن كان الله سبحانه وتعالى قد وهبه العقل حتى يستطيع التمييز بين الخطأ والصواب.

لكن هل من حق كائن من كان أن يودى بمصير شعب بأكمله بينما الدنيا على مشارف القرن الواحد والعشرين..!!

●●●

فى المجتمعات المتأخرة.. وقبل أن تتحدد معالم الدولة بمعناها المفهوم.. كان رئيس العشيرة، أو القبيلة يجمع الناس.. ويشرح لهم الأخطار التى تهددهم من العشيرة أو القبيلة المجاورة.. ثم يتشاورون فيما بينهم.. حول الوسائل التى تكفل لهم الحماية، والأمن.

وفى معظم الأحوال.. كان يتم الاتفاق.. على تبادل الرسل بين الفريقين حتى يتم التوصل إلى حل نهائي.. فإذا ما تعذر ذلك ولم يعد هناك مناص من الحرب.. وجب على رئيس القبيلة أن يعرض الأمر على الناس مرة أخرى لإبلاغهم بفشل المفاوضات السلمية.. ويترك لهم حرية القرارباعتبارهم الجنود الذين سيخوضون المعركة..!!

●●●

لهذا.. يبدو غريبا الآن بعد أن تطورت الدنيا هذا التطور المذهل.. أن يصدر قرار الحرب.. فى غيبة عن الشعب.. ثم يضطر هذا الشعب إلى دفع الثمن وهو صاغر..!!

وإن كانت كل الشواهد لا توحى بتلك الغربة.. بعد أن تشابكت الخيوط، واختلطت الأوراق.. وأصبحت المواقف المصيرية.. تحددها رغبات ذاتية بحتة.. ومصالح أفراد.. وليس مصالح شعوب.

●●●

ولعلنى أشير إلى إحدى حكايات «كليلة ودمنة» عن الثعلب والأرانب الثلاثة..!!

الحكاية باختصار.. أن الثعلب قرر بينه وبين نفسه.. أن «يلتهم» الأرانب الثلاثة لكن على «مراحل» لأنه يريد التلذذ بطعم كل واحد منها على حدة..!!

. جاء الثعلب.. واستمال اثنين من الأرانب إلى صفه.. وأخذ يقول لهما من معسول الكلام ما جعلهما يعطيانه ثقة لا حدود لها.. وفى النهاية أسر إليهما بأنه يريد التهام الأرنب الثالث.. فوافقا على الفور.. وهللا له.. بل إنهما أوقعا زميلهما فى الفخ.. حتى يسهل على الثعلب اصطياده..!!

عاد الثعلب يكرر حكايته.. مع واحد من الاثنين الباقيين.. ثم نجح فى التهام زميله.. وأخيرا.. لم يبق إلا الأرنب الثالث الذى أصبح لقمة سهلة فى فمه.. ولم «يحتج» للمجهود الذى تطلبه التهام زميليه الآخرين..!!

●●●

تذكرت هذه الحكاية.. لأن بعض الدول العربية تصورت أنها يمكن أن تأمن شر العراق.. إذا ما أيدت غزوه للكويت.. ولو كانت تلك الدول ـ للأسف ـ قد قرأت حكاية الثعلب والأرانب الثلاثة ما فكرت أبدا فى الاندفاع بهذه الصورة.. وإلا فإنها تمهد الطريق لغزو أراضيها مستقبلا.

المهم.. أن تكون «الرسالة وصلت» ويتأكد الأخوة العرب الذين أيدوا العراق.. أن العالم إذا كان قد وقف إلى جانب الكويت اليوم.. فالمحتمل أن تتغير الظروف.. بحيث لا يجدون من يقف بجوارهم غداً.

وفي النهاية تبقى كلمة:

لقد أخذ العراق يصدر البيانات الحماسية التي تطالب بضرورة مواجهة سياسة إسرائيل التوسعية، والقضاء على صلفها، وغرورها.. وإذا به ـ للأسف ـ يعطيها أبلغ ذريعة «للانقضاض» على الأردن.. بحجة حماية حدودها..!! وهذا ما بدأت إسرائيل تلمح به مؤخراً..!!

إنها قمة المأساة..!!

٩٠/٨/٩

انتهى زمن العنتريات

أمام الرئيس العراقى صدام حسين فرصة ذهبية لإنقاذ بلاده، وإنقاذ الوطن العربى كله.. وإنقاذ نفسه.. من الكارثة المحتملة.. والمتوقعة.

●●●

إن زمن «العنتريات».. قد انتهى إلى غير رجعة.. والعناد قد يكون مقبولاً بين الأفراد بعضهم والبعض.. لكنه لا يمكن أن يصبح أساساً فى العلاقات الدولية.. خصوصا فى مراحل الخطر..!!

والمنطق يقول: من المستحيل أن يكون صدام حسين.. هو صاحب الحق الوحيد.. بينما العالم كله على خطأ..!!

●●●

وإذا كانت مشكلة الحدود والنفط بين العراق، والكويت.. قد تم التعامل معها.. بأعلى قدر من التهور، والغرور، والتسلط.. فقد حانت اللحظة الحاسمة لتصحيح أخطاء «الأسبوع الأسود».. الذى بدأ بغزو الكويت.. وانتهى بضمها عنوة إلى العراق..!!

●●●

إن الكرامة العربية الآن ترقد فى غرفة الرعاية المركزة وتحتاج إلى إنعاش سريع لإنقاذها .. وعار علينا أن نقضى عليها بالموت مهما كانت الظروف..!!

●●●

ليس عيبا.. أن يأتى الرئيس صدام حسين.. ويعلن فى شجاعة انسحاب قواته من الكويت.. وإلغاء قرار ضمها للعراق.

إنه بهذا يحافظ على كرامته، وكرامة الأمة العربية وليس العكس.. لكن العيب كل العيب.. أن نشعل بأنفسنا اللهب.. ثم نقف عاجزين عن التصرف.. أو نستغيث طالبين النجدة.. فلا نجد من يلبى النداء..!!

●●●

وفى كل الأحوال.. لابد أن تتضح حقيقتان أساسيتان:

الأولى : قرار السلام.. أصعب بكثير من قرار الحرب.. وإذا كان الرئيس صدام حسين يلقى حرجا فى التراجع عن موقفه.. فالأولى أن يضع فى اعتباره بأن الدنيا كلها تحترم من يزن الأمور بميزان دقيق بحيث يسمو فى تفكيره.. ويتجرد عن نزعاته الذاتية.. ولعل ذلك يرضيه فى النهاية.

ثانيا : أى حاكم.. مكلف من قبل شعبه بتحقيق الأمن، والاستقرار على أرض بلاده .. وبالتالى.. فإن الرئيس صدام حسين، ومعه كل الزعماء العرب.. مطالبون بإيجاد الصيغة التى تحمى شعوبهم من «الدمار» .. وإلا كان حسابهم عسيرا فى الدنيا والآخرة..!!

لكن السؤال:

وما ذنب الحكام العرب.. لو اتفقوا على هذه الصيغة بدقائقها، وتفصيلاتها.. ثم رفضها صدام حسين..؟!

دعونا.. نكن متفائلين.. وندعو للجميع بالهداية.. وأن يعينهم الله.. على التوصل إلى أفضل وأسرع طرق العلاج.

وليتذكروا - وأولهم صدام - أن النار.. حينما يكون وقودها الناس والحجارة.. يصبح إطفاؤها.. ضربا.. من ضروب الخيال..!!

٩٠/٨/١٠

وقفة مع صدام حسين

ما كنت أريد أن أدخل فى جدل مع الرئيس صدام حسين.. إذ يكفى «حكم المجتمع الدولى» عليه بعد إصراره على موقفه بالنسبة لاحتلال الكويت بالقوة.. وضم أراضيها إليه فى غيبة من الشعبين العراقى، والكويتى على السواء.. ثم تهديده العسكرى للمملكة العربية السعودية.

لكن قيام الرئيس «صدام» بإصدار بيانين فيهما ما يمس مصر.. وشعب مصر.. ورئيس مصر.. يستوجب وقفة «عاقلة» لكى تعرف الدنيا.. أن «الحرب الكلامية» التى طالما نصحنا بعدم اللجوء إليها.. لا يمكن أن يتطاير رذاذها.. لكى يصل إلينا.

●●●

لقد أدلى ناطق رسمى عراقى تعقيبا على بيان الرئيس حسنى مبارك الذى كشف فيه المواقف العراقية والكويتية بكل الأمانة والصدق يوم الأربعاء الماضى - ببيان زعم فيه أن صدام حسين لم

يعد الرئيس مبارك بعدم الاعتداء على الكويت.. فالرئيس صدام - كما يقول الناطق الرسمى العراقى - ليس من النوع الذى يطلق الكلام جزافا أو أنه لا يكون رقيقا فى القول، والوعد.

وأنا بدورى أقول.. إننا فى مصر كنا حتى وقت قريب نعتقد ذلك بالفعل بالنسبة للرئيس صدام.. وكنا نثق فى وعوده، وصدق كلماته.. فى حين أن دولا عربية كثيرة أبدت تحفظها على علاقتنا به.. لأنها تعرف صدام عن قرب.. بحكم العلاقات السابقة بينها وبينه.. وطالما كررت أنه رجل سريع التقلب..!

وكنا من ناحيتنا نرى.. أن التجربة العملية.. سوف تكون الحكم الأساسى وهى التى تحدد صدق النوايا من عدمه.

●●●

ثم جاءت أزمة الكويت.. لنكتشف أن الرئيس صدام مستعد أن يغير مواقفه فى اليوم الواحد أكثر من مائة مرة.. وأنه شديد البراعة فى الفصل بين الأقوال، والأفعال.

ولعل أبلغ دليل.. ادعاء العراق بعد زيارة الرئيس مبارك العاجلة فى محاولة لمنع تدهور الموقف بينه وبين الكويت.. أن الهدف من الزيارة لم يكن بحث الأزمة.. بل مناقشة العلاقات الثنائية..!!

●●●

أين الصدق فى ذلك.. وأين الدقة التى يقول الناطق الرسمى العراقى إن صدام حسين حريص عليها..؟؟ وكيف واتتهم الجرأة لتضليل الرأى العام العربى والعالمى إلى هذه الدرجة..؟!

لقد ظل الرئيس حسنى مبارك ثلاث ساعات كاملة يتحدث مع صدام حسين حول الأزمة، ويضع أفكاره وتصوراته - وهذا ما اعترف به الناطق الرسمي العراقى فى البيان - بل تعرض الرئيس إلى أدق التفصيلات.. فكيف إذن يجيء العراق ويدعى أن الزيارة لبحث العلاقات الثنائية..؟!

إن الرئيس مبارك حينما قرأ البرقية وهو على متن الطائرة فى طريقه إلى الكويت من بغداد.. أدرك بينه وبين نفسه أن النوايا بدأت تظهر على حقيقتها.. وأن الرئيس صدام أخذ يمارس «لعبة السياسة» بمفهومها السلبى الذى لم يقتنع به الرئيس مبارك أبدا.. بل ينأى بنفسه عنه.

●●●

أما أن الرئيس صدام لم يعد الرئيس مبارك بعدم العدوان على الكويت.. فإن أبلغ رد على هذا الزعم يأتى من نفس بيان الناطق الرسمى العراقى.

قال البيان بالحرف الواحد:

لقد سأل الرئيس حسنى مبارك.. الرئيس صدام حسين.. عما إذا كانت القوات المسلحة العراقية تحتشد باتجاه الكويت ومنها الحرس الجمهورى..؟! فأجاب الرئيس صدام بأنه بغض النظر عن حجم ونوع القوة وأماكنها.. فإن القوات العراقية ومنها الحرس الجمهورى عدا القوات التى تدافع عن الفاو، وأم قاسم . موجودة

فى أماكنها المعتادة التى غالبا ما تجرى تدريباتها فيها.. بل إن بعضها.. فى مناطق أسكانها فى ظروف الحرب مع إيران وتبعد عن خط الدوريات مسافات بعيدة بعضها يصل إلى انخمسين كيلو مترا..!

إذن.. أليس فى هذا اعتراف صريح بأن القوات العراقية بعيدة عن حدود الكويت.. وإن كنت أود أن أوضح أن صدام حسين قال وقتئذ إنها بعيدة جدا من ٧٠ إلى ٨٠ كيلو مترا.. وليس ٥٠ كيلو مترا كما يدعى بيان الناطق الرسمى العراقى..!!

●●●

ثم يحاول البيان تزييف الحقيقة مرة أخرى فيتول.. إنه عندما أراد الرئيس مبارك أن يعرف ما إذا كانت هناك نية لأى عمل عسكرى.. أجاب الرئيس صدام.. بأنه وبغض النظر عن حجم الحشد ومسمياته.. فإننى أعدك «كأخ».. بألا أستخدم القوة.. حتى ينعقد الاجتماع الذى تم الاتفاق عليه فى جدة بين عزة إبراهيم نائب رئيس مجلس قيادة الثورة العراقى وبين الأمير سعد العبد الله رئيس وزراء الكويت..!!

وهنا أود أن أقول للرئيس صدام حسين.. بأن العبارة الأخيرة وهى «لن أستخدم القوة حتى ينعقد اجتماع جدة».. قد أضيفت مؤخرا.. كى تجد ذريعة للهجوم.. ولمحاولة إثبات أنك لم تقدم وعدا للرئيس مبارك بعدم العدوان.

ولنفترض أنك قمت تلك المبادرة - وهذا بالطبع أمر مستبعد - ألم تكن تحتم العلاقة الوثيقة بينك وبين الرئيس مبارك، والمواقف الكريمة التى وقفتها مصر بجانب شعب العراق فى أزمات كثيرة، والإشادة المستمرة من جانب الرئيس مبارك بك.. أقول.. ألا يحتم كل ذلك.. ضرورة الرجوع إلى الرئيس قبل أن تتخذ قرار الحرب ضد الكويت.. ولا سيما أنك تعلم بأنه ضد أى عدوان من هذا النوع.. لا شىء.. إلا لأنه حريص على التضامن العربى.. ويدرك بحكم حسه السياسى، وخبرته العسكرية.. أن العدان يمكن أن يؤدى إلى عواقب وخيمة.. مثلما حدث بالفعل..؟!

يا أخ صدام .. إذا أردت أن تجد لنفسك تبريرا.. فالأمانة تقتضى بألا يكون هذا التبرير على حساب الآخرين.. لاسيما وأنت تتعامل مع زعيم أكبر دولة عربية فى المنطقة سواء أردت، أم لم ترد.

•••

أما البيان الثانى الصادر من بغداد.. فهو الذى أطلقت عليه إذاعة بغداد.. ما يسمى بنداء من الرئيس صدام حسين إلى جماهير الأمة العربية.. ووضح فيه التدخل السافر من جانبه فى الأمور الداخلية للمملكة العربية السعودية.. وهو الذى كان يؤكد قبل إذاعة البيان بدقائق بأن العلاقات بين العراق والسعودية على مدى الزمن كانت وثيقة وعميقة.. وأنه لم يفكر أبدا فى الاعتداء على أراضيها..!!

المهم.. لقد تعرض البيان.. إلى أمر أساسى يخص الشعب المصرى.. الذى يطالبه صدام حسين بمنع مرور السفن الأجنبية من عبور قناة السويس.."!

ونحن نقول لصدام حسين:

إن مصر.. هى دولة مؤسسات بمعنى الكلمة.. القرار فيها يصدر بمشاركة جماعية.. والذى يريد أن يتعلم كان عليه أن يتوقف ولو لحظة واحدة أثناء إلقاء الرئيس لبيان يوم الأربعاء الماضى.. فقد حرص على الاجتماع بقادة الأحزاب السياسية.. وأعضاء الحكومة وممثلى الصحافة.. ليكون الجميع على بينة بما يجرى بعكس الحال فى العراق.. حيث يفاجأ الناس بأنباء تحرك الطائرات، وغزو أراضى الغير.. من ميكروفونات الإذاعة، وشاشات التليفزيون.

●●●

إن شعب مصر يعرف مصلحته جيدا.. وهوشعب صاحب مبادئ يحترم المواثيق الدولية، والعلاقات بينه وبين العالم بأسره.. وكم كنت أتمنى أن تستمع «يا أخ» صدام إلى خطباء المساجد فى جميع أنحاء مصر.. وهم ينددون فى خطبة الجمعة أمس بفعلتك الشنعاء تجاه غزو الكويت يطالبونك بالانصياع إلى صوت العقل. بدلا من أن تدمر شعوب آمنة مسالمة.

وعلى هذا الاساس يرفض شعب مصر.. أن يستمع منك إلى نداء، أو بيان خاص به.. لأنكم يا أمة العرب.. تعرفون - والحمد

لله ـ أننا خير شعوب الارض.. نعتز بقيمنا، وأصالتنا، وحضارتنا.. وبالتالى لا نفرط فيها.. دون أن نستمع إلى كلمات ساذجة عفا عليها الزمن.. ولم تعد تسمعها الآذان...!!

●●●

وفى النهاية تبقى كلمة

الآن.. بعد أن انتهينا من صدام حسين.. لى كلمة عتاب على بعض الدول العربية لا سيما التى تجمعنا معها.. اتفاقية مجلس التعاون العربى...!! فأنا لا أريد مثلا التحدث عن منظمة التحرير الفلسطينية لأن نوايا القائمين عليها معروفة والتنسيق بينها وبين العراق.. لايحتاج حتى إلى مجرد تعليق جديد.. بعد أن كشفتهما التجارب السابقة..!

●●●

لكن ما يثير الدهشة والعجب حقيقة.. موقف جمهورية اليمن التى امتنعت عن التصويت على قرار القمة العربية والذى يؤكد الالتزام بقرارات مجلس الأمن أرقام ٦٦٠ و٦٦١ و٦٦٢ التى تؤكد الشرعية الدولية، وتدين العدوان العراقى على دولة الكويت وعدم الاعتراف بقرار العراق ضمها إليه.

أنا لا أدرى على أى أساس اتخذت اليمن قرارها بالامتناع عن التصويت..؟!

هل هو خشية من بطش العراق. أم مجاملة له.. أم الاعتراف بمبدأ ضم أراضى الغير بالقوة...؟!

إنها ـ بلاشك ـ أسئلة محيرة .. لا أجد ومعى الكثيرون إجابة مقنعة عنها.

●●●

أيضا. موقف الأردن الذى تحفظ على القرار رغم أنه يدرك جيدا.. بأن آثار الأزمة يمكن أن تشمله بطريق مباشر أو غير مباشر...!!

وإذا كان العراق أوجد الحل الأمثل لمشاكله فى الاستيلاء على أراضى الكويت.. فان هناك أطرافا أخرى تضع نفس الحل نصب عينيها.. ما كان يليق بالاردن ابدا أن تفتح ثغرة هى فى غنى عنها.

●●●

أما موقف السودان.. فهو أيضا لا يحتاج إلى تعليق وكان الله فى عون الشعب السودانى الذى علق آمالا كبيرة على «الأخ» عمر البشير.. ثم سرعان ما وجدها تتبخر فى الهواء.

●●●

على أى حال.. إن المحنة كبيرة.. والخطر داهم.. وما كان ينبغى على العرب.. أن يزيدوا من حجم «الشرخ» لكننا فى كل الأحوال نحمد الله سبحانه وتعالى الذى لا يحمد على مكروه سواه..!!

٩٠/٨/١١

اجتهادات شخصية

استهل الرئيس حسنى مبارك كلمته أمام مؤتمر القمة العربى الذى دعا لعقده فى القاهرة .. بمنتهى حسن النية، وصدقها.

لقد حرص الرئيس على التأكيد أن المؤتمر لم يقصد به أن يكون ساحة لتوجيه الاتهامات ضد العراق.. بل الهدف الأساسى المحافظة على القطر الشقيق، وإنجازاته، وقيادته.

●●●

أعلن الرئيس ذلك على الملأ.. بكل الصراحة، والوضوح.. رغم إصرار العراق على تصعيد الموقف.. والعمل على زيادة الأزمة حدة، وتفاقما قبل بدء انعقاد المؤتمر بساعات قليلة.. ولعل «التصريحات الباطلة» التى أدلى بها وزير خارجيته طارق عزيز قبل أن يتوجه إلى قاعة الاجتماع خير شاهد وأبلغ دليل..!!

لقد أراد طارق عزيز - كما هى العادة - تبرير الهجوم على الكويت.. بادعاءات لاتستند إلى أى أساس من الصحة. وهى

الادعاءات التى يحاولون من خلالها تشويه كل مبادرة مخلصة للتسوية.. وإيهام الرأى العام العالمى بأن التصريحات التى تصدر عن بغداد هى الوحيدة الصحيحة.. بينما كافة الدلائل تثبت العكس تماما.

●●●

المهم.. كل هذا لم يغير فى موقف الرئيس مبارك، ولن يغيره.. لأن مصر ـ كما يعرف الجميع ـ صاحبة مبادىء.. ومستحيل أن تتنازل عن مبادئها مهما كانت الظروف.. من هنا كان الحرص على الابتعاد بجو المؤتمر.. عن أن يكون ساحة للمحاكمة.. لأى طرف من الأطراف.

●●●

إن العالم كله متفق على ضرورة انسحاب العراق من الكويت فورا، وبلا شروط.. وإعادة حكومتها الشرعية لها.. ورفض مسألة ضمها عنوة.. لأن من يعترض على ذلك.. إنما يخالف أبسط قواعد الشرعية، والمواثيق الدولية.. الأمر الذى لم يعد له مكان فى عالم اليوم.

●●●

واسمحوا لى أن أقدم «اجتهادات» شخصية بحتة حول الاحتمالات المتوقعة للأزمة.. على ضوء موقف الملوك والرؤساء العرب الذين احتضنتهم القاهرة .. وعلى قرارات مجلس جامعة

الدول العربية فى دورته غير العادية وأيضا على قرارات مجلس الامن المتلاحقة والتى أصبحت بمثابةمسلسلات تحمل أرقام ٦٦٠ و٦٦٢،٦٦١ .

واضح أن الرئيس العراقى صدام حسين.. متوهم بأنه على حق. والدنيا كلها على باطل.. وهو مازال مصرا على أن من حقه ضم الكويت.. باعتبارها «قضاء» من البصرة وهو إنما يتخذ هذا المسلك تحقيقا لمصلحة الشعبين فى البلدين.. أو بتعبير أدق - حسب تصوره - تحقيقا لمصلحة الشعب العراقى فحسب الذى ذاب فيه شعب الكويت بجرة قلم..!!

والرئيس صدام فى هذا الصدد لايريد الاعتراف بأية قرارات عربية، أو دولية تستهدف تغيير «خطته» . أو إجراء أية تعديلات عليها..!!

وبناء عليه.. يرفض سحب قواته.. ويمتنع تماماً عن مناقشة «مبدأ» عودة آل الصباح للكويت حيث لم يعد لهم مكان.. سواء هم أو غيرهم بعد قرار «الضم»..

حتى شعب الكويت نفسه ليس من حقه مناقشة الموضوع لاسيما أنه يمثل ٤٠ فى المائة فقط من مجموع سكان البلد «السابقين»..!!

●●●

إذن.. إلى أين المصير..؟؟

المصير طبعا محفوف بأكبر قدر من المخاطر.. ولقد اجتمعت القمة العربية فى القاهرة.. فى محاولة لإيجاد فرصة أخيرة «للحل

العربى» . ولكى تبرىء «الأسرة» ذمتها .. وتقول فى صراحة ممزوجة بالألم لابن عزيز عليها:

الاصرار على الخطأ.. يؤدى إلى أوخم النتائج.. راجع نفسك. وأعد تقييم موقفك لأن «العار» لن ينالك وحدك.. بل سيصل يطاردنا نحن أيضاً طوال العمر.. فالظُفر - كما يقول المثل العامى - لا يمكن أن «يخرج» من اللحم..!!

●●●

والمفروض أن يستجيب الابن نظرا لما تملكه الأسرة من حقوق كبيرة عليه.. لكن ماذا يكون الحال إذا ضرب عرض الحائط.. بكل النصائح، واستهان بكل التحذيرات..؟؟

الجواب.. يأتى فى قول الحق سبحانه تعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم:

«ونادى نوح ربه.. فقال رب.. إن ابنى من أهلى وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين.. قال يا نوح إنه ليس من أهلك.. إنه عمل غير صالح فلا تسألن ماليس لك به علم. إنى أعظك أن تكون من الجاهلين».

صدق الله العظيم

٩٠/٨/١١

الإنسان المصرى .. مختلف

الاحصائيات التى ذكرها الرئيس حسنى مبارك أمام مؤتمر القمة الأفريقى بأديس أبابا.. يجب أن تكون محور دراسة تحليلية ،مة وشاملة.. ليس من قبل دول أفريقيا فحسب.. بل من جميع دول العالم بلا استثناء.

فقد أشار الرئيس إلى أن هناك ١٦٠ مليون نسمة فى افريقيا يعيشون تحت «خط الفقر».. والعدد بطبيعة الحال.. ليس هينا .. لاسيما أن «خط الفقر».. يعنى أن هؤلاء المواطنين من أبناء أفريقيا.. لا يجدون ما يقوم أودهم.. مما يؤدى إلى وقوعهم صرعى مرض الجوع.. وهو ـ للأسف ـ أصبح مرضا منتشرا الآن فى أفريقيا كلها.

●●●

فى أديس أبابا.. شاهدت بنفسى الأطفال، والنساء، والرجال.. يقفون فى الشارع.. وقد غطى لون غريب من «الصفار» وجوههم

الداكنة.. وهم يشيرون بأصابعهم إلى أفواههم.. أى أنهم فى حاجة إلى طعام..!

ثم .. ثم تنتفض أجسادهم فجأة.. ويسقطون على الأرض.. وسرعان ما يغادرون الحياة..!

●●●

ولا شك أن ما يحدث فى أديس أبابا.. يتكرر فى دول أفريقية كثيرة.. فهل من العدالة فى شىء.. أن تقف الدول الغنية.. متفرجة... أو صامتة؟؟.. المنطق بالطبع يقول لا.. وألف لا..!

لكن السؤال:

ماهو الحل..؟؟

●●●

بداية.. أقول إن الانسان الأفريقى.. مسئول بنسبة كبيرة.. عما يحيط به من كوارث لأنه غالبا.. غير متحمس للعمل، وللإنتاج.. يتوهم أن السماء يمكن أن تلقى عليه بالذهب، والفضة.. فى حين أن الذهب، والفضة موجودان فى باطن الأرض، ويحتاجان إلى جهد للتنقيب عنهما.. غير أنه عادة يترك هذه المهمة لغيره من الأوروبيين، أو الآسيويين، أو الامريكيين !..

أيضا .. معظم دول أفريقيا - بعد أن تحررت من الاستعمار الذى ظل جاثما على صدر شعوبها فترة طويلة - لم تنجح حتى الآن فى إقامة بنيان متكامل «Sytem» تتحدد من خلاله صلاحيات الفرد،

والحكومة .. من هنا قد لا يشكل المواطن السبب المباشر فى انخفاض معدلات انتاجه .. بل تشاركه فى ذلك الحكومة التى لم تضع النظام الأمثل .. الذى يتيح له فرصة إظهار استعداداته، وملكاته، ومواهبه .

●●●

فى نفس الوقت .. إذا كانت دول أفريقيا قد استطاعت أن تكون «منظمة واحدة» تلتقى تحت لوائها .. فإن هذه الدول لم تتوصل حتى الآن إلى إيجاد نوع من التنسيق فيما بينها .. يوزع الطاقات البشرية، والمادية .. على أساس احتياجات كل دولة وإمكاناتها الطبيعية ، والبشرية .

وقد أثبتت التجربة .. أن عددا لا يستهان به من دول أفريقيا .. إنشغلت فى صراعات داخلية بحتة .. وتفرغت «الحكومات» .. للبحث عن السبل التى تحمى بقاءها، واستمرارها .. بينما تركت بطون شعوبها .. تئن ، وتتوجع ..!!

●●●

أخيرا .. تبقى مسئولية الدول الغنية ، أو الدائنة .. وهذه مسئولية لا يستهان بها .. بل يجب عليها أن تتذكر دائما ما قرره الرئيس حسنى مبارك أمام مجلس قمة منظمة الوحدة الأفريقية يوم الاثنين الماضى من أن «احتمالات الأمن، والسلام .. تتزعزع إذ استمرت حالة عدم الاستقرار فى الدول النامية، والفقيرة .. بسبب احتياجات تلك الدول من الغذاء، والخدمات الصحية، والتعليمية

والأساسية .. إلى جانب تطلعاتها المشروعة نحو التنمية المستمرة، والبيئة الملائمة.

لهذا .. كان من الضرورى - وهذا ما يؤكد عليه الرئيس مبارك دائما - إيجاد حل لمشكلة المديونية التى فاقت كل التصورات والتى تستنفد ٢٣٠ فى المائة من صادرات الدول الأفريقية..!

والحل لا يتأتى .. إلا إذا اقتنعت الدول الدائنة أولا بأن مستقبل شعوبها ذاتها، ومستقبل أجيالها المقبلة مهدد طالما استمرت أفريقيا تعانى من الظلم والقهر ، والجوع .

إن العالم كله .. كرة صغيرة .. يتأثر فيه الغنى بالفقير ، والعكس .. وإذا لم ترجع الدول الدائنة عن عنادها ومكابرتها، وأصرت على رفض وضع الصيغة التى تسمح للدول المدينة بتنفيذ برامج التنمية فيها .. سوف يصبح على الدنيا السلام ..!!

●●●

على الوجه المقابل .. حينما يتم حل مشكلة المديونية حلا جذريا .. وتتاح الفرص أمام الدول النامية للبناء، والتعمير ، وإقامة المشروعات، وزيادة حجم الصادرات .. ورغم ذلك تعجز عن التنفيذ ومسايرة ركب الحضارة .. فإنها وحدها - عندئذ هى التى تتحمل تبعات عجزها، قصورها، وتواكلها.

فى النهاية.. تبقى كلمة:

نحن فى مصر - باعتبارنا دولة أفريقية، ومدينة فى آن واحد - يجب أن نشكر الله سبحانه وتعالى عشرات المرات فى اليوم.. إذ

يكفى أننا نسير فى تنفيذ خطط التنمية الاقتصادية، والاجتماعية بعزيمة لاتلين، وصبر لا ينفد ورغم كل الضغوط التى نتعرض لها.

كما نتولى سداد أقساط ديوننا أولاً بأول.. ونجحنا حتى الآن - بشهادة كل المؤسسات الاقتصادية العالمية - فى وضع القواعد الأساسية الناجحة لإصلاح اقتصادى بدت مؤشراته واضحة للعيان ولعل كل هذا يرجع إلى أن «الانسان» فى مصر.. رغم بعض الانتقادات التى توجه إليه أحيانا.. إنسان واع.. مدرك لحقيقة الأوضاع داخل بلده، وخارجه، لديه الاستعداد لبذل أقصى الجهد لتحسين مستوى الحياة على وجه هذه الأرض.

وتلك مقومات كفيلة بتحديد «الخطوط الفاصلة».. بيننا بين الذين لا يقيمون للمستقبل أى حساب.

٩٠/٨/١٢

دستور خاص

لابد أن نتعود على مناقشة أمورنا بالديمقراطية. أنتم تعرفون أننا كلنا زملاء، ورفاق سلاح.. وكم تكون سعادتى حينما أستمع للرأى الآخر..!!

نحن جميعا بشر.. وجل من لا يسهو، أو يخطئ.. لذلك.. فإن أى «فكرة».. يمكن تحويلها إلى خطط مدروسة، وبرامج عمل متكاملة.

●●●

نظر الجالسون على مائدة الاجتماع بعضهم إلى بعض.. وفى عيونهم علامات إستفهام كثيرة.. وإن كان كل منهم يريد أن يكون المتحدث الأخير.. «لكنه».. ضرب المائدة بيده ثم قال فى انفعال:

ما الذى ألم بكم..؟! هل أقول كلاما غريبا..؟ إننا يجب أن نتصارح، ونتكاشف.. ويعرف كل منا.. مكنونات نفس الآخر.. وطريقة تفكيره.. والأسلوب الذى إختاره لادارة دفة البلاد مستقبلا..!

يا رفاق.. إن المسئولية.. جماعية.

●●●

تطوع أحد «الأعضاء» ليفتح باب المناقشة مؤكدا.. «أنها» بداية خير.. وأن الحياة فى هذا العهد الجديد.. ستكون وردية فى كل شئ..!!

على الفور.. توالت الكلمات من الباقين.. «والرجل الكبير» ينصت باهتمام بالغ.. مشجعاً على الاستمرار فى إبداء الملاحظات، والاستمرار فى توجيه الانتقادات، مادام الهدف.. المصلحة العامة..!

●●●

قبل أن ينتهى الاجتماع بدقائق.. سأل «الرجل الكبير»:

من الذى يوافق على عقد هذا الاجتماع مرة كل أسبوع..؟؟

ارتفعت أيدى الذين كانوا قد انبروا للحديث.. أما الذين آثروا الصمت.. فقد أعلنوا.. أنهم يوافقون.. على ما يوافق عليه..!!

فى هدوء.. رجا بأن تستمر الأيدى مرفوعة.. حتى يسهل عليه إحصاء عدد المؤيدين، والمعارضين..!!

وفجأة.. أخرج «المسدس».. الذى يحتفظ به دوما فى جيب سترته.. ثم أطلق رصاصة فى رأس كل «رفيق» كان قد رفع يده..!!

ثم عاد ليستأنف الاجتماع وهو ينظر «للاحياء»:

الآن.. أعتقد أننا نكون قد وضعنا لأنفسنا دستوراً نستطيع التعامل به فى تسيير أمورنا الشخصية، والعامة..!!

وترك «الأجداث» ملقاة على الأرض أكثر من ثلاث ساعات.. لم يتكلم أحد خلالها سواه..!!

ومنذ هذا اليوم أصبحت الكلمة كلمته والرأى رأيه والقرار قراره فرؤوس الذئاب الطائرة - للأسف - كثيرة. والتى تصورت أنه كان يعنى بالفعل ما ذكره عن الديمقراطية..!!

●●●

.. وتمر الأيام وتشتعل نيران الحرب.. ولم يجد «صدام حسين» هواية أحلى وأجمل من تصفية كل المعارضين بحجة عدم تنفيذ الأوامر العسكرية..!!

وأصبحت الصورة فى العراق لا تختلف كثيرا عنها فى إيران فصدام يقف خلفه حارسه الذى يستبدل له «خزينة رصاص» فارغة بأخرى مليئة حوالى ثلاث أو أربع مرات فى اليوم الواحد حتى يكون مسدسه مستعدا دائما.. بينما كانت تعليمات «الخمينى» لمريديه تقضى بأن تظل أعواد المشانق منصوبة ليل نهار..!!

●●●

لكن.. بعد أن توقفت الحرب مع إيران.. تراجعت معها هواية صدام حسين مما سبب له أثر أنفسيا بالغا.. لذلك كان قراره بغزو الكويت.. عسى أن يجد فى «الملعب الجديد».. ما يشبع رغبته..!!

وقبل أن يحرك قواته.. أعدم ١٢٠ ضابطا عراقيا. ثم جاء قراره باعدام ثلاثة مذيعين بالتليفزيون الكويتى..!!

ولن تتوقف «حملات» الإعدام الفردية والجماعية.. إلى أن يقضى الله أمرا كان مفعولا..!!!

٩٠/٨/١٣

لن أكون وحدى

إنصافا للحقيقة.. لقد وقفت الدولة موقفا مشرفا إزاء أبنائها العائدين من الكويت، والعراق.

لقد حرصت على رعايتهم، وتقديم شتى ألوان المساعدة المادية، والمعنوية لهم. ولم تتركهم نهبا للقلق، والضياع.. كما كان يحدث فى فترات زمنية سابقة.

●●●

إن الإنسان المصرى الآن له كرامته، وله قدره اللذين لا يمكن التفريط فيهما لأى سبب من الأسباب ولا جدال أن أبناءنا فى الكويت، والعراق كانوا يؤدون مهمة قوية نبيلة وبالتالى كان من المحال التخلى عنهم فى تلك الظروف القاسية.. التى تسبب فيها صدام حسين - لا سامحه الله - بغروره، وصلفه، وجنونه..!!

●●●

ولقد جاء تحرك الدولة منذ بداية الأزمة.. حينما أوفدت وزارة الخارجية عددا من أعضاء بعثاتها الدبلوماسية إلى مناطق الحدود

مع الكويت، والعراق.. وكانت التعليمات تقضى بصرف ٥٥٠ ريالا سعوديا لكل منهم. بينما تعهدت حكومة المملكة السعودية باستضافتهم طوال فترة إقامتهم.. حتى يتم تدبير وسائل نقلهم للقاهرة.

●●●

كما استقبلت الأسر المصرية قرار الرئيس حسنى مبارك بتخصيص الطائرات العسكرية لنقل المواطنين من منطقة حفر الباطن التى تقع على الحدود السعودية الكويتية بتقدير بالغ.. لأن القرار أكد أن عين «القيادة» لا تغفل.. رغم جسامة المسئوليات. فى هذه الفترة الحرجة.. حيث لا تتوقف الاتصالات مع جميع دول العالم فى محاولة لإنقاذ منطقة الشرق الأوسط.. من حرب مدمرة.

●●●

فى نفس الوقت.. قضت تعليمات الرئيس حسنى مبارك شخصيا بتوفير ١٠٠ سيارة أوتوبيس تتولى نقل الأخوة، والأبناء العائدين من الحدود الأردنية - العراقية حتى ميناء نويبع على مدى مسافة تصل إلى ٧٢٠ كيلو مترا ومن نويبع إلى القاهرة مباشرة وقد تحملت الدولة كل هذه النفقات دون تفرقة بين مواطن ومواطن.

إن عدد المصريين المقيمين فى العراق يقترب من مليونى شخص.. إلى جانب ١٧٠ ألفا كانوا يعيشون فى الكويت وتلك

احصائية مهمة.. لكى ندرك حجم المبالغ «الهائلة» التى يتم إنفاقها من غير أن تكون فى الحسبان.

●●●

وفى جميع الأحوال.. إننى ـ كمواطن مصرى ـ أشعر بسعادة غامرة بعد أن أكدت التجربة العملية.. أننى لن أكون وحدى.. إذا ما ألم بى أى طارئ.. وتلك قمة التحضر.

١٩/٨/٩٠

العلاج .. مع الشعب

قلوبنا جميعا .. مع أطفال العراق - الذين قال عنهم صدام حسين في أحد بياناته الشهيرة - بأنهم أحباب الله، وأحبابه .. والذين بدأوا يعانون الآن من عدم توفر غذائهم الأساسي .. «اللبن» ..!!

●●●

ومع أطفال العراق بطبيعة الحال .. أطفال الكويت الذين ضم صدام بلادهم عنوة .. وأيضا بقية الأطفال من جنسيات مختلفة ممن لا ناقة لهم، ولا جمل في كل ما حدث .. بل كانت الدنيا تعلق عليهم آمالا واسعة .. كأجيال للمستقبل تبني، وتعمر، وتشيد - وتغزو آفاق العالم.

●●●

إنها - بحق - مشيئة الله.

لقد أراد صدام حسين أن يضع يده على ثروات الكويت .. ببترولها، وديناراتها، وذهبها .. متوهما بأن المال الحرام يمكن أن

يحقق غايته.. فإذا بالدائرة تدور بأسرع مما كان يتصور أحد.. ليجد كل السبل التى تدفع شبح الجوع عن شعبه.. مغلقة..!!

.. وهكذا.. جاء يوم الحساب..!!

●●●

لا جدال أنه أمر مؤلم للنفس أن يسقط الناس فى بلد ما صرعى الجوع.. بينما أغنياء العالم، وفقراؤه.. يتفرجون عليهم.. بل يغلقون دونهم كل المنافذ لأن واحدا منهم انتابه الغرور، وسيطر عليه الصلف.. واعتقد خطأ أنه «صاحب معجزات» يقول له الجميع.. سمعا، وطاعة.. يا فخامة السيد الرئيس القائد..!

●●●

أقول إنه أمر مؤلم للنفس.. لكن ماذا فى وسع المجتمع الدولى أن يفعل..؟؟

هل يخفف من قيود الحصار المفروض على العراق..؟؟

لو فرض.. وتم ذلك فسوف يستمر صدام حسين فى تصرفاته الطائشة.. وفى إصدار «مبادراته» غير الواقعية التى تزيد الأزمة تفاقما..!!

أم لابد.. من استمرار المواقف الحاسمة؟؟ وهذا غالبا ما سيحدث!! وعندئذ سوف يموت الأبرياء، وتنتشر الأمراض، والأوبئة.. وترتد قطعة عزيزة من الوطن العربى ـ كانت قد قطعت

شوطا ملموسا فى طريق التقدم، والتطور- إلى مرحلة البداوة.. والتخلف..؟؟!!

●●●

إذن.. الحل أن يجبر شعب العراق رئيسه على تقديم مبادرة منطقية.. يمكن على أساسها التوصل إلى حل عملى، وواقعى.

وطبعا لن يقبل العالم إلا بانسحاب القوات العسكرية العراقية من الكويت، واعادة الشرعية لها.. الأمر الذى يرفضه صدام حسين باصرار حتى الآن.. فى حين أنه لو كان قد أجرى عملية مواءمة بسيطة.. لاقتنع بأن «عملية الاختطاف» التى قام بها.. قد أتت بالوبال عليه.. وعلى شعبه..!!

●●●

المشكلة.. أن بعض الرؤساء ينتابهم فى مرحلة من مراحل حياتهم.. نوع من المرض النفسى الذى يجعلهم يتخيلون بأنهم جاءوا فى عصر غير عصرهم.. لإنقاذ البشرية.. من أخطار محدقة..!!

هذا النوع من المرض لا أمل فى أن يشفى منه المريض.. لذلك فقد اتفق العلماء على ضرورة تنحية القائد الذى يصاب به عن موقع المسئولية حتى لا يتسبب بقراراته فى إنزال الكوارث فوق رؤوس أبناء وطنه..!!

والعلاج الآن.. لدى شعب العراق..!!

٩٠/٨/٢٠

وليكن .. مايكون

أتوقع - ولا أدعى أنى أعلم - بأن المواجهة العسكرية تقترب .. بل كل الدلائل تشير إلى أنها سوف تكون خلال الساعات القادمة ..!

مرة أخرى أؤكد .. إنها مجرد اجتهادات شخصية من جانبى .. وإلا أصبحت «ساعة الصفر» .. مكشوفة للعيان الأمر الذى يتنافى وأبسط البديهيات العسكرية ..!

●●●

لقد تصور الرئيس العراقى صدام حسين .. أن «عمليات الخطف» .. يمكن أن تحل مشاكله السياسية، والعسكرية .. وتلك الطامة الكبرى ..!!

فقد قام «بخطف» الكويت فى غفلة من الزمن .. فثارت الدنيا ضده .. وأصر المجتمع الدولى على ضرورة إعادة البلد المخطوف .. لأصحابه.

●●●

ومـا يقـوم بـه صـدام الآن بـالنسـبـة لعـمليـة احـتـجـاز الرعـايا الأجانب.. كرهائن.. لا يختلف كثيرا عما يقوم به قراصنة الجو عندمـا يخـتطفون إحـدى الطائـرات.. ويسـاومـون بركـابـهـا.. حـتـى تتحقق مطالبهم.. وغالبا ما تكون مطالب غير عادلة.

وقد أثبتت التجارب العملية أن هؤلاء القراصنة لا يستطيعون الاستمرار حتى النهايـة.. فإمـا أن يرفعوا راية الاستسلام.. أو أن تصـدر التـعليـمـات للفرق الخاصـة بالاقـتـحـام.. لتـحـرير الرهائن بصرف النظر عن أية خسائر متوقعة.

●●●

هناك نـظريات عـديدة تقـول: «إذا نتج عن عـمليـة الإقـتـحـام.. مـصـرع كل الرهائن بما فـيـهـا المخـتـطف.. اعـتـبـرت العـمليـة ناجحة»..!! وذلك لكى يدرك مسبقا كل من تسول له نفسه القيام بجريمة الاختطاف أن علاقته بالحياة قد انتهت إلى غير رجعة..!!

●●●

من هنا.. يرى المحللون السياسيون، والعسكريون، العالميون أن جريمة خطف الكويت قد مـضت عليهـا فـترة طويلة.. وأصـبـحت تستلزم «الاقـتـحـام السـريع».. وإلا توهم المخـتطف بأنه قـد حـقق انتصارا.. وهذا ما يرفضه بعنف المجتمع الدولى..

فى نفس الوقت.. يجب سد كل المـنافذ أمام «الـقـرصان» حـتـى لا يستغل «كـارت» الرعـايا الأجانب أسوا استغلال.. فـيستمر فى

فرض شروطه الخيالية.. وفي ممارسة أقصى شهوته في الانتقام..!

●●●

على هذا الأساس.. أعتقد أن من حق شعب الكويت على الحرب.. بل وعلى العالم كله.. أن يعود أبناؤه لحياتهم الطبيعية.. مستقرين.. آمنين.. لايذلون أعناقهم لطامع مجنون.. أومستعمر شره..!!

لكن السؤال:

كيف السبيل.. وصدام يحتفظ بما يقرب من ١٩ ألف رجل، وطفل، وامرأة كرهائن سوف يضعهم في مواجهة فوهات المدافع.. إذا ما اشتعل القتال..؟؟

رغم أن حجم الخسارة سوف يكون هائلا، فادحاً.. لكن التضحيات تصبح ضرورة ملحة.. فمن المستحيل أن ينتصر القرصان.. مهما كانت النتائج.. وإلا ضاعت معاني كل القوانين، والشرائع، والمواثيق وهذا ما تأباه الإنسانية..!!

٩٠/٨/٢١

غريق .. ويرفض حزام النجاه

لا فائدة .. فى صدام حسين ..!!

إنه مصرّ على تضييع الفرصة الأخيرة بالرغم من معرفته النتائج مسبقا..!!

لكن ماقيمة ذلك.. وقد باع كل شيء..؟!

باع المبادىء.. والأرض.. والشعب..!!

والماضى.. والمستقبل..!

●●●

إن صدام حسين يدرك جيداً أن الخسارة سوف تكون فادحة خصوصا بالنسبة لشعب العراق، وجيش العراق.. الذى كنا نتمنى ـ كعرب ـ أن نحتفظ به قويا.. يؤدى مهمته الطبيعية خير قيام..!

●●●

ولقد ألقى الرئيس حسنى مبارك أول أمس ـ انطلاقاً من مسئوليته كزعيم أكبر دولة عربية، وحرصا منه على شعب العراق

الشقيق ـ بحزام النجاة لصدام حسين.. عسى أن يتعلق به وينقذ شعبه من الكارثة المحققة.. لكن يبدو أن الرجل مصمم على «هدم المعبد» بمن فيه..!

فقد أصدرت وكالة الأنباء العراقية تعليقاً مقتضباً على نداء العقل الذى وجهه الرئيس مبارك، والذى طالب فيه صدام حسين بسحب قواته من الكويت قالت فيه.. إنه «إفراط فى تبسيط الأزمة القائمة فى الخليج»..!! حيث أن المعركة الآن بين مصالح الفقراء، والمعوزين. وأولئك الذين قاموا بتكديس ثروات غير مشروعة..!!

●●●

وهكذا.. يؤكد صدام حسين.. أنه سوف يستمر فى موقفه من احتلال الكويت، وعدم إعادة الشرعية إليها.

وأنا أريد أن أسأل القائمين على حكم العراق والموجهين لسياسته الإعلامية:

أى شرائع دينية، وأى قوانين وضعية تلك التى تبيح للفقير مهاجمة الغنى لاقتناص أمواله، والاستيلاء على ممتلكاته.. واغتصاب نسائه؟؟

إن هذا التفكير لايمكن إلا أن يكون صادرا عن «تشكيل عصابى» احترف أفراده الإجرام، وأرادوا أن يخضعوا المجتمع.. لرغباتهم الشاذة..!!

وإذا كان ذلك هو المنطق الذى تتعامل به «عصابة الحكم» فى العراق.. فلماذا ينعمون هم بالخير المقيم.. بينما القاعدة العريضة من الشعب العراقى تعانى أبلغ معاناة؟؟

لماذا تمتد موائد القصور حتى الساعات الأولى من الصباح.. والتى أعاد فيها صدام حسين. ليالى «هارون الرشيد» بكل معانى الكلمة.. فى حين أن الشعب لايجد مايقوم به أوده..؟؟

.. ومالفرق بين أى شاب عراقى.. وبين «عدى» ابن صدام حسين.. الذى يتصرف فى الممتلكات، والأموال العامة. كأنها ملك خاص له.. وللسيد الوالد..؟؟

إن «عدى» هذا يعيش حياة ماجنة باذخة لاحدود لها، ولاقيود عليها.. ولايجرؤ أحد على مراجعته.. أو حتى تقديم النصيحة إليه..!! فهل من الممكن.. أن يأتى شباب العراق ويسلبون «عدى».. بعض أو كل ميزاته، ومخصصاته، وسلطانه.. أو على الأقل مشاركته فيها..؟؟

●●●

إن الإدعاء «بتبسيط الأزمة». إنما هو تبرير غريب لسرقة أموال الغير، والأعتداء على كرامتهم، وعرضهم.. وهذا ليس منهجا صحيحا لحل المشاكل بين الدول..!!

وطالما صدام حسين.. مايزال متشبثا باحتلال أرض الكويت.. على أمل التهام ثرواتها.. فليعلم أنه عندما وضع المنطقة كلها فى خطر حقيقى لم يعد أحد يعرف من الذى سوف يستمتع بهذه

الثروات مستقبلاً وفى كل الأحوال لن يكون «هو» أبدا لأن ألسنة النيران ستتجه إليه قبل أى فرد أخر..!!

●●●

كما أن لاأحد فى العالم يتصور أن صدام حسين يقف بجوار ... الكويت.. ضد حكامه الذين يقول عنهم أنهم حققوا ثروات غير مشروعة..!!

فشعب الكويت حتى هذه اللحظات.. راض عن حكامه.. ولم يحدث أن شكا أبناؤه لصدام فى يوم من الأيام.. وطالبوه بالدفاع عنهم.

والدليل.. أنه عندما قام بغزو بلادهم.. فشل فى تجنيد مواطن كويتى واحد لتولى رئاسة الحكومة «المزعومة» التى قام بتشكيلها.. بل حينما بدأ يلعب بكارت «المعارضة».. جاءه الرد حاسما وقاطعا: «نحن جميعاً كويتيون.. سواء أكنا مؤيدين، أم معارضين.. ونرفض أى تدخل خارجى»..!

وبهت الذى كفر..!!

●●●

من هنا.. حصر صدام حسين، وأعوانه أنفسهم فى إطار ضيق.. وأرادوا وضع نظرية جديدة فى العلاقات السياسية الدولية باحتلالهم الكويت، وضمها عنوة للعراق.. وقد تناسوا للأسف.. أنها نظرية رفضتها الدنيا بأسرها وحكمت على واضعيها.. بالجنون والتهور.

وهم بدلا من أن يقوموا بتصحيح مواقفهم.. استمروا فى ضلالهم.. ورفضوا كل النداءات.. ولم يأبهوا بالتحذيرات، والتنبيهات..!! وكأنهم يعدون العدة لأنفسهم لكى يحاكموا دوليا فى يوم من الأيام «كمجرمى حرب»..!!

إنهم يضعون النهاية بأيديهم

الفلسطينيون.. المختلفون دائماً

اختار ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية الوقوف بجانب «المعتدى».. وهو الذى ظل طوال حياته.. يندد بمبدأ احتلال الأراضى بالقوة.. ويطالب بطرد المغتصب..!!

ويقولون.. إن ياسر عرفات قبض ثمن موقفه هذا من صدام حسين.. على المستوى الشخصى، والمستوى العام..!!

وأنا لاأريد الخوض فى الأمور الشخصية.. لأن الله حليم ستار.. لكن عرفات أسر إلى بعض المقربين له.. بأنه كان مضطراً للاستجابة لطلب صدام حسين وإلا تعرضت القواعد، والمنشآت الفلسطينية فى العراق للخطر..!!

●●●

ويبدو أن سوء الحظ بدأ يطارد الرئيس الفلسطينى.. إذ خرج أحد أعضاء اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير وهو جويد الغصين بتصريحات تتناقض تماماً وموقف ياسر عرفات رئيس المنظمة.

قال الغصين الذى يشغل فى نفس الوقت منصب رئيس الصندوق القومى الفلسطينى إن احتلال العراق الكويت غير قانونى، وأن منظمة التحرير ضد هذا الأحتلال..!!

●●●

وهكذا.. يعود الفلسطينيون ليؤكدوا على أنهم لايتفقون على رأى.. وأن مصالحهم ستظل دائما وأبدا متعارضة..!! ولقد كانت تلك ـ للأسف ـ مشكلتهم مع العالم.. حينما يتحدثون عن قضيتهم الأساسية..!!

●●●

على أى حال.. لقد تسبب ياسر عرفات ـ سامحه الله ـ بتأييده العدوان على الأرض، والانسان فى محو اسم القضية الفلسطينية.. من ملفات الحاضر، والمستقبل..!!

٩٠/٨/٢٣

الف مبروك

ألف مبروك لصحافة الكويت.. على إلغاء الرقابة.

بصراحة.. كنت أخشى.. ألا ترفع هذه الرقابة.. وأن يظل وعد ولى العهد، ورئيس الوزراء فترة طويلة دون تنفيذ.. ولقد سبق أن قلت أن تحرير الكلمة من أسرها.. من مصلحة الحاكم، والمحكوم على السواء.

●●●

أنا شخصياً متفائل.. بأن تلك الخطوة الجريئة من جانب حكومة الكويت.. ستسهم أبلغ مساهمة فى اعادة بناء الانسان الكويتى على أسس جديدة تماماً.. فما أحلى أن تتكاتف العقول «المتحررة».. من أجل الوصول للهدف.

●●●

لقد أصبح ميثاق الشرف الصحفى الذى اتفق عليه أصحاب الصحف، والمحررون.. المعيار الأخلاقى والمهنى الوحيد الذى

ينظم عملية النشر.. والسياج الذى يحمى المبادئ والقيم الأساسية التى تحقق المصالح الوطنية العليا.

وقد تضمن الميثاق من بين ماتضمن العمل على المشاركة فى دفع تقدم الكويت، ورفعتها، وتحقيق الوحدة الوطنيه، وتلاحم المجتمع بما يكرس الالتزام بالحرية المسئولة.

●●●

كم أتمنى.. أن يراعى الأخوة صحفيو الكويت.. البنود التى تضمنها هذا الميثاق.. فذلك يضفى على أقلامهم المزيد من التقدير، والاحترام.

إن حرية الصحافة لاتعنى أبداً.. التعريض بحياة الناس الشخصية، والخوض فى حرماتهم، ونشر الأكاذيب، وتضليل الرأى العام.. وإلا أصبحت المسألة.. فوضى.. لاسيما وأن القارئ العربى يتمتع الآن بوعى كاف.. يستطيع من خلاله التمييز بين الصواب والخطأ.. أو بين الحق، والباطل.

●●●

على الجانب الآخر.. لابد أن تضع الحكومة الكويتية فى اعتبارها ـ خلال تجربة الشهور، والسنوات القادمة ـ أنها مطالبة بالصبر، وطول البال وإلا فإن أى تصرف انفعالى.. سوف يكون له أسوأ الأثر.. سياسياً واقتصادياً، واجتماعياً.. وهذا مالاترضاه بالطبع.. أى حكومة لنفسها..!

●●●

على أى حـال.. لقـد آن الوقت ـ خـصـوصـاً مع إلغـاء الرقـابة ـ لكى تصبح مـهنة الصـحافة فى الكويت مقصورة على أبنائها.. إذ ليس مقبولاً أبداً.. أن تكون «وسيلة».. لتحقيق غايات أخرى.. أو أن تكون النافـذة التى يطل منهـا «صـاحب الجـريدة».. على مشروعاته التجارية العديدة..!

٩٢/١/١٥

اللعب بورقة الكفيل

بالرغم من أن أزمة الخليج.. لم تؤد إلى إحداث أى تغيير يذكر فى البنيان السياسى، والاجتماعى، والعسكرى داخل معظم دول المنطقة، أو خارجها.. إلا أنها أثرت ـ ولاشك ـ على الكيان الاقتصادى.. بسبب حرب تحرير الكويت.. وماستلزمته من نفقات باهظة.. وقد انعكس ذلك بالطبع على مستوى معيشة المواطنين العاديين.. مما اضطرهم إلى البحث عن سبل مشروعة، أو غير مشروعة.. يحققون من خلالها عائدا..!!

●●●

دأب.. على الحضور إلى القاهرة، أو دمشق، أو تونس.. خلال الشهور الماضية. «أصحاب شركات وهمية» يحملون معهم عقود عمل وهمية أيضا يتقاضون على كل منها مبلغاً معيناً من المال.. مقابل حصول «المتعاقد» على تأشيرة الدخول، والوظيفة..!!

●●●

يسافر المتعاقدون «التعساء».. إلى الدولة التى جاءتهم منها العقود.. ليفاجأوا بأن أحلامهم قد تبخرت فى الهواء.. وأنهم كانوا ضحية محتالين من طراز جديد .. استغلوا شرط «الكفيل» الذى مازالت تصرّ على تطبيقه جميع الدول الخليجية بلا استثناء.. واستخرجوا عن طريقه تأشيرات دخول لبلد تفاقمت فيه أزمة البطالة بدرجة كبيرة.. يستحيل معها توفير أية فرص عمل حتى لأبنائه الأصليين..!!

لايجد أمامهم هؤلاء المخدوعون من سبيل.. سوى صاحب الشركة الوهمية التى وقعت معهم العقد.. لكنهم سرعان مايكتشفون.. أن الشركة لاتعدو أن تكون مجرد اسم على ورق!!

وهنا يبدأ فصل جديد من المأساة حيث يُطلب منهم مسح «السوق» بحثا عن عمل.. ومن تسعده الظروف منهم.. يتم إجباره على سداد نسبة ٢٥ فى المائة من مرتبه شهريا للكفيل.. «طويل العمر».. وإلا حرمه من كفالته..!!

●●●

فى معظم الأحيان.. تفشل الغالبية العظمى فى الالتحاق بأى عمل.. وبالتالى يخضعون لمتابعة الشرطة، وإجراءاتها الصارمة.. وفى النهاية يجرى ترحيلهم من حيث أتوا.. بعد أن يكونوا قد خسروا الجلد، والسقط.. لتتكرر فصول المسرحية من جديد.. مع ضحايا جدد..!!

●●●

الطريف أن الاحتيال لم يقتصر على المهن اليدوية فحسب.. بل امتد أيضا إلى نتاج العقول.. حيث يزعم بعض من سلكوا هذا الطريق الشائك.. أنهم يملكون دوراً للنشر، والطباعة، والتوزيع ثم يحررون عقودا مع عدد من الكتاب والصحفيين تنص على تأليف كتاب أو كتب حول موضوعات محددة.. وبعد انتهاء المهمة والحصول على المادة الصحفية أو العلمية.. يحدث الاختفاء المريب..!!

●●●

على أى حال.. إنها ظاهرة تستحق المتابعة النشطة من كافة الأجهزة.. وهؤلاء «الأخوة العرب».. ماداموا يستغلون «الكفيل».. لتحقيق مصالحهم الشخصية.. فلماذا لاتوضع نظم أخرى مماثلة تساعد على «انضباطهم».. طوال فترة إقامتهم فى البلدان التى يمرحون فيها.. ويرتعون..؟؟!!!

٩٢/٢/٢

لاتنسوا .. «الأسرى»

رغم حياة الذل والمهانة التى يعيشها بعد الهزيمة الساحقة،
غم انصياعه الكامل لكافة قرارات المجتمع الدولى ووقوفه
ضعاً مستكيناً أمام منشأته العسكرية التى يتم تدميرها تحت
سعه وبصره.. إلا أنه لايستطيع التخلى عن أسلوب الكذب
خداع والمداورة وهو الأسلوب الذى جّر الوبال على شعب وجيش
راق.

●●●

لقد زعم صدام حسين أن عدد الأسرى الكويتيين لديه يبلغ
٧ أسيراً وأن هناك أعداداً كبيرة من الكويتيين يعيشون أحراراً
، العراق ويرفضون العودة إلى بلادهم..!!!

بالذمة.. هل هذا كلام يمكن أن يصدقه عقل؟؟!!

أى إنسان هذا الذى يسعى بقدميه إلى حاكم طاغية مستبد لطخ
به بالدماء منذ سنوات طويلة.. فما بالنا إذا كان هذا الإنسان

كويتياً سبق أن داس نفس الطاغية كرامة وطنه واستحل جميع حرماته؟؟!!

إن مايذكر بالخير لجميع أبناء الكويت دون استثناء أنه لم يوجد واحد فيهم قبل على نفسه فى أحلك اللحظات أن يكون من بين رعايا صدام حسين.. وطبعاً جميع التمثيليات التى ألفها وأخرجها قبل الغزو وأثنائه خير شاهد وأبلغ دليل على أنه حاول كثيراً مع المعارضين قبل المؤيدين.. غير أن جميع محاولاته باءت بالفشل.

●●●

لهذا.. فالـ ٧٢٧ أسيراً الذين يقول العراق إنه نشر أسماءهم مؤخراً لايشكلون سوى نسبة قليلة ولابد أن الباقين إما قتلهم صدام حسين أو ألقى بهم فى غياهب السجون انتظارا ليوم يقايض بهم أو يراهن عليهم.. وهكذا يتأكد بما لايدع مجالا للشك أنه لن يترك الكويت وشأنها والله وحده أعلم ماذا سيكون عليه الحال مستقبلاً.. فربما يتحول الذى يدمرون أسلحته الآن إلى مؤيدين ومحرضين له وموردين لجيشه أحدث معدات القتال.

●●●

ومن هنا يثور سؤال مهم:

ماذا انجزت الكويت بعد التحرير فى معركة بناء نفسها عسكرياً..؟؟

الواضح أنها تعتمد فى «تأمين» نفسها داخلياً وخارجياً على الولايات المتحدة الأمريكية وهذا بالطبع ليس فى صالحها ولا فى صالح شعبها .. إذ لاأحد يعرف مايدور فى «مخ» الفتى الأوحد على ظهر الكرة الأرضية ..!! ونصيحة للأخوة الكوايتة .. بل لكل العرب: لاتنسوا حكاية الأسرى لدى العراق لأننا جميعاً بصراحة نعانى من داء النسيان على مدى حقبات طويلة من الزمان دون أن يظهر من بيننا عالم عبقرى يمكن القول أنه نجح فى اكتشاف علاج فعال له..!!

٢٩/٤/٩٢

ليالى .. صدام

فى الوقت الذى أقام فيه صدام حسين «الليالى الملاح».. احتفالا بعيد ميلاد «فخامته».. فإن الحكومة العراقية عجزت عن تدبير نفقات بعثاتها الدبلوماسية فى الخارج.. بما فيها مرتبات الموظفين..!!

.. وكالعادة.. لم يجرؤ «السفراء» على الشكوى.. وكثيرون منهم اضطروا للاستدانة من الزملاء، أو المعارف.. لدرجة أن «الصورة».. أصبحت مخجلة.. ومهينة..!!

●●●

على الجانب الآخر.. أخذت «الشهامة» الفريق عمر البشير رئيس السودان.. فتطوع للمساهمة فى تسديد جزء من متطلبات البعثات الدبلوماسية العراقية فى الخارج.. اعترافا بالود القائم بينه وبين صدام.. وتأكيدا على أن الاثنين ينتميان لنفس المدرسة..!!

لكن السؤال:

ألهذه الدرجة.. تهون مصالح الشعوب..؟!

ماذنب العراقيين.. وهم يتساقطون جوعا.. بينما «القائد المهيب الركن».. يبعثر الدولارات يمينا ويسارا على نفسه.. وعلى أسرته.. وعلى أصحاب، وصاحبات الحظوة الملتفين حوله..؟! وبأى حق.. تتصرف حكومة البشير فى أموال الشعب السودانى.. الذى يعانى من قسوة الحياة وشظفها.. ولايكاد يحصل على احتياجاته الأساسية.. إلا بشق الأنفس..؟!

هل مثل تلك المواقف تصنع مجدا.. لهذا.. أو ذاك..؟!

أم أن كليهما يبحث عن زعامة وهمية زائفة..؟!

●●●

بصراحة.. إن الحاكم الذى لايضع مصلحة أبناء وطنه.. نصب عينيه دائما.. مااستحق أن يجلس على مقعد الصدارة.. أبدا.. لأن القيادة أمانة.. والتفريط فيها يتنافى مع الضمير، وأبسط قواعد الأخلاق..!!

لقد انتظر الشعب العراقى بما فيه الكفاية.. على ممارسات صدام حسين التى قضت ـ للأسف ـ على كل معانى «النخوة» فى النفوس.

بالضبط.. مثلما يعيش الشعب السودانى حاليا أسير أفكار، وقوالب جامدة، افتقد معها إيجابية الماضى، وديناميكيته، ومبادراته الحاسمة التى طالما أضاءت تاريخه بأشعة من نور..!!

وياشعبا العراق.. والسودان.. لكما الله..!

٩٢/٥/١٢

البديل.. أكثر خطورة

لاأعرف ما إذا كانت الولايات المتحدة الأمريكية واثقة تمام الثقة من قرب الإطاحة بالرئيس العراقى صدام حسين... أم أن كل ماتفعله حاليا.. لايعدو أن يكون مجرد محاولات أو أمنيات..!!

لقد بدأت الصحف الأمريكية تكتب باستفاضة عن «سيناريو عزل صدام».. بالضبط مثلما حدث أيام عملية عاصفة الصحراء.. التى تم نشر تفاصيلها بالكامل.. قبل ساعة الصفر بفترة طويلة.

لكنى.. أتصور أن الوضع مختلف.. فبالنسبة لمعركة تحرير الكويت.. كانت كل الشواهد تؤكد على ضرورة انتصار قوات التحالف على الجيش العراقى.. لسبب بسيط.. أنه لم يكن هناك أدنى تكافؤ من أى نوع..!

أما مسألة «توجيه ضربة شخصية» للرئيس العراقى.. فالأمر يستلزم أكبر قدر من السرية.. لا أن تنشر التفاصيل على الملأ.. وكأنهم يقولون له.. خذ حذرك..!!

●●●

فى نفس الوقت.. إذا افترضنا صحة مانشرته صحيفة «واشنطن بوست» بالذات.. التى قالت.. إن خطة الإطاحة بصدام سوف تعتمد أساسا على الأكراد.. فهذا أمر يحمل فى طياته أبلغ الخطر.. لأنه لابد وأن يؤدى إلى اشتعال الحرب الأهلية داخل العراق.. خصوصا أن الواشنطن بوست ذكرت بصريح العبارة.. إن النية تتجه إلى إقامة عاصمة مؤقتة فى الشمال!!

●●●

على أى حال.. إن استمرار صدام حسين على قمة السلطة فى بغداد أمر مستفز للمشاعر.. لكن الأكثر استفزازا منه.. أن ينقسم العراق.. أو أن يصبح «الشيعة».. هم البديل..!!

٩٢/٨/١٢

من هنا .. يبدأ الاصلاح

واحسرتاه على العرب بعد حرب الخليج..!

ولاسامح الله صدام حسين إلى يوم الدين..!! ومعه كل الذين يدافعون عنه.. ومازالوا يتمسكون بقيادته..!!

منذ أيام.. صدر «التقرير الاقتصادى العربى الموحد».. وقد تضمن حقائق بالغة الخطورة تؤكد إلى أى مدى تعرضت المصالح العربية لخسائر فادحة.. نتيجة غزو العراق للكويت الأمر الذى يجعلنا نلف، وندور أكثر وأكثر.. فى دائرة الحيرة المفرغة التى دخلنا فيها رغما عنا.

لماذا كان كل هذا الذى جرى..؟؟

هل هناك رئيس «عاقل».. يسبب لبلاده خسائر بآلاف المليارات.. ثم يقف يضحك، ويتسلى..؟؟

ماهو الدور الأمريكى ـ بالضبط ـ قبل الأزمة..؟؟ خصوصا إذا وضعنا فى الاعتبار بأن الغرب عموماً.. لم يكن مرتاحا.. أن «يمسك» العرب بين أيديهم مصادر غالية من الثروة..؟؟

التقرير الاقتصادى يقول .. إن حجم الدمار الذى أصاب المنشآت الاقتصادية، والبنية الأساسية فى الكويت بلغ ١٦٠ مليار دولار.. كما بلغ بالنسبة للعراق ١٩٠ مليارا..!!

أى أن هناك ٣٥٠ مليار دولار قد راحت نتيجة غباء، وصلف، وغرور.. «صدام حسين»..!!

والسؤال :

ألم يكن الشعبان.. هنا، وهناك أولى بهذا ..؟؟

●●●

يقول التقرير أيضا .. إن الاقتصاد فى جميع الدول العربية قد أصابه الهزال، والضعف .. مما أدى إلى انخفاض الناتج المحلى الاجمالى فى معظم الدول العربية عام ١٩٩١ بنسبة ٧ فى المائة مقارنة بعام ١٩٨٩ .. وهو العام، السابق للأزمة.

.. وذلك ما يؤلم النفس حقيقة.. ففى الوقت الذى تدخل فيه «الدول العظمى» .. معارك عاتية من أجل تحسين اقتصادها، ورفع الناتج المحلى لديها .. نجد «الأخوة العرب» يتفننون فى ابتكار الوسائل التى تقف حائلا أمام رغبة الشعوب فى تحقيق الخير، والرفاهية لأبنائها..!

نفس الحال بالنسبة لارتفاع «معدلات التضخم».. التى وصلت نسبتها عام ١٩٩١ إلى عشرين فى المائة.. وهى نسبة عالية بكل المقاييس..

●●●

وفى النهاية .. تبقى كلمة :

إن هذا «التقرير الموحد» الذى أصدرته أربع منظمات عربية رغم اهتمامه بالجانب الاقتصادى فحسب .. إلا أنه ربما يكون قد تعرض بطريقة غير مباشرة إلى ركيزة أساسية .. هى الديمقراطية.

ولنأخذ مصر .. خير شاهد. وأبلغ دليل .. فهى قد اختارت الديمقراطية وسيلة، وغاية .. فماذا حدث..؟؟

لقد وضعت برنامجا للإصلاح الاقتصادى. نال إعجاب وتقدير المنظمات، والهيئات المتخصصة فى العالم بأسره .. لا سيما وأن مؤشرات تطبيق هذا البرنامج قد بدت واضحة للعيان .. حيث استقر سعر الصرف بالنسبة للدولار، ووقف الجنيه المصرى ثابتا أمامه، وتوفرت السلع فى الأسواق، ولم يتم رفع الأسعار عشوائيا كما حدث فى دول كثيرة .. وزادت معدلات النمو الاقتصادى .. كما انخفضت معدلات التضخم .. ونحن نزعم بأن كل هذا كانت تقف وراءه الديمقراطية تسانده، وتدعمه.

من هنا .. فإننى أنصح الأخوة العرب .. الذين يطالبون بالتضامن دون أن يذكروا لنا وسائل تحقيقه .. والذين ينادون بنبذ الخلافات من غير أن يقدموا تصورات وأفكارا محددة المعالم.

إننى أنصح هؤلاء بأن يكتلوا جهودهم .. لإصلاح ما أفسدته يدا صدام حسين .. بشرط واحد .. أن يقيموا أولا - كل فى بلده - مظلة راسخة للديمقراطية.

٩٢/٨/١٠

كلام .. كلام

نحن لا نريده «مجرد كلام» فحسب .. بل لابد أن يكون الفعل أيضا إيجابيا، وحاسما، وفعالا!!.. وإلا «فكأنك.. يا أبا زيد ماغزيت».. كما يقول المثل العربى الشعبى.

لقد وقف «الرائد عادل الحقان» قائد القوات الكويتية فى المناورة المشتركة مع أمريكا على دبابته .. يحذر صدام حسين من غزو الكويت ثانية..!

●●●

طبعا الأمر ليس بهذه البساطة.. فلا تحذير الحقان، ولا المناورة المشتركة كفيلان.. بمنع صدام حسين الحالى .. أو «المعدل» .. من التفكير فى القيام بمغامرة مماثلة.

إن الحكمة تقتضى إعادة بناء إنسان الكويت، وجيش الكويت على أسس مختلفة تماما عن ذى قبل .. أسس قوامها تعميق

الانتماء للتراب الوطنى وإجادة أحدث النظم التكنولوجية العسكرية فى العالم.

●●●

نعم .. إن المناورات الأمريكية ـ الكويتية .. جرت على بعد ٤٠ كيلو مترا من الحدود العراقية .. لكن .. وماذا بعد ..؟؟

نحن نعرف أن الكويتيين يسبّحون الآن بحمد أمريكا ليل نهار.. لكن لابد أن يضعوا في اعتبارهم .. بأن الاعتماد على الغير لاسيما بالنسبة للدفاع عن الأرض، والعرض.. لا يأتى دائما بنتائج مائة فى المائة.

إن المشاركة الفعلية لأبناء الوطن .. مبدأ .. يجب تأصيله فى نفوس الكبار، والصغار حتى يمكن اقامة سد منيع يصعب اختراقه بحيث لا تتكرر أخطاء الماضى.

●●●

إن الدنيا كلها تعرف أن صدام حسين يعجز حاليا عن القيام بأى عمل عسكرى، أو غير عسكرى .. إلا أن العبرة ليست فى اليوم، أو فى الغد، أو فى السنة القادمة.

المهم .. أن توضع إستراتيجية واضحة المعالم.. محددة الخطوات والمسئوليات يتولى تنفيذها كويتيون ـ ولاأحد غيرهم ـ خصوصا أن العراقيين لن يملوا أبدا من المطالبة بحقهم فى المحافظة التاسعة عشرة ـ كما أسماها يوما «التكريتى» ـ ..!!

●●●

على أى حال.. إن المناورات العسكرية المشتركة من الأهمية بمكان.. من أجل تنشيط العمل العسكرى، وتحقيق الفائدة للطرفين.

على الجانب الآخر .. كم أتمنى ألاّ نسرف - كعرب - فى تصريحاتنا لأن ذلك ليس فى مصلحتنا أبدا..!

من هنا.. فإنى أختلف مرة أخرى مع الرائد «عادل الحقان» .. الذى وقف يقول ضمن ماقال.. «إن القوات الكويتية.. لاتواجه أى صعوبة فى التعامل والتكامل مع القوات الأمريكية .. وهذا ماأكدته عاصفة الصحراء»..!!

.. ولا تعليق ..!!

٩٢/٩/١٨

.. ومن يضمد الجراح .. بعد رحيل نبع الحنان؟

عزيزى القارئ..

عفواً .. وعذراً

لقد تعودت أن تقرأ فى هذا المكان مقالا سياسياً.. لكن أرجو أن تأذن لى اليوم.. أن أقتطع هذه المساحة التى هى من حقك.. لأعبر فيها عن أحاسيس، ومشاعر ذاتية بحتة.. فأنا أعتقد.. بأنى إذا لم أفعل ذلك.. لن يثبت القلم فى يدى .. بنفس الدرجة التى عودّنى وعودْته عليها .. وهذا ـ بطبيعة الحال ـ مالا ترضاه لى ..، وأيضا.. مالا يستوعبه عقلى..!

• • •

منذ سنوات عديدة.. مات أبى .. ووقفت تحبس الدموع فى عينيها.. وتطوى حزنا عميقاً فى قلبها المكلوم لا تريد أثاره أن تظهر على ملامح وجهها الصابر المؤمن.. لتقول لى ولأخى ولأختى:

● من أنجب ذرية صالحة لم يمت .. جعلكم الله عوضاً عن والدكم.

● ● ●

ومنذ سنوات قليلة ماضية.. مات ابنى.. وارتميت، وزوجتى على كتفيها نذرف دموع اللوعة، والأسى.. فما كان منها إلا أن حملت المصحف الشريف الذى كانت تحتفظ به دوما إلى جوارها.. وأخذت تقرأ من آياته البينات بصوت خاشع تناجى به رب العرش العظيم دون أن ندرى كم من الوقت مر علينا نحن الثلاثة.. لكن كل ما أذكره .. أننى وزوجتى خرجنا من المحنة.. أصلب عودا، وأوثق يقينا.

● ● ●

.. ثم .. ثم .. ماتت أمى. وارتمينا جميعا .. الأبناء .. والبنات .. والأزواج.. والزوجات.. الأحفاد.. والحفيدات فوق جسدها المسجى على الفراش. نلثم جبينها الوضاء.. ونركع تحت قدميها فى آخر محاولة لسداد جزء من الدين الكبير.. وللأسف .. لم نجد من يسارع بتضميد الجراح.. وأنى لنا هذا.. وقد رحل نبع العطاء..؟؟

● ● ●

ربما .. كانت هناك علاقة خاصة وثيقة تربط بينى، وبينها.. علاقة أقوى من علاقة الأم بابنها.. أو الابن بأمه..!

نعم . كل الأمـهـات يمضين حـيـاتـهن مـتلهـفـات على فلذات أكبادهن.. غير أن لهفتها على - فى جميع مراحل عمرى - كانت تتسم بالحـرص المشوب بالقلق..!! حـتـى بعد أن كـبرت وصـرت أبا.. امتدت دائرة مشاعرها المرهفة لتشمل أسرتى الصغيرة.. إذا مرض واحد فينا لا تنام الليل..!! إذا عرفت - صدفة - أننى خارج البلاد - وكثيرا ماكنت أخفى عنها نبأ سفرى حتى لا أسبب لها أرقا، أو قلقا - لا تبرح مكانها من فوق سجادة الصلاة.. تظل تدعو الله سبـحـانـه وتعـالى أن يكتب لى السـلامـة فى غـربـتى.. وأن يمنحنى من عنده الفوز، والنجاح فى مـهـمـتى التى سافرت من أجلها. ولأن فضلها عظيم.. وإيمانها عميق.. لم يحدث.. أن خاب رجاؤها أبداً.

●●●

.. ووقعت فريسة المرض.. ويشهد الله سبحانه وتعالى أنها ـ بفضل إيمانها العميق، وعزيمتها الثابتة ــ لم تضعف أمامه أبداً على مدى تسع سنوات كاملة. بدأ الهجوم القاسى على عظامها الهشة.. فكسر احداها..!!

بعد أن أفاقت من وقع الحادث.. سألت فى حيرة المؤمنين الصادقين:

● هل سأتمكن من أداء الصلاة

وحينما رد الأطباء الملتفون حولها بالايجاب.. وطمأنوها إلى أن هذا «الكسر» الغادر لن يقف حائلاً بينها وبين ركن من أركان

الدين.. انتفضت من فراشها لتتوضأ.. فلم تحملها قدماها.. وكادت تسقط على الأرض..!

نظرت لى.. نظرة حانية، وعاتبة.. فأخذت بيدها.. حتى توضأت، وعادت إلى فراشها لتصلى وهى مقعدة.. حامدة الله على رحمته، وابتلائه.

●●●

ومرت الأيام.. ليزداد الحمل الثقيل على الجسد الواهن.. حتى جاءتنى مكالمة تليفونية مقتضبة:

● إنها تناديك

ماذا بها..؟؟

لاشئ جديداً.. كل ماهنالك.. أنها كررت أكثر من مرة رغبتها فى رؤيتك..! شاءت الظروف فى هذه اللحظة أننى كنت أكتب مقالى اليومى «خطوط فاصلة»..!! واستحال على.. أن أستمر.. فما كان منى إلا أن أضفت عبارة واحدة إلى المقال حتى أحفظ للكلمات معانيها.. ثم أضفت سطرا واحداً: «وللحديث بقية».. بحيث إذا شعر القارئ بأن هناك خللاً مايطمئن إلى أنه سوف يتم علاجه فيما بعد.

●●●

ذهبت إليها على عجل.. لم تكن هى التى تركتها منذ ساعات.. فقد راحت فى شبه غيبوبة.. لاتشعر بما يدور حولها.. غير قادرة على النطق.. وأدركت أن ساعة الفراق قد حانت.. لكننى لم أفقد الأمل.

اتصلت بفريق من الأطباء المتخصصين الذين لم يتوانوا عن تلبية نداء واجب المهنة والصداقة فى لمح البصر.. وأخذت أجهزة كثيرة تعمل.. بينما عيناى تدوران فى فراغ لانهائى.. وهواجس كثيرة تطرق رأسى بعنف.

استمر الأطباء يعملون نحو عشر ساعات متواصلة.. ثم لمحت فى عيونهم نظرات يائسة.. جلس بعدها صديقى د. اسماعيل سلام.. إلى جوار فراش أمى يتلو آيات من القرآن الكريم..!

هنا.. تأكدت أن جميع المحاولات باءت بالفشل.. فهرعت إليها مسرعاً أناديها بنفس اللهفة التى طالما سيطرت عليها.. نحوى.. وكانت المفاجأة:

لقد فتحت عيناها.. لتنطق باسمى.. بينما الأطباء المعالجون.. يقولون فى نفس واحد: سبحان الله العظيم.. القادر على كل شئ..!!

●●●

فى الفجر.. استقبلت أذناى «هديل الحمام» بطريقة مختلفة عن ذى قبل.. وهما اللتان طالما استمعتا إليه، وتفاءلتا به..!

لم يتسلل النوم إلى جفنى.. ورغم ذلك.. استرجع فكرى ـ وكأنى أحلم ـ ذكرياتنا معاً.. ونحن نؤدى فريضة الحج سوياً.. حيث كانت تناجى صاحب العرش العظيم والدموع تنساب من مقلتيها متضرعة إليه أن يرزقها الجنة.. وأن يجعل من محمد عليه الصلاة والسلام شفيعها يوم القيامة.

●●●

تسللت برفق إلى غرفتها.. أسأل زوجتى التى كانت تجلس بجوارها حتى الصباح عن الحالة.. فإذا بها تطمئننى إلى أنها تتطور إلى الأحسن وأنها أمضت جزءا من الليل تتحدث.. وتقرأ القرآن بصوت مسموع.

تطلعت إلى شقيقتى ووجدتها هى الأخرى تؤكد كلام زوجتى.

حمدت الله سبحانه وتعالى على سرعة استجابته للدعاء.. لكن شيئاً ماداخل صدرى.. كان يؤرق سكينتى..!!

•••

إن الموت ـ ولاشك ـ حق على رقاب العباد.. وهو يأتينا ـ كما قال الله سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز ـ «ولو كنتم فى بروج مشيدة».

«وماتدرى نفس.. بأى أرض تموت».

وحينما تحين الساعة.. فلابد أن يصلى الأحياء.. طالبين المغفرة.. لمن كانوا يتنفسون مثلهم قبل ثوان معدودة..! فتلك سنة الله الذى خلق الموت قبل الحياة.. ونحن لانملك فى سنته تغييرا، أو تبديلا، ولانعترض على قضائه.. بل لابد أن نسجد له شاكرين.. ضارعين على استرداده وديعته.. ولابد أنه اختار أفضل توقيت لهذا الاسترداد الحتمى.

• • •

لذلك.. حينما ذهبت إلى القبر.. لأوارى جسد ست الحبايب، «وأغلاهم» التراب.. وقفت بجوارها داخل الغرفة التى أقيمت تحت الأرض.. وقد تبدد ظلامها.. وأحاط بها الضوء من كل جانب..!!

دهشت.. واستفسرت.. وجاءتنى الاجابة المقنعة:

● اطمئن.. إن قبرها.. روضة من رياض الجنة.

في نفس الوقت جاءنى زميل، وصديق ليروى لى حكاية غريبة.. لاأعتقد أنها يمكن أن تكون من نبت خياله فى مثل تلك الظروف.

قال لى:

تصور.. عندما نزلت أنت إلى المقبرة.. وبدأت تتلو آيات من القرآن الكريم.. اهتز الجسد بعنف.. وكأنها تودعك الوداع الأخير..!!

● ● ●

والآن.. ليس أمامنا كبشر.. إلا أن ندعوا الله سبحانه وتعالى أن يتغمد أحبابنا، وأعزاءنا الذين انتقلوا إلى عالم جديد.. برحمته، ورضوانه.

وسأظل ماحييت ـ إن شاء الله ـ أقرأ الفاتحة، وسورة ياسين، وسورة الأخلاص على روحها حتى يحين اللقاء الأبدى.

ورجائى من كل محب لها.. ولى.. أن يقرأ مثل ماأقرأ من آيات الله الكريم.. على الروح الطاهرة.. التى أحبت صاحبتها الناس.. كل الناس.. دون غرض.

٩٢/٩/٣

هذا رصيدها . . فى العالم الجديد

عندما ذهبت إليها .. أزورها فى قبرها.. بعد أن غابت عنى أسبوعا كاملا.. لم أرها خلاله، ولم ترنى.. طرق رأسى بعنف تساؤل غريب:

● ترى.. لو ماتت أمى وأنا مازلت بعد فى مرحلة الطفولة، أو الصبا.. أو حتى منذ عشرين سنة مضت.. هل كانت درجة لوعتى عليها.. تصبح أخف وطأة مما هى الآن.

●●●

فى تصورى.. أن الذى يفقد أمه مبكرا.. يترفق به القدر.. لسبب بسيط.. أن العلاقة الحميمة بين الأم، والابن.. تزداد توثقا مع مرور الزمن الذى تتعدد فيه المواقف.. وتكثر الذكريات.. ويحاول كل طرف من طرفى العلاقة أن يعطى للآخر أكثر ممايستطيع.

●●●

طبعا.. هذا لايمنع من أن الأم حينما ترحل عن الدنيا وقد تركت أطفالها صغارا.. فإنهم سوف يظلون يعانون طوال حياتهم من نقص جرعة الحنان، والعطاء.. لكن هذا احساس مختلف ـ بكل المقاييس ـ عن فقدان عزيزة العزيزات، والأعزاء بعد سنوات الألفة، والعشرة، والمحبة الطويلة.

●●●

على أى حال .. لم يعد الأمر حاليا يتعلق بالماضى الذى انتهى إلى أجل غير معلوم .. لكن كل ما يشغل بالى حقيقة «المستقبل» .. الذى أومن تمام الايمان .. بأنه لابد وأن يكون أفضل ، وأكثر إشراقا .. وأطول امدا .. لأن الله يؤكد لنا فى آياته البينات أن عمر الانسان فى الدنيا قصير للغاية وهذا واضح أمامنا بكل الشواهد .. والدليل أنه يموت .. ليتجه إلى «آخرة» لا عودة منها أبدا حتى تحين الساعة التى لا يعرف موعدها سوى صاحب العرش العظيم.

●●●

من هنا.. فأنا أتضرع لله سبحانه وتعالى منذ أن رحلت أمى عن الدنيا.. أن يعيننى على تلبية احتياجاتها.. والتى لا تتعدى - كما أعتقد - سوى أن يكون قبرها مضيئا دائما.. لا يضيق على جسدها النحيل وتشهد من خلاله .. «موضعها» يوم القيامة.. حيث النعيم المقيمباذن الله.

ولأنها - رحمها الله - لم ترتكب فى حياتها ذنبا.. حيث كانت تؤدى أركان الدين كما ينبغى أن يكون.. وضحت.. وصبرت..

وثابرت.. فإنى مطمئن إلى أنها سوف تنال خير الجزاء.. الأمر الذى يضاعف مسئوليتى تجاهها.

•••

إننى مطالب أكثر من أى وقت مضى.. أن أكون ابنا صالحا بارا.. أدعو لها.. راجيا من العلى القدير أن يستجيب دعائى.. فهذا رصيدها الآن.. فى عالمها الجديد.

٩٢/٩/٤

معركة فى الأعماق

المفـروض أن الكاتب.. ليس إلا مـجمـوعـة من الانفعـالات، والأحـاسيس.. هى التى يستطيع من خـلالها أن يبـدع، ويبـتكر.. ويعبر عن أحلام، وآمال، وطموحات الناس.

وأقسى شئ بالنسبـة له.. أن تتصارع هذه الانفعـالات، وتلك الأحـاسيس بداخلـه.. صراعاً عنيفاً.. يقف حـائلاً بينه وبين تحـديد نقطتى البـداية، والنهـاية.. اللتين تعـتبران الركـيزة الأساسيـة لأى عمل فنى.

●●●

من هنا أستـميحك عذراً ـ عزيزى القارىء ـ وقد تعودنـا على المصارحة، والمكاشفة منذ أمد بعيد.. إذا قلت لك إن هناك معـركة عاتية تدور فى أعماقى بين مشاعر، وأحاسيس نفسى.. معـركة قد تكون لهـا مسـبباتهـا، وظـروفهـا.. ومـهمتى الآن أن أحـاول بشـتى السبل التـغلب عليهـا.. عن طريق عمل مصالحـة داخلية.. مـع كل مايضطرم فى الأعماق..!

لكن.. أنى السبيل..وقد بلغ الإرهاق الجسدى مداه.. وتفاعلت ذكريات الماضى.. مع واقع الحاضر.. تفاعلاً غريباً.. لم أكن أنا شخصياً أتصور حدوثه فى يوم من الأيام بهذه الصورة..؟؟

المشكلة.. أن الذكريات ـ أى ذكريات ـ تتضمن وقائع وأحداثا طيبة، وغير طيبة.. والحاضر أيضاً ـ بكل مافيه ـ يشمل كل الألوان المتفائل منها، وغير المتفائل.. والمطلوب الآن.. تحقيق نوع من التنسيق لكن ـ للأسف ـ الفجوة هائلة.. والألم الذى يعتصر الصدر.. كبير.. وكبير..!

●●●

على أى حال.. إن الله سبحانه وتعالى.. قد أمرنا بالصبر، والصلاة.

وأنا ـ والحمد لله ـ مؤمن تماماً.. بإرادته فى السراء، والضراء.. ولعله وحده الذى يعلم أننى أمضى يومى كله أناجيه شاكرا له على نعمائه وفضله.. اللذين لم يبخل على بهما أبدا.. بل أعطانى منهما بلا حدود.

لذلك فإن الخطة الاستراتيجية السليمة للانتصار فى المعركة الحالية لابد لها من الاعتماد على السلاحين الأساسيين.. الصبر، والصلاة.

ولما كانت الصلاة على المؤمنين كتاباً موقوتا.. فإن رجائى لله سبحانه وتعالى.. أن يجعل السلاح الثانى.. ماضياً.. قوى التأثير

ى أقـصـر وقت.. فـذلك هو الأمل الوحـيـد وإنى لواثق بأن أرحم
لراحمين لن يخيب رجائى بأى حال من الأحوال.. باعتباره يعلم
لجهر، وماتخفى الصدور.

●●●

مرة أخرى.. عذراً عزيزى القارىء..!!

كل الناس .. أحباب

عن أسيد مالك بن ربيعة الساعدى رضى الله عنه قال: بينما نجلس نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاء رجل من بنى سلمة.. فقال: يارسول الله.. هل بقى من بر أبوى شئ أبرهما به بعد موتهما..؟؟

قال: تقم الصلاة عليهما: والاستغفار لهما، وانفاذ عهدهما من بعدهما، وصلة الرحم التى لاتوصل إلا بهما، واكرام صديقهما.

●●●

بسم الله الرحمن الرحيم

وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلا ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها وسنجزى الشاكرين. وكأيّن من نبى قاتل معه ربّيون كثير فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وماضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين. وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا فى أمرنا

وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين. فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين».

«صدق الله العظيم»

●●●

إننى أختلف اختلافا جذريا مع الشاعر الذى قال: جزى الله الشدائد كل خير .. عرفت بها عدوى من صديقى.

لقد مرت بى محنة فقد أمى.. فإذا بى أكتشف أن جميع الناس أحباب، وأصدقاء، ولا أثر لعدو واحد.. إنهم صفوف متراصة يقفون بجوارى .. يؤازروننى .. يشدون على يدى .. مشاطرين .. ومجاملين .. بأنها ليست أمى فقط بل أمهم كلهم.

كان المشهد هائلا .. ذابت فيه الفوارق الاجتماعية، والخلافات السياسية، والنزعات العقائدية.

الجميع صادقون فى التعبير عن مشاعرهم فلا أثر للمحة زيف واحدة.. لسبب بسيط.. أنهم جاءوا طائعين مختارين.. فمثل تلك المناسبات .. لا يمكن اجبار أحد على المشاركة فيها.

●●●

.. ثم.. ثم.. تجئ اللمسة الإنسانية الرائقة من الرئيس الذى لم يكتف بإيفاد مندوب لحضور المأتم.. بل تفضل واتصل بى تليفونيا معزيا، ومواسيا.. مؤكدا أن الموت علينا حق .. ولا راد لقضاء الله سبحانه وتعالى.

وقبل أن ينهى الرئيس المكالمة.. قال تذكر دائما قول الحق سبحانه وتعالى: «الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون»..

●●●

لا شك.. أنها كلمات.. تشفى الصدر وتساعد الإنسان.. على أن يعيد تكيفه مع الحياة من جديد.. وهوأكثر إيمانا.. وأصلب عودا.

●●●

أيضا لا يسعنى إلا أن أقول إن مواقف الذين أحاطوا بى ممن تربطنى بهم صلات مباشرة، أو غير مباشرة.. أو الذين لم أتشرف قط بمعرفتهم قبل ذلك، سوف تظل دائما، وأبدا.. طاقات من النور، والأمل أرجو أن تهدينى سواء السبيل.. ماحييت.

●●●

وفى النهاية تبقى كلمة:

لق أحسن الله سبحانه وتعالى ترتيب الكون.. أفضل ما يكون الترتيب.. لهذا فرض على الإنسان.. ألا يتوقف أبدا عند زاوية محددة.. وبالتالى كان لزاما علينا نحن البشر.. أن نمشى فى مناكب الأرض.. وأن نأكل من رزقه.. فإليه النشور.

٩٢/٩/٧

نموذج . . فريد

طبعا .. واضح أن مصر هى الدولة العربية الوحيدة التى تتحرك لمعالجة أزمة ليبيا مع دول الغرب.

الجميع بلا استثناء بعيدون أو متباعدون .. وكل واحد.. إما لا يريد الزج بنفسه فى الموضوع .. أو أنه وجد الفرصة سانحة لتصفية حسابات قديمة.

●●●

مصر والحمد لله ـ تسمو فوق كل الصغائر .. لا تؤيد إرهابا .. لكنها تبذل المستحيل لسد المنافذ أمام انتشار موجات جديدة من الإرهاب . ليست فى مصلحة العالم كله.

●●●

وهنا .. يثور سؤال مهم:

هل تراجع التضامن العربى إلى الحد الذى أصبحت فيه كل دولة تقول أنا ونفسى فقط..؟؟ والدليل ـ على سبيل المثال .. أن

الكويت مشغولة بأسراها وباحتفالاتها بأعياد التحرير .. بينما تركز قطر اهتمامها على خلافاتها مع البحرين .. التى وصلت إلى محكمة العدل الدولية ..؟؟ فى نفس الوقت الذى يحاول فيه السودان البحث لنفسه عن مخرج من العزلة التى فرضها على نفسه ..؟؟

●●●

لقد هدم الغزو العراقى للكويت فى أغسطس عام ١٩٩٠ -- جدران التضامن العربى بأكمله .. وكم تمنينا أن يعاد بناؤه من جديد بعد أن انتصرت الشرعية، وإرادة الإنسان .. غير أن كل النتائج ـ للأسف ـ أثبتت العكس .. وانصرف كل طرف إلى حال سبيله .. والأدهى، والأمر أن الشواهد لا تنبئ بأى خير.

●●●

إن مصر .. نموذج فريد .. ومسئوليتها لا تضارع فهى التى تدرك تماماً .. جدوى تحقيق السلام فى الشرق الأوسط .. وهى التى دافعت عن الكويت بدماء أبنائها .. وبأسلحتهم .. لأنها كانت تدافع عن مبدأ .. فى زمن أصبحت تباع فيه المبادئ بأبخس الأسعار .. وهى التى تفتح تليفزيونها لسفير الكويت وبجواره العلم لكى يتحدث ـ عبر شاشاته ـ عن الذكرى الأولى لتحرير بلاده ..!!

●●●

بالله عليكم .. من يمكن أن يفعل ذلك .. غير مصر.؟؟ لو لفوا الدنيا كلها .. ما وجدوا مثل تلك الأصالة .. وذلك الوفاء .. وهذا

التقدير البالغ لحقائق الأشياء .. ونحن - بصراحة - لا نبغى جزاء ولا شكورا من أحد..!

لا يعنينا فى شئ .. أن توثق دول الخليج علاقاتها مع إيران .. وإن كنا لن نتهاون من جانبنا فى الدفاع عن أى دولة من هذه الدول إذا استدعت الحاجة.

ولا يشغل بالنا أبداً أن يعقد البعض مقارنات خاطئة بين سلوك صدام حسين .. وسياسة معمر القذافي متعمدين إثارة تساؤلات خبيثة .. فالفرق واضح .. إذ يكفى أن ليبيا لم تعتد على دولة شقيقة .. كما أنها والنار مشتعلة تبدى تجاوبا مع المجتمع الدولى وقراراته بعكس العراق.

على أى حال .. سوف تستمر مصر فى رفع رايات الحق، والعدل، والسلام.. بصرف النظر ما إذا كان هناك أمل فى تحقيق تضامن عربى أم لا .. وإن كنا ندعو من الأعماق.. أن تتحرر النفوس من شوائبها حتى تتكاتف الأيدى .. وتنصهر العقول .. وتتآلف القلوب.

٩٢/٢/٢٩

لم يستوعبوا الدرس

أثبتت أزمة الخليج .. أن احتفاظ الدول العربية بأرصدتها فى بنوك أوروبا، وأمريكا.. ينطوى على خطأ كبير . إذ أن هذه الأرصدة معرضة للمصادرة فى أى وقت .. وكذب من قال إنها تتمتع بالحماية..! وطالما قلنا ـ والأزمة مشتعلة ـ لعل ما جرى كان درسا للمستقبل .. ونصحنا كافة «الأخوة العرب» .. بتحويل أرصدتهم إلى بنوك عربية باعتبار أن هذا أفضل بكثير.

لكن .. لم يستمع أحد ـ بطبيعة الحال ـ بل تدفقت الأموال إلى بنوك الدول الأجنبية بصورة أكثر .. وأكثر..!! وكأن الأزمة لم تفد بشئ..!!

.. ولماذا تفيد .. وكل الأمور فى شتى المجالات .. عادت إلى حالتها الأولى .. وبات الغزو العراقى للكويت .. مجرد حادثة عابرة .. أضيفت إلى سجلات تاريخ الأمة العربية الحافلة بالأحداث!!

●●●

أقول ذلك .. بمناسبة التهديد الذى تتعرض له «الأرصدة الليبية» فى بنوك أوروبا .. والتى أدت إلى قيام العقيد معمر القذافى ـ حسبما ذكرت صحيفة الفايناشيال تايمز ـ بسحب جزء كبير منها خشية أن تتعرض للمصادرة ..!!

.. والله أعلم .. ما إذا كانت ليبيا .. سوف تتمكن من تحويل كل أرصدتها إلى البنوك فى الدول العربية .. أم أنها ستصطدم بعقبات كبيرة .. طالما بقيت مشكلتها قائمة .. مع كل من أمريكا، وبريطانيا، وفرنسا ..!!

●●●

من هنا نعود لنكرر .. أن استثمار المال العربى بجميع صوره فى بلدان عربية .. يكفل له الأمان .. ويساعد على نمو عمليات الاستقرار، والتنمية فى تلك الدول التى يستثمر فيها .. مما يؤدى إلى فائدة مشتركة للجميع ..!

●●●

ما قيمة الحديث عن الوحدة العربية، والتضامن العربى، والإخاء، والصفاء، وتنقية الأجواء .. بينما الواقع يؤكد العكس ..؟؟

بصراحة نحن لا نريد أن نتعلم من التجارب السابقة أبدا ..!! فبالرغم من أننا نعترف بيننا وبين أنفسنا بأن الشعارات النظرية قد

عفى عليها الزمن.. ولم يعد لها مكان فى «العالم الجديد» .. حيث السيطرة، والغلبة .. لقوة واحدة .. إلا أننا مستمرون فى الإغراق فى الكلمات الحماسية، والألفاظ الرنانة..!!

●●●

ياسـادة .. إن تحـرير الإرادة، وبناء الإنسـان، والوحـدة، والتلاحم.. كل هذه «مسائل».. تحتاج إلى فكر، وعمل، ونوايا مخلصة صادقة.. أما وإن تقولون شيئا.. ثم تفعلون أشياء أخرى .. فتأكدوا بأن مهمتكم فى الحياة .. سوف تقتصر على مجرد تلقى «الصدمات».. تاركين للقدر .. مهمة التحكم فى مصائركم .. وهذه هى «الاتكالية» ؛؛ بكل مفاهيمها، ومعانيها..!!

٩٢/٣/٧

Wait and see
« ننتظر .. ثم نرى »

المفروض أن يبدأ غدا تنفيذ قرار مجلس الأمن رقم (٧٤٨) الخاص بفرض عقوبات على ليبيا .. وهو القرار الذى سوف تكون له ـ ولاشك ـ أبعاد كثيرة .. على المستوى المحلى، والقومى، والدولى .. وإن أشارت كل الدلائل إلى أن العرب .. وغير العرب سوف يلتزمون ببنوده . لأن الجميع فى نهاية الأمر لا يريدون أن يعرضوا أنفسهم لشبهة الاتهام بمخالفة القوانين، والقرارات الدولية .. بصرف النظر ما إذا كان القرار فى حد ذاته .. جائراً أم لا .. منحازاً لطرف دون آخر .. أم غير منحاز..!!

●●●

فى ليبيا .. يسود شعور بالاطمئنان إلى أن القرار لن يكون له أدنى تأثير على حياة الناس .. بل لقد سمعت العقيد القذافى يقول: «الجماهيرية العظمى» لا تخشى أحدا .. المفروض أن الآخرين هم الذين «يخافون» ..!!

عبدالسلام جلود .. مازال يعيش فى عالم النظريات، والشعارات الرنانة.. ويؤكد فى ثقة .. أن أوروبا .. ليست موافقة على القرار .. لكنها مضطرة لمسايرة أمريكا .. تطبيقا للمثل القائل: «أنا وابن عمى على الغريب».. رغم أن المثل أصله عربى..!!

المواطنون العاديون لا يبالون بشئ.. ولا يحملون هم المستقبل أبدا.. لأن اللجان الشعبية تكرر ليل نهار أن النصر سوف يكون حليف «الجماهيرية» . فى معركتها مع الغرب..!!

فى نفس الوقت الذى بدأت تتردد فيه اقتراحات سبق طرحها منذ اشتعال الأزمة.. تقوم على أساس تسليم المتهمين بتفجير طائرة لوكربى.. إلى «دولة ثالثة» .. يتم محاكمتها على أرضها .. لكن يبقى السؤال قائما:

.. أى دولة تلك التى تقبل ذلك..؟؟

الواضح - حتى الآن - أنه لا توجد دولة واحدة لديها أى استعداد .. لتزج بنفسها فى موضوع قد يجلب لها المشاكل..!

●●●

على الجانب الآخر .. يقول الأمريكان .. إن قرار مجلس الأمن الأخير حدد مهلة لليبيين .. تواترت أثناءها أنباء عديدة .. لم يمكن استخلاص موقف محدد بشأنها.. مما يتطلب معه تنفيذ القرار.. وبعد ذلك ننتظر ثم نرى .. «Wait and see».

●●●

لقد أصدر رؤساء أحزاب المعارضة فى مصر بيانا فى صورة برقيات قالوا إنهم بعثوا بها إلى الرئيس الأمريكى جورج بوش، والرئيس الفرنسي ميتران، وجون ميجور رئيس وزراء بريطانيا.. يطلبون منهم العمل على تأجيل تنفيذ قرارات مجلس الأمن، والتوقف عن إصدار التصريحات التي تحرض على القيام بأعمال عسكرية ضد ليبيا .. ثم ذيّل رؤساء الأحزاب بيانهم، أو برقياتهم.. بفقرة أخيرة تؤكد على إدانة الإرهاب..!!

وكم كنت أتمنى .. ألا تتاجر أحزاب المعارضة عندنا بهذا الموضوع .. لأننا ... بكل المقاييس ـ مع الشعب الليبى الشقيق .. أحزانه أحزاننا وأفراحه أفراحنا .. ونرجو من أعماقنا .. أن يطل علينا يوم غد .. وقد انتهت المشكلة من جذورها .. إما بمبادرة من ليبيا .. أو من الغرب..!!

١٤/٤/٩٢

أقتحام .. محسوب

اشتهر الرئيس حسنى مبارك بين زعماء العالم .. بأنه القادر على اقتحام المشاكل، ومواجهتها بواقعية، وصراحة، وجرأة، ومنطق .. وهناك إجماع دولى على أن مصر... فى عصر مبارك اختارت من النظريات، والمذاهب السياسية ما يتفق وقواعد الأخلاق، والضمير، والنقاء النفسى.

●●●

لاجدال أن الأزمة الليبية مع الغرب شائكة، ومعقدة .. لأسباب عديدة .. لعل أهمها أزمة الثقة بين الجانبين .. والزعم بأن عنصر الوقت كفيل بحلها .. زعم خاطئ .. إذ أن مرور الأيام والشهور يزيدها تعقيداً ..!!

ودعونا نعترف .. بأن كثيرين .. فضلوا سياسة الصمت .. قبل صدور قرارى مجلس الأمن رقمى ٧٣١ و ٧٤٨ .. وهما القراران

اللذان حددا أبعاد المشكلة .. وفى نفس الوقت عملا على زيادة الموقف سخونة..!!

●●●

لقد أدان مجلس الأمن فى قراره رقم (٧٣١) تدمير طائرة البان أمريكان فى رحلتها رقم ١٠٣، وطائرة U T A فى رحلتها ٧٧٢ ومانجم عن ذلك من خسائر فى مئات الأرواح .. كما أعرب المجلس عن استيائه الشديد لعدم استجابة الحكومة الليبية الكاملة والفعالة لطلباته التى تنحصر- باختصار- فى تسليم المتهمين بارتكاب الحادث.

ونص القرار (٧٤٨) الذى بدأ تطبيقه على فرض الحظر الجوى على ليبيا، وعدم وصول أو نقل أسلحة وذخائر لها، وخفض عدد ومستوى الدبلوماسيين الليبيين، والقناصل وسحب كل الرسميين، والوكلاء من ليبيا والذين يقدمون النصح والمشورة فى الشئون العسكرية .. طبعا إلى جانب التزام ليبيا بصورة قاطعة بعدم مساندة الإرهاب، ومنظماته.

وكثيرون أيضاً .. ساروا على نفس النهج بعد صدور القرارين .. بل إن القرار الأخير (٧٤٨) .. وأد فى نفس هؤلاء .. أية رغبة فى اتخاذ أية مبادرة..!

●●●

موقف مبارك الذى هو أولا، وأخيرا موقف مصر.. كان- ومازال- مختلفا تماما.. فالاتصالات، واللقاءات التى أجراها

الرئيس قبل صدور القرارين فاقت كل التصورات .. فى الصباح المبكر.. مكالمة تليفونية مع الرئيس الأمريكى جورج بوش.. وبعده كم هائل من أعضاء الكونجرس.. وعند الظهر الرئيس الفرنسى فرانسوا ميتران ومعه بعض أعضاء حكومته.. قبل منتصف الليل.. المستشار الألمانى هيلموت كول.. الرئيس الإيطالى .. ملك المغرب..

وبعد ست ساعات تبدأ رحلة «مكوكية» لا تستغرق أكثر من ساعات محدودة .. يلتقى خلالها الرئيس بالزعماء، والقادة، وكبار الشخصيات فى أماكن مختلفة من العالم.. يناقش، ويستمع، ويحلل، ويستوضح.. ويحدد إلى أين تتجه بوصلة التاريخ.

●●●

قبل صدور قرارى مجلس الأمن.. ركز الرئيس فى تحركاته على هدفين أساسيين:

أولا : استبعاد أى تدخل عسكرى ضد ليبيا.

ثانياً : تأجيل قرار العقوبات إلى أقصى حد ممكن.

هذه التحركات.. رسمها الرئيس بريشة فنية دقيقة.. باعتبار أن الظروف الدولية حاليا تختلف عن الماضى بكل المقاييس بعد أن أصبح العالم تحكمه قوة واحدة لا قوتان.. فى نفس الوقت الذى يجب أن تراعى فيه جيدا المصلحة العربية بصفة عامة ومصلحة شعب مصر بصفة خاصة.. هذا الشعب الذى يعيد بناء نفسه فى

شتى مجالات الحياة، ويواصل الليل بالنهار .. لعلاج مشكلاته الاقتصادية.

أيضا .. قامت تحركات مبارك.. على أساس أن مصر جزء من العالم الخارجي.. ومن المحال أن تعيش منعزلة.. وإذا كانت أوروبا تقف إلى جوار أمريكا.. فالمنطق يقول .. إنه يجب التعامل معهما وفقا للواقع القائم.. ووفقا لما تحكمه المنفعة المشتركة.

..وهكذا.. استفادت مصر من الرصيد الذى قامت بتكوينه تدريجيا منذ عام ١٩٨١ حتى اليوم.. والذى يستند إلى جسور المودة، والثقة التى أقامتها مصر مع كل شعوب العالم بلا استثناء.

●●●

وربما هذا.. يجعلنا نعود إلى الوراء قليلا.. عندما حرصت مصر على توجيه النصح للعقيد القذافي.. بألا يهاجم العالم الخارجي.. بل ويعمل على رتق الثوب المثقوب.. لأنه لابد وأن يأتي اليوم الذى تصبح فيه الحاجة ماسة إلى دعم من هنا، ومساندة من هناك.

.. ولقد كان..!! فعندما اشتدت وطأة الأزمة لم تجد ليبيا مؤيدين يتمتعون بثقل يحسب حسابه.. اللهم إلا مصر الجارة والشقيقة.!!

●●●

لقد نجح الرئيس مبارك - ولاشك - فى تحقيق هدفيه اللذين سعى إليهما منذ بداية الأزمة. حتى جاء يوم ١٥ أبريل وهو الموعد

المحدد لتنفيذ قرار الحظر ضد ليبيا والذى تم تأجيله عدة مرات مجاملة لمصر.. وتلبية لرغبة شعبها.. وإذا بالأخوة الليبيين يتلفتون حولهم.. دون أن يجدوا أحدا بالفعل.

●●●

لقد كانت مصر ـ كعادتها ـ صريحة منذ البداية حيث أعلنت أنها سوف تنفذ قرار مجلس الأمن.. لأنها لا ترضى لنفسها أن تكون مثار انتقاد المجتمع الدولي .. كما أنها تؤثر أن تبقى عزيزة دائما .. قوية فى كل وقت .. لا تشوب تصرفاتها شائبة.

وعندما أراد العقيد الليبى معمر القذافى القدوم إلى مصر.. جاء بطريق البر .. ليستقبله الرئيس مبارك .. ويبحث معه تطورات الموقف بعد تنفيذ قرار الحظر.

وبذلك .. كان الرئيس هو الوحيد الذى يقتحم المشكلة من جديد بعد ستة أيام فقط من تطبيق قرار مجلس الأمن .. ثم يبعث برسالة مباشرة إلى المجتمع الدولى المتمثل فى الأمم المتحدة.. وإلى الولايات المتحدة الأمريكية بصفة خاصة .. معلناً أنه يجب عدم التطرق إلى حل عسكرى.. لأن مثل هذا الحل لن يفيد فى العصر الذى نعيشه.. وإنما سيزيد الأحقاد، والضغائن.. ويؤدى إلى تعقيد الموضوع.

.. وهذا مبدأ الرئيس مبارك الثابت دائما.. الذى لم يحد عنه.. فالحرب ـ كما يؤكد ـ لا تحسم قضية.. والدماء حينما تسيل..

يصبح من العسير وقف الآثار الناجمة عنها.. على الأقل من الناحية النفسية .. وطبعا .. الرئيس يرى - على الجانب المقابل - أن الإرهاب لا يؤدى إلا لمزيد من الإرهاب.

●●●

إن مصر تعود لتؤكد من جديد .. أنها تقف بجوار الشعب الليبى رافعة رايات الشرعية، واحترام المواثيق والقوانين الدولية.. مستثمرة وضعها المتميز فى منطقة الشرق الأوسط، وعلاقاتها الوثيقة بدول العالم.. لمحاولة إيجاد مخرج للأزمة.

●●●

المهم الآن.. أن يتعاون الأخوة الليبيون مع بعضهم البعض.. وأن يتفقوا على رأى موحد.. ويصدروا قرارا واحدا.. يشعر العالم أنه يتعامل مع دولة.. وليس مع أفراد، أو لجان.. لأن «المؤسسات» فى كل مكان أصبح لها احترامها، وتقديرها.. وفيما عدا ذلك - فليصدقنى الأخوة الليبيون - يكون موضع انتقاد، وسخرية وتهكم.

●●●

وفى النهاية تبقى كلمة:

إن مصر - كما أعلن الرئيس مبارك - خطها واضح .. ولا تعرف الالتواء .. وكم نود أن تكون كل الأطراف كذلك.. حتى تغلق الأبواب .. أمام مزيد من العقوبات ضد شعب ليبيا الشقيق.

٩٢/٤/٢٣

مسرح دولى ضخم

أحسن تعبير قاله الرئيس حسنى مبارك عن المفاوضات متعددة الأطراف بين العرب، وإسرائيل.. أنها سوف تكون بمثابة مسرح دولى ضخم تطرح عليه قضية الشرق الأوسط برمتها.

ووجهة نظر الرئيس مبارك دائما .. ألا يضيع هذا الجانب أو ذاك الفرصة أبدا.. لأن المفاوضات هى الأسلوب الأمثل لحل المشكلة.. فالعرب.. يجب أن يتحلوا بالصبر.. بينما إسرائيل.. لابد أن تتخلى عن سياسة التعنت، والمكابرة.

●●●

ولقد تعودت إسرائيل .. توجيه «ضربة مفاجئة» قبل أى مرحلة من مراحل الحل السياسى.. بالضبط مثلما كانت تفعل أثناء شنها الحروب الخاطفة ضد العرب. ولعل قرار الحكومة الإسرائيلية بطرد ١٢ فلسطينياً من الأرض المحتلة خير شاهد ، وأبلغ دليل.. لاسيما وأنها لا تلقى بالا لكل النداءات الدولية وكأنها الوحيدة التى على صواب .. والعالم كله على خطأ..!!

المشكلة أن أزمة الثقة مازالت حادة وعنيفة .. فالعرب ـ بحكم تجاربهم المتعددة مع إسرائيل ـ يتوقعون أنها لن تعيد الأرض التى اغتصبتها لسبب بسيط .. أن اليهودى لا يفرط فى أى شئ بسهولة ..: على الجانب المقابل .. يتصور الإسرائيليون أنهم «كائنات» غير مرغوب فيها وسط الأمة العربية .. فى نفس الوقت .. فهم لا يطيقون مجرد اسم «منظمة التحرير الفلسطينية» .. التى تحظى ـ حتى الآن ـ بتأييد، ومساندة بقية العرب.

لكن مهما كان الأمر .. لقد أبدى العرب تجاوبا مع الحل السلمى .. حيث توجهوا إلى مدريد .. ثم إلى واشنطن .. بعكس الإسرائيليين الذين يضعون كل يوم عقبة جيدة، ويزرعون لغما جديدا .. ويكفى القرار الأخير بطرد الفلسطينيين .. إلى جانب الإصرار على الاستمرار فى بناء المستوطنات .. ورفض مبدأ الأرض مقابل السلام.

●●●

إن إسرائيل لا تريد أن تفهم أن الزمان قد أصبح غير الزمان .. وبالتالى فإذا كانت أمريكا فى حاجة إليها «كشوكة» فى منطقة الشرق الأوسط خلال مرحلة تاريخية معينة .. فإن هذه الحاجة قد انتفت الآن تقريبا ..! وإن كان ذلك لم يمنع جماعات الضغط اليهودية من ممارسة مهمتها داخل وخارج كواليس السياسة الأمريكية .. وطبعا ليس خافيا أن الرئيس الأمريكى جورج بوش قد

بدأ يواجه متاعب عديدة بعد تأييده العلنى .. لمبدأ الأرض مقابل السلام..!

●●●

وفى النهاية .. يبقى كلمة:

إن السلام من مصلحة إسرائيل.. ليس فى ذلك شك.. وهذا ما يعرفه جيدا اسحق شامير، ومؤيدوه.. الذين اختلفت نبراتهم إلى حد ما الآن.. وأصبحوا يتحدثون عن إمكانية إحراز تقدم فى المفاوضات.. خلال جولات قادمة من المفاوضات.. بصرف النظر عن عددها..!

.. ولابد أن العرب قد أيقنوا بأن عنصر الوقت ليس فى صالحهم وأن أى يوم يمر.. يعيد القضية إلى نقطة البداية.. إذن فالسؤال الذى يطرق الرؤوس بعنف:

.. وإلى متى.؟؟

.. وحتى تكون الإجابة منطقية.. ومتمشية مع مصالح الشعوب .. لابديل عن الاستمرار.. مهما كانت الصعوبات، والعراقيل..!!

٩٢/١/٧

علاج الخطأ .. بخطأ

ليس من العدالة فى شئ.. أن يعالج الخطأ.. بخطأ مثله.. لاسيما إذا كان الضحايا فى الأول.. وفى الآخر.. بشراً..!

طبعا .. من حق الولايات المتحدة الأمريكية .. أن تعمل على حماية رعاياها.. فى الأرض، وفى الجو، وفى البحر.. وأن تتخذ من الوسائل .. ما يكفل عدم تكرار أى حادث يرتكب ضدهم .. سواء بقصد، أو بدون قصد. بل إننا نتمنى أن تفعل كل دول العالم ذلك.. مادام الهدف الأول، والأخير.. الإنسان..!!

●●●

ولقد اتهمت أمريكا.. ليبيا بأنها وراء سقوط طائرة «لوكربى». التى أسرعت بالتالى بنفى التهمة عن نفسها بشتى السبل، والوسائل.

.. ولأن الاتهام جاء بعد عدة سنوات من وقوع الحادث.. فلقد أصرت ليبيا على إبعاد الشبهة عنها .. مطالبة بعمل تحقيق دولى .. فى نفس الوقت الذى تعهدت فيه بنبذ عمليات الإرهاب..!

●●●

طبعاً.. لا يعنى نفى ليبيا، أو تعهداتها الجديدة.. تبرئتها من القضية برمتها.. بل يكفى فى ضوء النفى، والتعهد.. إعادة النظر إلى حكومتها من خلال منظار مختلف.. فإذا ثبت أنها جادة فيما تقول، وتفعل.. يكون المجتمع الدولى قد حقق فوزا كبيرا.. أما إذا ثبت العكس.. فعندئذ.. لابد من مواجهتها بأدلة الإدانة الفورية.. وبالتالى لا مناص من الحساب.. بل، ومن العقاب..!

•••

على هذا الأساس .. لا يجوز للولايات المتحدة الأمريكية أن تفرض حظرا على تزويد الطائرات المدنية الليبية بقطع الغيار اللازمة.. إذ سوف يؤدى هذا إما إلى توقف تلك الطائرات عن العمل.. أو تعرضها للخطر أثناء الطيران.. مما يهدد بسقوطها.. ليلقى ركابها ـ الذين لا ناقة لهم، ولا جمل ـ مصرعهم .. حتى يلحقوا بركاب طائرة بان أمريكان التى سقطت فوق مدينة لوكربى باسكتلندا عام ١٩٨٨ .. والذين لم يكن لهم أى ذنب أيضاً..!

من هنا .. أعود لأكرر أن الخطأ .. لا يعالج بخطأ مثله.. إلا أنه يبدو أن الإدارة الأمريكية مصرة على الانتقام من ليبيا.. وهى إذا كانت قد استبعدت ـ ولو مؤقتا ـ الخيار العسكرى .. فقد اتجهت إلى الحظر الاقتصادى وبدأت بقطاع الطيران بالذات.. لكى يكون الأثر فعالا.. والنتائج مقاربة لنفس النتائج التى ترتبت عن واقعة «لوكربى» عام ١٩٨٨.

•••

في النهاية تبقى كلمة:

ـفروض.. بعد أن أصبحت أمريكا.. «الرجل القوى» الوحيد لعالم.. أن تتصرف بما يتلاءم ومركزها الجديد.. على الأقل اظا على اسمها، وسمعتها .. وحتى تكسب ود واحترام رين.. وليس العكس..!

ن الدنيا كلها تعرف أن «اليد الأمريكية» باتت طويلة.. وطويلة .. لكنها يجب أن تستخدم في الطريق الصحيح.. ودون استفزاز عر الشعوب..!

٩٢/١/١٧

صيحة الحق

اشتهر الرئيس حسنى مبارك عالمياً بأنه رجل دولة صاحب مبدأ.. لا يحيد عن الحق ولا يخشى المواجهة الصريحة تحت وطأة أى ظرف من الظروف. ولاجدال أن موقفه الاخلاقى والشجاع من أزمة الخليج كان عنوانا صادقا للسياسة النظيفة التى تستطيع مصر أن تفتخر وتعتز بأن قائدها هو الذى وضع أسسها المتينة والصحيحة.

●●●

منذ أن اشتعلت الأزمة بين ليبيا، وكل من الولايات المتحدة الأمريكية، وبريطانيا، وفرنسا بسبب سقوط احدى طائرات الركاب بالقرب من «لوكربى» فى اسكتلندا وتوجيه الاتهام المباشر - بعد ثلاث سنوات - إلى حكم العقيد القذافى بأنه وراء تفجير الطائرة فى الجو.. فقد صممت واشنطن على استخدام القوة العسكرية كنوع من الانتقام.. أو تلقين الدرس القاسى.. وهنا علت من جديد صيحة الحق التى تعود على اطلاقها الرئيس مبارك فى شتى المناسبات.

●●●

لقد حذر الرئيس الولايات المتحدة تحذيراً مباشراً من خطورة الأسلوب الذى تنوى اتباعه.. وقال صراحة أن هذا - لو تم - فسوف يزيد من ضراوة العمليات الإرهابية وليس العكس.. الأمر الذى يتعارض تماماً مع المصالح الأمريكية فى كل مكان وأيضاً مع مصلحة الدول العربية.

وهنا لابد من وقفة:

إذا كان مسار الأزمة الخليجية قد تغيَّر تماماً بعد إدانة مصر لغزو العراق للكويت وتأييدها بجرأة لعودة الشرعية وتحرير الأرض.. فإنه يمكن القول أن الله سبحانه وتعالى قد حمى منطقة الشرق الأوسط بصفة عامة والجماهيرية الليبية بصفة خاصة من أحداث جسام لم يكن فى وسع أحد التنبؤ بنتائجها الفادحة!!

●●●

الواضح أن الأزمة مازالت مستحكمة وأن كلا من واشنطن ولندن، وباريس تضمر فى أعماقها شيئاً ضد ليبيا ترى أنه كاف للانتقام.

على الجانب الآخر.. فإن العقيد معمر القذافى قد أعلن مؤخراً أكثر من مرة إدانته للإرهاب مؤكداً أن بلاده ذاتها كانت أحدى مؤكداً أن بلاده ذاتها كانت احدى ضحاياه. ولأن مصر أخذت على عاتقها عدم التخلى يوماً عن دورها العربى.. ولأن الرئيس مبارك نذر نفسه للدفاع عن قضايا السلام والأمن والعدل وحرية الانسان.. فقد بات طبيعيا أن يستثمر علاقاته الجيدة والمتميزة بكل

دول العالم أبلى استثمار ومنها العناصر الأربعة للمشكلة التى نشبت، مؤخراً.. أمريكا، وبريطانيا، وفرنسا من جهة.. وليبيا من جهة أخرى.

●●●

وفى النهاية تبقى كلمة:

لقد أبى الرئيس أن تكون مواقفنا سلبية فى أوقات الأزمات ولعل هذا سر تمسكنا بإقامة سلام دائم بين العرب وإسرائيل.. ولعله أيضاً وراء الجهود الخارقة التى بذلتها مصر ومازالت تبذلها حتى الآن من أجل مصلحة الشعب الليبى الشقيق.

ربما يكون البعض يعانى من قصور فى التفكير.. فلا يستطيع أن يقدر مواقف مصر حق قدرها.. لكن هذا لم ولن يؤثر من قريب أو من بعيد في ملامح الصورة التى رسمها مبارك للعالم العربى كما ينبغى أن تكون.

٩٢/٢/٢٦

لايتعلمون

يبذل نظام الحكم فى السودان - حالياً - جهوداً مستميتة «لغرس» أعضاء الجبهة الإسلامية فى كل المواقع.. مستخدماً الترغيب تارة، والإرهاب تارة أخرى.. ولعل أبلغ مثل.. ذلك القرار الذى أصدرته الحكومة مؤخراً بحل اتحاد الطلبة بعد أن فشلت الجبهة فى السيطرة عليه..!

المشكلة.. أن السودانيين جميعاً يعرفون بما لايدع مجالاً للشك.. أن هذه الجبهة برئاسة أمينها حسن الترابى.. هى التى تقبض على زمام الأمور فى البلاد في حين أن القادة السودانيين.. يقولون العكس..!!

كل الشواهد تؤكد.. أن العلاقات مع إيران تزداد توثقاً يوماً بعد يوم.. بينما ينفى «أهل الحكم» وجود تعاون «وثيق» فى أى مجال من المجالات..!!

●●●

حتى.. حينما فكر السودان، فى فتح منفذ ضيق من منافذ الديمقراطية.. قاموا بإنشاء ما أسموه بالمجلس الوطنى الانتقالى الذى يتكون من أعضاء معينين فقط.. إما ينتمون للجبهة الإسلامية.. أو متعاطفون معها.. وكأن «الانتخاب» قد بات نسيا منسيا..!!

والغريب.. أن عمر البشير رئيس مجلس قيادة الثورة فى السودان.. يقول: إن المجلس الجديد يعتبر بداية لتأسيس «الشورى الإسلامية»..!!

●●●

هكذا أفهموهم فى إيران.. وهم - انصافا للحقيقة - ينفذون النصائح والتعليمات حرفيا.. ودون مناقشة..!

طبعاً من حق كل فرد أو جماعة، أو نظام حكم أن يتخذ لنفسه القدوة التى يتخذ منها نموذجاً لسلوكه، وتصرفاته.. لكن أين شعب السودان من ذلك كله.. وألا يرى أمامه التجربة الايرانية.. وما خلفته من مآس، وكوارث.. أول من دفع ثمنها - ولايزال - الشعب الايرانى تحت سمع، وبصر العالم بأسره..؟؟

١/٣/٩٢

خذوا من صدام العبرة والعظة

أمر محزن.. أن تترك حكومة البشير فى السودان مواطنيها يقعون صرعى الجوع، والعرى.. بينما تتفرغ هى لتدبير المؤامرات ضد الجيران.. وضد الأخوة، والأصدقاء..!!

والسؤال الذى يدق الرؤوس بعنف:

.. ما الهدف من وراء ذلك..؟؟ هل «الأخ» عمر البشير مثلاً.. أصابه جنون الزعامة.. كما سبق أن أصاب غيره فى المنطقة العربية.. الذين حالت مؤهلاتهم، وشخصياتهم، واستعداداتهم دون تحقيق أهدافهم «الخيالية».. فارتدوا حيثما كانوا.. راضين بما قسمه الله لهم.. متجرعين سم الهزيمة..؟؟

كل الشواهد تؤكد.. أنه ليس فى السودان.. أو فى البشير.. ما يمكن أن يدفع خطوة واحدة للأمام.. فلماذا الاصرار إذن على السير.. فى عكس التيار..؟؟

●●●

هناك للأسف.. من يوهم رجال الحكم فى السودان بغير الحقيقة.. الأمر الذى اضطرهم للتورط فى عمليات غير نظيفة.. وفى الإدلاء بتصريحات.. لا يقدرون ـ بصراحة ـ على تحمل تبعاتها.. أو حتى فهم ما تنطوى عليه من معان..!!

لقد اكتشفت تونس.. أن الخرطوم تقوم بتدريب مجموعات من شباب المغرب العربى عسكرياً.. بهدف إثارة القلاقل فى تلك المنطقة وكان رد الفعل الطبيعى أن سارعت الحكومة التونسية بإغلاق سفارتها فى السودان لأن ما يجرى يعتبر تدخلاً فى شئونها الداخلية.

●●●

فى نفس الوقت.. تصدر من العاصمة السودانية بيانات تشجع سياسة العنف فى الجزائر.. وتلمح إلى أن دعاته، ومرتكبيه، هم أصلا «صناعة سودانية»..!!

ثم بلغ السيل الزبى عندما نسى وكيل وزارة خارجية البشير نفسه وأعلن منذ أيام.. بأن منطقة حلايب.. أرض سودانية.. وأن بلاده تملك من الوسائل التى تمكنها من الدفاع عنها.. مما دفع المتحدث الرسمى لوزارة الخارجية المصرية إلى إعادة التأكيد بأن القاهرة متمسكة باتفاقية عام ١٨٩٩ التى تنص على أن مثلث حلايب ـ شلاتين ملك لمصر.. مصر التى يعرف البشير، وأعوانه جيداً.. امكاناتها الهائلة.. التى تحقق لها ما تريد فى لمح البصر..!!

●●●

وفى النهاية .. تبقى كلمة:

نصيحة للأخوة حكام السودان: لا تخضعوا .. هذا الخضوع المهين لأوامر حسن الترابى، وتوجيهاته .. وتأكدوا أن عداءكم لأشقائكم العرب سواء فى المغرب أو المشرق .. سوف يعرضكم «الفضائح بجلاجل» .. وخذوا من «صدام حسين» العبرة، والعظة ..!!

٩٢/٨/٢

مغالطات.. البشير

على آخر الزمن.. أصبح عمر البشير.. يتحدث عن الحدود المصطنعة بين العرب.. وهو الذى أقام ـ منذ توليه المسئولية ـ سدودا منيعة بين الجيران، والأشقاء.

وعشنا، ورأينا.. البشير يزعم بأن مصر تختلق الذرائع لتفجير الموقف مع السودان.. بينما هو أول من يعلم.. بأن مصر حريصة كل الحرص على الشعب السوداني، وعلى استقراره، وسلامته.. وهى تعتز أيما اعتزاز بالعلاقات الأزلية التى تربط بين البلدين..!!

لكن.. تلك دائماً عادة الحكام الذين يفرضون أنفسهم على شعوبهم ويمارسون ضدهم ضغوطا ما بعدها ضغوط.. ثم يحاولون صرف الأنظار عما يفعلون.. فيفتعلون المشاكل دون سبب، ويثيرون قضايا فرعية ما أنزل الله بها من سلطان.

•••

إننا نقول للفريق عمر البشير.. ليست مصر هى التى تدارى، أو توارى.. بل العالم كله يعرف انها ترفع رايات المصارحة،

والمكاشفة مع الجميع .. ولقد أكدت ـ ومازالت تؤكد كافة الشواهد ـ على أنك مسلم زمام القيادة .. لحسن الترابى .. الذى يكره نفسه .. بحيث بات صاحب اليد الطولى .. عليه الأمر.. وعليكم جميعا السمع والطاعة.

إذن.. المشكلة ليست فى حلايب ـ كما تدعى القيادة السودانية ـ لأننا ـ بكل المقاييس ـ واثقون من قدرتنا على حلها ولعل هذه القيادة أول من يعرف.. بأن الحل ـ فى أى صورة من صوره ـ لا يستغرق وقتا..؟!

●●●

على أى حال.. سوف يظل الشعب السودانى.. أخا، وصديقا، وشقيقا للشعب المصرى.. ولن تقف أية عقبة سواء أكانت من صنع البشير أو الترابى فى طريق مسيرة الشعبين.. لأن الله سبحانه وتعالى يرعاها، ويحميها.

٩٢/٩/١١

حاكم السودان . . الحقيقى

معارضو البشير، والترابى في السودان.. يطاردون، ويسجنون، وتصادر أملاكهم..! والحكومة لاتجد أدنى غرابة في ذلك.. بل تضع التبريرات.. وتقدم الحجج الواهية.. ضاربة المثل بما يجرى اليوم.. وما كان يحدث بالأمس.. وطبعا البون شاسع.. لأن أى عهد من عهود السودان.. لم يشهد مثل هذا القهر، والعنت، والاستبداد الذى يعانى منه الشعب السودانى حاليا..!!

●●●

المتحدث الآن تقريبا باسم السودان.. هو حسن الترابى أمين عام الجبهة القومية الإسلامية الذى لايرضى أبدا بالديمقراطية.. ولايوافق على التعددية الحزبية. لأن توسيع قاعدة الحكم - من وجهة نظره - ينطوى على أضرار بالغة..!!

●●●

التجربة الوحيدة التى تحظى بتأييده وإعجابه.. هى التجربة الإيرانية التى وصفها فى مؤتمر صحفى عقده مؤخرا فى

نيويورك.. بأنها تجاوزت الواقع السياسى الجامد المتخلف المتمثل فى الامبراطورية..!!

من هنا.. فهو دائم الدفاع عن حكم الأئمة.. وعن تصرفاتهم وسلوكهم.. وطريقة معالجتهم للمشاكل الاقتصادية، والسياسية، والاجتماعية..!!

●●●

وحسن الترابى يزعم بأن السودان ليس معزولا عن العالم الخارجى.. ويضرب أمثلة بعلاقاته الجيدة.. مع أثيوبيا، وأريتريا، وكينيا، وأوغندا، وزائير..!!

وعندما قالوا له - فى المؤتمر الصحفى - إن تلك الدول لاتستطيع أن تقدم لبلاده ماتحتاجه من أجل التنمية.. قال عبارات مبهمة.. لم يفهم منها أحد شيئا..!!

●●●

«الإخوة السودانيون» المقيمون فى القاهرة.. والقادمون أيضا من الخرطوم وغيرها من المدن يثور فى نفوسهم سؤال مهم.. لايجدون له إجابة:

ـــ من الحاكم الحقيقى فى السودان الآن..؟! هل عمر البشير وزملاؤه أم حسن الترابى..؟!

كل المؤشرات تقول.. إن الأمور كلها بيد أمين عام الجبهة الإسلامية الذى يحرص على أن يردد دائما بأن السودان له

أجهزته التشريعية، والتنفيذية، والقضائية.. وطبعا الجميع يعلم جيدا.. كيف أصبحت تدار هذه الأجهزة.. ومن الذى يملك زمام السيطرة عليها..!

●●●

إن أى مواطن سودانى فى الخارج.. يفكر ألف مرة.. ومرة قبل العودة إلى بلده خشية اتهامه بالانضمام إلى فصائل «المعارضة».. فالمعارضة هناك.. بمثابة جريمة لابد أن ينزل بمرتكبيها شتى ألوان العقاب.. بلاحدود..!!

٩٢/٥/١٥

نتمــنى

أصبح الليبيون الآن.. يقرأون الصحف المصرية بشغف.. ولايشاهدون إلا برامج التليفزيون المصرى.. ولايستمعون إلا لإذاعة صوت العرب، والشرق الأوسط.

من هنا.. فهم يتابعون عن كثب.. كل ما يجرى عندنا.. وكثير منهم يكاد يحفظ عن ظهر قلب مقالات بعض الكتاب المصريين.. لاسيما التى تحمل أحيانا بعض النقد للحكومة، أو الصحافة الليبية، أو اللجان والمؤتمرات الشعبية بها..!!

وصلنا بالسيارات إلى قاعدة «جمال عبدالناصر» الجوية بطبرق لنستقل منها الطائرة إلى طرابلس - مكان عقد اللقاء بين الرئيس مبارك، والعقيد القذافي - فالحظر الجوى - كما هو معروف - قائم وفقا لقرار مجلس الأمن.. وبالتالى غير مسموح لأية طائرة تابعة لأى دولة فى العالم، بالهبوط فى مطارات ليبيا.. أو عبور مجالها الجوى..!!

●●●

استقبلنا فى القاعدة.. ضابط ليبى شاب برتبة نقيب.. رافقنا حتى «ميز» الضباط.. وما أن جلسنا على مقاعدنا.. حتى سأل عنى.. وما إذا كنت موجودا ضمن المجموعة أم لا..!

ورددت بالإيجاب.. وسط «قفشات» الأخوة الزملاء.. خصوصا جلال دويدار رئيس تحرير الأخبار الذى اشتهر «بصوته المرتفع».. والذى يزاملنى منذ نحو ثلاثين عاما.. عندما كان كل منا يغطى أخبار الطيران لصحيفته.. هو للأخبار.. وأنا للجمهورية.

●●●

لقد كتبت فى الآونة الأخيرة عدة مقالات.. علقت فيها بعنف على هجوم عبدالسلام جلود ضد مصر.. وأيضا على هجوم بعض الصحف الليبية.. وقد أحدثت تلك المقالات ـ وقتئذ ـ دويا لدى الجانب الليبى.. وإن كانت قد لقيت كثيرا من الاستحسان فى مصر..!!

●●●

أخذ النقيب الليبى يتحدث عن العلاقة بين مصر، وليبيا.. وكيف أن الأرض واحدة: والمصير مشترك.. والشعبين تربطهما وشائج المصاهرة، والنسب، والمودة منذ قديم الأزل.. مشيرا إلى أن ما أكتبه هو فى صالح تلك العلاقة.. ومن أجل تنقيتها من أية شائبة.. وأنه أبلغ مثل على الحرية، والديمقراطية.

ثم استطرد: لقد تابعت حديثك خلال شهر رمضان الماضى عندما كنت ضيفا على مائدة افطار إذاعة الشرق الأوسط.. وسعدت بكل ما قلت.. !! طبعا.. كل ذلك.. لم أكن أتوقعه.!!

●●●

أمضينا نحو ساعة كاملة مع النقيب الشاب داخل «ميز» الضباط.. ودعنا بعدها بحرارة إلى الطائرة.. أملاً أن نلتقى قريبا فى «الاسكندرية».. التى سافر إليها ١٨ مرة.. !!

●●●

فى طرابلس.. التقيت ببعض المحيطين بعبد السلام جلود.. الذين أصروا على أن نجلس لنتحاور.. ومكثنا حتى أذان الفجر.. نتناقش.. حيث استرجعوا «عبارات كاملة» من مقالاتى.. مؤكدين أن «الرائد» عبدالسلام لايمكن أن يتعمد فى يوم من الأيام الإساءة إلى مصر.. كل ما هنالك.. أنه تصدر منه أحيانا عبارات بصورة تلقائية.. قد يفهم منها عكس ما يقصده.

●●●

.. ويستكمل عبدالسلام جلود الحوار فيقول: نحن فى ليبيا.. لن نتراجع أبدا عن علاقاتنا مع مصر.. بالعكس لابد أن نعمل على دعمها.. وعلى إزالة أى عقبات تعترضها.. وأنا من جانبى.. أؤكد دوما على ضرورة حسن معاملة اخواننا المصريين الذين يعيشون معنا.. وتأكد أنه لو حدث شئ.. فلا دخل للقيادة به.. بل إنها تشجبه وتحاسب المسئول عن ارتكابه بشدة حتى لايتكرر مرة أخرى..!!

●●●

.. وتصافحنا.. وأنا أردد فى أعماقى:

لعل.. وعسى

٩٢/٨/١٤

.. ولكن .. كيف؟!

تحدث الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان بمناسبة عيد جلوسه عن «أمنيات عربية».. نرجو لها ان تتحقق.. لكن المشكلة.. كيف. ؟؟ فالأوضاع بصفة عامة لاتسر.. والعلاقات بين العرب.. والعرب.. تزداد تفسخاً.. يوماً بعد يوم..!

●●●

طالب الشيخ زايد - وله الحق كل الحق - دول مجلس التعاون الخليجي بالاهتمام ببناء قدراتها الذاتية، والاعتماد على أبنائها وإعدادهم إعداداً جيداً.

كلام منطقي مائة في المائة لأنه يحمل في طياته معاني عديدة.. لعل أهمها.. عدم تكرار الغزو العراقي للكويت.. أو غير الكويت..!!

●●●

لكن ما ينبغي أن نتوقف أمامه طويلاً.. أن دول مجلس التعاون الخليجي تنظر إلى مفهوم الأمن بمنظار مختلف.. وبالتالي لاتريد أن ترهق نفسها، ومواطنيها بما تعتقد أنهم ليسوا أهلاً له..!!

والدليل.. أن «أم المعارك العراقية».. كما يسميها صدام حسين.. مر عليها وقت ليس بقليل ومازالت القدرات الذاتية محدودة جدا.. فالقوات المسلحة ـ بصراحة ـ فى معظم دول الخليج.. «على قد حالها».. والشباب بصفة عامة.. لهم تطلعات مختلفة تماماً.. يقيسونها بمعايير.. غير المعايير..!

●●●

أيضا.. من بين «أمنيات» الشيخ زايد.. ألا تمتد يد العربى إلى شقيقه أو جاره.. بل ينبغى عليهما حل المنازعات، والخلافات بالحوار، والتفاوض..!!

والواقع يؤكد.. أن يد «العراقى» قد تطاولت حتى وصلت إلى الكويتى.. وانتهى الأمر.. ومن يومها اهتزت القيم.. واختلت الموازين.. بل الأكثر من ذلك.. أن «نية العدوان».. ما زالت مبيتة.. ولا أحد يعرف ماذا يمكن أن يخبئه المستقبل.. سواء بقى صدام حسين على قمة السلطة فى بغداد.. أو جاء غيره..!!

●●●

أما عن قرارات «الجامعة العربية» التى وصفها الشيخ زايد بأنها غير ملزمة.. وبالتالى تشجع الطامعين.. فإن اضفاء ميزة الإيجابية على تلك القرارات يتطلب ضرورة تعديل الميثاق.. وهذا ـ فى حد ذاته ـ أمل عزيز المنال.. إذ يستلزم رأياً واحداً .. وموقفاً مشتركاً.. فى زمن تشتتت فيه الآراء.. وتمزقت أوصال المواقف.

●●●

وفى النهاية .. تبقى كلمة:

إن الشيخ زايد بن سلطان.. واحد من حكماء العرب القلائل الذين يثقون فى امكانات، وطاقات شعوبهم.. ولايترددون فى بذل أقصى الجهد.. من أجل أن يحتلوا أماكنهم «المرموقة» على خريطة العالم.. تحميهم مظلة التضامن.. والتآزر.. والتعاون..!!

.. وهكذا يثور السؤال من جديد:

أنَّى السبيل..؟؟

٩٢/٨/١٠

قرار.. لامفرمنه

أقامت الحكومة النيجيرية فى العاصمة الجديدة «أبوجا».. قصرا لرئيس الجمهورية يزاول عمله منه.. ومبانى لبعض الوزارات.. وليس كلها.. وفندقين كبيرين.. أما باقى المدينة.. فمازالت شبه صحراء قاحلة..!!

والنيجيريون يتوقعون.. أن تكتمل كل مظاهر النشاط خلال خمس سنوات.. لاسيما أنهم يضعون فى خطتهم نقل الإدارات التنفيذية للمصالح، والشركات تدريجيا.. حتى يضعوا موظفيها أمام الأمر الواقع..!

●●●

ولم يكن أمام نيجيريا سوى أن تفعل ذلك.. وإلا تعقدت المشاكل الاقتصادية، والاجتماعية.. أكثر وأكثر، وهى التى هددت سكان العاصمة القديمة «لاجوس» منذ زمن طويل.. وإن كانوا هم أنفسهم الآن ليسوا متحمسين للانتقال..!

●●●

.. وتلك طبيعة المدن الجديدة.. فى كل زمان، ومكان.. فهذا ما حدث عندما قامت باكستان بإنشاء «اسلام آباد» لتحل محل كراتشى حيث استغرق الأمر عدة سنوات.. لكى تأخذ «العاصمة المختارة».. مكانتها، ووضعها، وسماتها العامة..!

●●●

الناس فى نيجيريا عموماً.. طيبون.. يرضون بالقليل.. ليست لهم طموحات كبيرة.. إذ إن كل أملهم أن تتوفر لديهم المقومات الأساسية للحياة.

طبعا.. مازال النظام القبلى.. هو الذى يحكم العلاقات بين الأفراد .. وهذا يحمل فى طياته النقيضين فى آن واحد.. فبالرغم من أنه يسهل للحكم القبض على زمام الأمور.. إلا أن كل مواطن يشعر فى أعماقه «بعشم» كبير نحو الحكومة.. وبالتالى يريد أن تكون كافة طلباته مجابة، وذلك أمر ليس هينا.. بكل المقاييس!

●●●

أيضا.. النيجيريون يتمتعون بأدب جم.. لايتحدث الواحد منهم إلا إذا طلب منه الحديث.. لكنه فى نفس الوقت يحافظ على كرامته.. ويرفض الاعتداء عليها بشتى الصور.. كما أنهم شعب يتذوق «الفن».. وقد ذكرونى بالبرازيليين الذين ما إن يستمعوا إلى «دقات الطبل».. حتى يتمايلوا معها فى أى مكان..!!

إن الجميع هنا.. يرقصون.. ويغنون.. وتعتبر «الدفوف» قاسما مشتركا أعظم فى شتى المناسبات.. حتى فى الوفاة.

●●●

ليست كل شعوب العالم الخارجى تشد اهتمام النيجيريين.. أما مصر عندهم فشئ آخر تماما.. فهم يتحدثون بعشق عن تاريخها، ونيلها، وحضارتها، وتقدمها المبهر.. !!

إنهم يقولونها بصراحة: لقد كنا نتوق إلى اللحظة التى تجمعنا. وسفينة مصر.. تلك السفينة التى نجحت فى أن تحافظ على توازنها، وثباتها، واستقرارها وسط أنواء، وعواصف عاتية.. والتى استطاعت أن تمخر عباب البحور على اختلاف أنواعها، وأشكالها. وهى رافعة فى شموخ وكبرياء.. رايات الحق، والعدل. والمساواة.

●●●

.. وهكذا.. كانت وستظل مصر دائما.. الرمز، والمعنى، والقيمة.

أما الذين يحاولون تشويه صورتها بقلوب تقطر حقداً وكراهية.. فهؤلاء.. قد انطفأت الأنوار من حولهم.. ولم يعد أمامهم من سبيل.. سوى تصحيح ما أفسدته عقولهم المريضة.. وإلا دفعوا الثمن باهظاً..!!

٩٢/٢/١

مناضلو الأمس.. أعداء اليوم

ليس متصوراً أبدا أن الأفغانيين الذين أمضوا سنوات طوالا يكافحون من أجل إقامة حكم وطنى.. هم أنفسهم الذين يتقاتلون، ويتصارعون.. فمن يفتدى أرض الوطن بروحه، ودمه.. لايمكن أن يسعى إلى مكسب ذاتى، أو مجد شخصى..!

●●●

لقد تطلع أبناء أفغانستان بشغف إلى اليوم الذى يبدأون فيه إعادة بناء بلدهم اجتماعياً، واقتصادياً، ودينياً.. بعد انهيار صنم الشيوعية البغيض.. فاذا بهم يفاجأون بأن «مناضلى الأمس».. هم الذين يقفون ضد أمنهم، واستقرارهم، وطموحاتهم.

●●●

إن القذائف الصاروخية المتبادلة لاتقيم مجتمعاً سوياً.. قوامه العدل، والحرية، والديمقراطية، وسيادة القانون.. وكم كان جديراً بالقادة الأفغانيين.. أن يجتمعوا حول مائدة واحدة يتحاورون.. ويتناقشون.. فى محاولة لإيجاد صيغة ترضى: كل الأطراف.

●●●

يقـولون: إن مظاهر الدمـار التى تشـهـدها حـالياً العـاصـمـة «كابول» .. أعم، وأشمل .. مما كانت عليه قبل فتح «المجاهدين» ..!!

فلامياه ، ولاكـهرباء ، ولاصرف صحـى .. حتى المحلات المتواضعة أغلقت أبوابها ..!!

●●●

ألهـذه الدرجـة .. يصل عنف الصراع على السلطة ..؟؟ وكـيف تهون المبادئ بين يوم وليلة .. فى سبيل السباق على مقاعد رئيس الوزراء ، أو الوزراء ..؟؟

إن الأسـمـاء ـ للأسف ـ عـديدة ، ومـتنوعـة .. وكـأن كل الناس يريدون أن يصـبـحـوا حكاماً .. أما المحكومـون فـقـد فـرض عليـهم القدر .. أن يعيشوا معذبين طوال حياتهم ..!!

لقد تفرغ هؤلاء للحرب .. متناسين الهدف الكبير الذى سبق أن ألف بينهم فى الماضى .. وبالتـالى سـوف تظل البـلاد خـائفـة .. مذعورة .. يطالب شعبها بالحماية .. فلايجد له نصيراً ، أو معيناً .

●●●

المشكلة أن الحـرب الأهلية .. قد تستـمـر سنوات .. وسنوات لأنها ستجد .. من يزيدها اشتعالاً .. كما حـدث ، ويحدث حـالياً فى بلدان كثيرة سقطت فى المستنقع .. ثم تعذر عليها النهوض ثانية .

ولا أعـتـقـد أن أحـداً ـ لاسـيمـا فى العـالم الإسـلامى ـ لايريد لأفغانستان .. سوى العزة ، والاستقرار ، والأمن .

٩٢/٧/٧

زيارة .. لأكل السمك

تستقبل البرتغال ١٥ مليون سائح سنويا.. معظمهم يجيئون.. لمجرد أن يأكلوا «سمكا».. من مختلف الأنواع.. والأصناف.. ومطهى بطريقة لايجيدها سوى البرتغاليين.. !! فالبلد ليس فيه من المعالم.. ما يمكن أن يجذب السياح.. اللهم إلا بعض التماثيل المنتشرة فى شوارع العاصمة.. وبعض المدن الكبرى..!!

ويقولون.. إن سياح أوروبا.. يفضلون البرتغال بسبب رخص أسعار الفنادق.. لكن لم ألحظ ذلك.. فمثلا يبلغ سعر الغرفة فى فندق مثل «الشيراتون» ما يعادل ٣٥٠ دولارا فى الليلة الواحدة.. وهو مبلغ خيالى لايكاد يكون موجودا فى أى مدينة أوروبية.. أو أمريكية..!!

●●●

على أى حال.. إن هذا البلد.. غريب فى كل شئ.. والدليل أن البرتغاليين أقاموا مستعمرات وراء حدودهم.. وغزوا دولا عديدة

فى أفريقيا، وآسيا.. مكونين شبه امبراطورية رغم أن تعدادهم وقتئذ لم يتعد الثمانية ملايين نسمة..!!

لقد اعتمدوا على أسطول بحرى قوى.. حقق لهم السيطرة على كل من أنجولا، وموزمبيق، وغينيا بيساو، والرأس الأخضر فى أفريقيا وجزر التيمور فى آسيا.. بينما الوطن فى الداخل ظل يعانى من مشكلات اقتصادية عنيفة.. أجبرت ما يقرب من ثلاثة ملايين على الهجرة إلى الخارج.. يسعون وراء أرزاقهم.. ليعتمد الاقتصاد القومى بنسبة كبيرة على ما يحولونه من عملات صعبة..!!

•••

فى حقيقة الأمر.. أتيت إلى البرتغال.. وصورتها مختلفة عما رأيته على الطبيعة.. فقد توقعت أن أرى بلدا لايرقى إلى مستوى أوروبا.. فاذا بى أفاجأ.. إن العاصمة تكاد تكون مماثلة لباريس، أو لندن، أو روما.. إذ إن نظافة الشوارع واضحة.. الرجال، والسيدات يرتدون أحدث ألوان «الموضة».. المحلات أنيقة.. تزخر بكل المعروضات..!!

المشكلة الأساسية.. أن الأسعار مرتفعة.. بل إنها تقفز من سنة إلى أخرى .. الأمر الذى سبب ضغوطا على المواطن لم يعد قادرا على تحملها..!! وقد فتحت البلاد الأبواب على مصاريعها.. للاستثمارات من كل مكان.. فانتشرت الركالات التجارية.. وأقيمت المصانع.. وبدأت بالتالى تظهر صناعات برتغالية مائة فى المائة..!

كل هذا تم فى خلال فترة وجيزة لم تزد عن أربع سنوات.. عندما انفتحت البرتغال على العالم.. وقررت التحرر من سيطرة القطاع العام وأصبح الاقتصاد الحر.. الركيزة الأساسية فى التعامل..!

●●●

أكثر من ذلك.. لقد لجأت الشركات الصناعية الكبرى فى أوروبا، وأمريكا.. إلى «العامل البرتغالى».. تقدم له مواصفات الانتاج.. لتخرج السلعة من بين يديه ـ حسب الطلب ـ .. بتكلفة أقل.. على اعتبار أن أجر هذا العامل أقل كثيرا من نظيره فى الخارج..!!

ولقد كانت تلك الشركات ـ ومازالت ـ تشكو من ضعف انتاجية العامل البرتغالى.. إلا أن المؤشرات تقول إن النسبة ترتفع تدريجيا.. بعد أن بدأ الجميع يوقن بأن زيادة الإنتاج، وتحسين نوعيته.. هما أساس الحياة.. فى الزمن الجديد.

●●●

وفى النهاية.. تبقى كلمة:

إن المستقبل.. تصنعه عقول، وسواعد أبناء الوطن الواحد.. وكلما بدت بشائر الخير تلوح فى الأفق.. تكاتفت هذه السواعد، وتفاعلت تلك العقول أكثر، وأكثر.

وتأكد.. أن الله لايضيع ـ أبداً ـ أجر من أحسن عملاً.. تلك قاعدة ربانية.. تنطبق فى البرتغال.. وفى السويد.. وفى مصر.. وفى اليابان.. بل وفى بلاد الواق.. واق..!!

١٨/٤/٩٢

فتحوا الأبواب . . والنوافذ

رغم بُعد المسافة بين القاهرة وبكين.. إلا أن الصينيين بدأوا يشعرون الآن أكثر من أى وقت بأنهم قرباء من المصريين.

ليس السبب الوحيد بطبيعة الحال.. تسيير الخط الجوى المباشر بين البلدين.. بل هناك عوامل عديدة أخرى.. لعل أهمها:

● أولا: متانة العلاقة بين القيادتين المصرية، والصينية واتفاقهما فى كثير من القضايا الدولية، والإقليمية، وتعاونهما المشترك من أجل الدفاع عن حقوق الإنسان.

● ثانيا: تطبيق البلدين لسياسة الانفتاح الإنتاجى بهدف تحقيق الرفاهية لشعبيهما.. وسعيهما الدؤوب لتشجيع مناخ الاستثمار.

● ثالثا: رغبة كل من رجال الأعمال المصريين، والصينيين فى إقامة مشروعات مشتركة سواء هنا أو هناك.. والتفاهم الكامل الذى يجمع بينهما فى سبيل تذليل أية عقبات، أو صعاب.

● رابعا: الدور المتميز الذى تقوم به مصر، والصين خلال الفترة التى يعاد فيها صياغة العالم الجديد.. نظراً لما تتمتع به كل منهما من امكانات، وطاقات، وثقل سياسى عالمى.

●●●

يبلغ تعداد الصين مليارا و٢٠٠ مليون نسمة تقريبا.. وطبعا عدد سكاننا لايقارن بالنسبة لهم.. إلا أنك لاتقابل «رسميا صينيا».. إلا ويقدم لك النصيحة: لابد أن تجدوا وسيلة فعالة لتنظيم النسل فى بلادكم حتى لاتصلوا إلى نقطة الخطر كما حدث عندنا..!!

والصينيون.. جربوا كل الوسائل الإيجابية، والسلبية بهدف مواجهة الزيادة السكانية الرهيبة.. لكن لقد سبق السيف العذل.. كما يقولون.. فماذا يمكن الرهيبة يفيد بعد أن وصلوا إلى مليار و٢٠٠ مليون..؟؟

●●●

لذلك .. هناك أزمة مستحكمة فى الإسكان.. والمواصلات.. والطاقة.. فى الوقت الذى تبذل فيه الحكومة قصارى جهدها بهدف إيجاد السبل الكفيلة بتخفيف المعاناة عن الناس .. ولعل هذا سر تطبيقها لسياسة التحرر الاقتصادى.. بعد أن ثبت أن أضرار الأبواب المغلقة أكثر من ميزاتها

٩٢/١٠/١٣

بناء الإنسان

لا شك أن الصين ظلت على مدى سنوات طويلة تعانى من صعوبات بالغة فى توفير الغذاء والشراب والكساء لهذا العدد الكبير من سكانها الذى وصل إلى مليار و٢٠٠ مليون نسمة.. لذلك.. كان لزاماً عليها أن تأخذ من الأرض أقصى ما عندها.. نفس الحال بالنسبة للبحر والجو.

●●●

أجروا دراسات وأبحاثا عديدة من أجل زيادة حجم المحاصيل الزراعية غير أن هذه الدراسات لم تحقق الهدف المطلوب حتى الآن.. إذ مازال متوسط انتاجية الفدان من القمح مثلاً لايزيد على ستة أرادب وهى نسبة متواضعة جداً مقارنة بالحال عندنا.. حيث يتراوح المتوسط ما بين ١٤، ١٦ إردباً وهو مالايعجب البعض الذين دأبواعلى الهجوم على أى شئ وكل إنجاز!!

●●●

يقولون عن الصينيين إنهم يأكلون جميع مافوق الأرض ماعدا السيارة.. وجميع ما فى البحار عدا السفينة.. وجميع ما فى الجو ماعدا الطائرة.. وبصراحة لهم عذرهم فأية ثروة حيوانية أو زراعية لا تكفى.. لذلك فإنهم تكيفوا مع جميع الكائنات الحية دون استثناء ولا يجدون غضاضة فى ذلك.

.. وعندما عرفوا أن هناك تجارب عديدة ناجحة من حولهم.. فى كوريا الجنوبية، واليابان، وسنغافورة.. قرروا أن يدخلوا نفس الميدان وبالتالى وجدوا فى «الأسر المنتجة» أفضل من يرفع مستوى المواطن ويزيد الدخل القومى بصفة عامة.

●●●

وزعوا مساحات محدودة من الأرض على أسر الفلاحين مقابل ايجار رمزى واشتروا الآلات والمعدات وأجروها لهم بمبالغ رمزية أيضا.. ثم هيأوا المناخ الملائم داخل القرية لاقامة أنواع شتى من الصناعات.. وكانت النتيجة أن عديداً من القرى التى طبق فيها هذا النظام بدأت فى تصدير ٢٠٪ من إنتاجها للخارج، والباقى يباع فى الأسواق المحلية.. فارتفع دخل الفرد إلى ما يقرب من ٥٠٠ دولار سنوياً بعد أن كان لايزيد على ٥٠ حتى فترة وجيزة.. وتوفرت العملات الصعبة وبذلك تحقق جزء من الأمل الذى طالما حلموا به.

●●●

لكن.. رغم سياسة الانفتاح التى أخذت الحكومة فى تطبيقها وما صاحبها من إقامة مشروعات مشتركة مع مستثمرين من أوروبا وأمريكا ورغم المحاولات التى تبذلها للحد من ارتفاع الأسعار.. الا أن المواطن الصينى يرزح تحت عبء مشاكل كثيرة لعل أهمها انخفاض مستوى دخله وعدم وجود أية وسيلة من وسائل الترفيه التى يستطيع من خلالها الاستمتاع بوقت فراغه بعد يوم طويل من العمل الشاق.. كما أن قدرته على التعبير عن رأيه محدودة لأن الدولة تعترف صراحة بأنها لا تسمح بممارسة أى لون من ألوان المعارضة..!!

نعم.. هناك ثمانية أحزاب صغيرة.. إلا أنها هى الأخرى تمارس دورها تحت مظلة الحزب الشيوعى.. واذا كان لأحدها وجهة نظر معينة حول قضية من القضايا فلا يمكن أن يثيرها إلا بالاتفاق مع الحزب!!

●●●

عموما.. أعود لأكرر أن الصينيين اختاروا أن تكون لهم رؤيتهم الخاصة وتجربتهم الاجتماعية الفريدة.. ولأنهم آثروا الابتعاد عن الاتحاد السوفيتى حينما كان فى أوج عظمته، وحرصوا على إقامة خط أحمر دائم بينهم وبين الولايات المتحدة الامريكية.. فهم يصرون على مواجهة الواقع بقدر كبير من التحدى مؤكدين أن النصر سوف يكون حليفهم فى معركتهم من أجل بناء انسان من طراز مختلف حتى لو استغرقت تلك المعركة مائة سنة.. أو أكثر!!

٩٢/٢/٢٤

التجربة الصينية

ارتبطت مصر مع الصين الشعبية بصلات وثيقة منذ عام ٥٦.. حينما اعترفت بها رسميا أمام العالم.. وبذلك كانت القاهرة أول عاصمة عربية وأفريقية تبادر بهذا الاعتراف.. في حين انحاز الكثيرون إلى جانب حكومة تايوان!!

أيضا.. ساندت مصر المطلب الصيني بالانضمام إلى الامم المتحدة.. ثم بالحصول على مقعد دائم في مجلس الأمن.. وبذلت مجهودات كبيرة في هذا الصدد.. ومازال الصينيون يذكرون هذه الجهود بالفضل والعرفان.

●●●

لذلك.. ما إن تولى الرئيس مبارك زمام القيادة في مصر حتى عمل على زيادة دعم الجسور بين البلدين مثلما فعل مع كل دول العالم.. وتوالت الاتصالات بينه وبين القادة الصينيين مما انعكس ايجابيا على شتى المجالات.. ثم جاءت أول زيارة له لبكين في شهر أبريل عام ١٩٨٣ وهي الزيارة التي اعتبرها الصينيون نقطة

تحول فى العلاقات بين القاهرة وبكين والتى قرروا فى أعقابها زيادة حجم التبادل التجارى مع مصر إلى ١٤٠ مليون دولار بعد أن كان لا يزيد على ٩ ملايين ونصف مليون جنيه مصرى.. وأعلنت الحكومة الصينية صراحة أن منافذ التعاون بين البلدين مفتوحة دون قيود.

●●●

ولقد اعتبرت الحكومات قاعة المؤتمرات التى تقبع فوق أرض مدينة نصر رمزا دائما للصداقة.. لاسيما وأنها قد أقيمت خلال فترة زمنية قياسية لم تستغرق أكثر من ثلاث سنوات.. فى نفس الوقت الذى أعلنت فيه بكين أنها لن تبدأ فى تحصيل أقساط القرض الذى خصص لإقامة هذه القاعة إلا فى عام ٢٠١٢م أى أنها رفعت فترة السماح خمس سنوات جديدة.. حيث كان الاتفاق يقضى بأن يبدأ سداد الأقساط اعتبارا من عام٢٠٠٧م.

●●●

من هنا عندما.. تتاح للصينيين فرصة الحديث عن مصر فإنهم يعددون مواقفها المضيئة والمشرقة.. ويشيدون بالسياسة التى ينتهجها الرئيس مبارك محليا وعربيا ودوليا.. كما أن جميع المسئولين فى الصين ـ على اختلاف مستوياتهم ـ يصفون هذه السياسة بالعقلانية والموضوعية والحكمة.. ولعل تأييدهم للموقف العربى فى قضية الشرق الأوسط ومساندتهم لمؤتمر السلام إنما

يرجع إلى ايمانهم بالتحرك المصرى المتجرد عن الهوى والذى يهدف إلى المصلحة القومية العربية قبل أى شىء آخر.

●●●

إن التجربة الصينية تحتاج إلى دراسة متأنية ومتابعة جادة.. اذ يكفى أنه فى الوقت الذى انهارت فيه قلاع الشيوعية فى أوروبا فإن الصينيين قد بالغوا فى الحماس لها وهم يعطون الحزب الأوحد جميع الصلاحيات وكل السلطة.. ولايتحرجون من القول بأن أية تنظيمات سياسية لابد أن تكون من خلاله!!

على الجانب الآخر.. فإنهم يطبقون سياسة الانفتاح الاقتصادى حيث فتحوا الأبواب للاستثمارات الأجنبية وأخذت تترد عندهم كلمات «التحرر» و«رفع القيود». و«القطاع الخاص».. وهى ألفاظ لم يتعودوا استخدامها من قبل.

●●●

على أى حال.. لقد ذهبت إلى الصين ضمن وفد مجلس الشورى.. وهناك ناقشت واستمتعت والتقيت بشخصيات عديدة مما ساعد على تكوين حصيلة كافية تتناسب مع بلد يبلغ عدد سكانه ملياراً و٢٠٠ مليون نسمة.. ويصر على التمسك بالشيوعية التى يرى فيها مصلحة هذا الكم الهائل من البشر!!

٩٢/٢/٢٣

تعريف جديد . . للشيوعية

استطاع .د. مصطفى كمال حلمي رئيس مجلس الشورى.. أن يقدم - والحق يقال - خلال لقاءاته بالزعامات الصينية فى كل من بكين، وشنغهاى.. عرضاً كاملاً وأمينا عن الأوضاع السياسية والاقتصادية، والاجتماعية فى مصر.. وموجزاً شاملاً لتطور العلاقات بين البلدين.

فى لقائه.. مع «يانج شانج كون» رئيس الجمهورية، ومع «لى بنج» رئيس الوزراء.. أو رئيس مجلس الدولة - كما يسمونه فى الصين - حرص د. مصطفى كمال حلمي على التركيز على عدة قضايا أساسية:

● أولاً: التأكيد على احترام الدولتين للشرعية الدولية، والقانون الدولى.

● ثانيا : اصرار مصر على تحقيق السلام العادل، والدائم فى منطقة الشرق الأوسط.. وحل القضية الفلسطينية وفقاً لقرارى

مجلس الأمن رقمى ٢٤٢ و ٣٣٨ وهو نفس ما تنادى به الصين، وتؤيده.

● ثالثا: أهمية تعزيز التعاون بين الجنوب، والشمال.. بما يساعد على إجراء حوار فعال بين الطرفين والعمل على حل مشكلة مديونية الدول النامية بما يتلاءم وظروفها.

● رابعاً: ضرورة قيام النظام الدولى الجديد على أساس الاحترام المتبادل لسيادة كل دولة.. ووحدة الأراضى، وعدم الاعتداء، وعدم التدخل فى الشئون الداخلية، والمساواة، والمنفعة المتبادلة، والتعايش السلمى.

● خامسا: تأييد دعوة الرئيس محمد حسنى مبارك من أجل نزع أسلحة الدمار الشامل من منطقة الشرق الأوسط.. وأهمها السلاح النووى، مع العمل على ايجاد صيغة جيدة تضمن عمليات التفتيش باحكام.

بفكره المرتب، وأسلوبه الرزين.. كان د. مصطفى كمال حلمى يطرح على كل مائدة اجتماع هذه الحقائق.. موضحاً.. كيف أصبحت مصر الآن بقيادة الرئيس مبارك.

على الجانب الآخر.. كانت أذهان كل المسئولين فى الصين.. مهيأة للاستماع إلى كلمات د. مصطفى كمال حلمى.. بحكم الرابطة الوثيقة التى أقامها الرئيس مبارك معهم جميعاً.. سواء من خلال زياراته لبلادهم أو عن طريق الاتصالات التليفونية المتبادلة.. فالصينيون يرون فى مصر تحت زعامة مبارك - شأنهم

شأن كل شعوب الدنيا - رمزاً للصمود، واحترام الذات.. وسط عالم لايخلو من الاضطرابات يحاول فيه الكبير التهام الصغير.. كما أنهم معجبون بالتجربة المصرية فى التنمية التى وضعت المواطن هدفاً أساسيا لها.. فتنافس مع حكومته فى سبيل دعم قواعد الاستقرار، ونثر بذور الأمن على أرض الوطن كله.

•••

قال الرئيس الصينى: مصر دولة تتمتع بمكانة كبرى فى أفريقيا، والعالم العربى.. وتلعب دوراً مهما فى تيسير دفة الأمور بالمنطقة.. وأتمنى من صميم قلبى أن يحرز الرئيس مبارك، وشعبه تقدما فى شتى المجالات.. إننى أسجل احترامى لهذا الرجل.. وللمصريين جميعاً.. الذين قابلونى بترحاب حار.. عندما نزلت ضيفاً عليهم.

وقال «لى بنج» رئيس الوزراء.. أو رئيس مجلس الدولة:

نحن نقدر اعترافكم ببلادنا رسميا عام ١٩٥٦ .. لقد فتح هذا الاعتراف - بلا شك - آفاق التعاون بيننا.. ونحن لا ننسى وقفتكم معنا فى دخولنا الأمم المتحدة، والحصول على العضوية الدائمة فى مجلس الأمن.

وإذا كانت الفترة من عام ١٩٥٦ حتى عام ١٩٨١ قد شهدت نماذج متباينة من القرب تارة، والبعد تارة أخرى.. من الحماس فى معظم الأحيان.. والفتور فى بعضها.. فإننا نعتز أبلغ اعتزاز بالعشر سنوات الماضية.. التى تجلت فيها الدبلوماسية المصرية

بأغلى صورها.. والتى أثبت خلالها «الزعيم» مبارك.. أن السياسة قوامها الأخلاق أولا، وأخيراً.

●●●

والصينيون.. رغم شعار الانفتاح الذى رفعوا لواءه مؤخراً.. فإنهم مصرون على «شيوعيتهم».. عازمون على عدم التخلى عنها - أو هكذا يأملون - .. وحتى يجدوا لأنفسهم المبرر.. وصفوها.. إنها «اشتراكية ذات خصائص صينية»..!

ولعل أبسط الخصائص - من وجهة نظرهم طبعاً - أنهم البلد الوحيد الذى يبلغ عدد سكانه ملياراً و٢٠٠ مليون نسمة.. فإذا فتحت أمام العدد الهائل نوافذ الحرية، والديمقراطية.. باتت السيطرة عسيرة بل مستحيلة..!!

لهذا.. فهم لا يجدون حرجاً عندما يقولون بالحرف الواحد: «لقد قمعنا أحداث الطلبة التى جرت عام ١٩٨٩م»..!!

٩٢/٣/٣

معارضة.. حكومية..!!!

حرص د. مصطفى كمال حلمى رئيس مجلس الشورى ـ خلال زيارته للصين ـ أن يقدم للقيادات الصينية . أعضاء الوفد الذى يرأسه.. كل منهم باسمه، وموقعه.. داخل المجلس؛ وخارجه.

وكان الرجل يفيض فى الحديث عن كل عضو.. حتى يعرف الجانب الآخر.. نوعية المستوى الذى يتعامل معه والخبرات التى يناقشها فى السياسة، والاقتصاد.

●●●

فى الاجتماع المشترك بين أعضاء الشورى المصرى وأعضاء المؤتمر الاستشارى السياسى الصينى شرح نائب رئيس المؤتمر الدور الذى يقوم به على مسرح الحياة السياسية.. مشيرا إلى أنه يضم فى عضويته ٤٣٠ ألف عضو تقدم إليهم التشريعات أولا قبل اقرارها من المجلس الوطنى الذى يعتبر أعلى سلطة فى الصين.

أكد نائب رئيس المؤتمر على عدم وجود حزب معارض فى الصين.. ولماذا المعارضة... على حد قوله ـ ومشروعات القوانين

الجديدة تجرى مناقشتها داخل المؤتمر الاستشارى الذى يتولى فى نفس الوقت.. ابداء «ملاحظاته» على عمل الحكومة..؟؟!

•••

تساءل النائب فى دهشة.. عما يمكن أن ينتج من آثار وخيمة.. إذا فرض وتصرفت المعارضة على هواها..!!

ثم أجاب هو نفسه عن السؤال:

طبعا.. لن يكون هناك استقرار، أو تنمية.. لأن الاثنين وجهان لعملة واحدة.

إن بعض دول الغرب مثل أمريكا - والكلام مازال على لسان نائب رئيس المؤتمر الاستشارى - تتصور أنه لامكان للحرية فى الصين.. كما أن حقوق الإنسان ضائعة، ونحن لانهتم بذلك.. لأننا مؤمنون بأن الحريات والحقوق متوفرة لدينا.. بصورة أوفر مما عندهم..!!

•••

على الجانب الآخر.. شرح د. مصطفى كمال حلمى مسيرة الديمقراطية والحرية فى مصر.. وكيف أن لكل مواطن الحق فى التعبير عن رأيه دون قيد.. وفى الانضمام إلى أى حزب يشاء.. واتباع أى فكر يروق له . بلا أدنى حجر..!

ثم تحدث باستفاضة عن مهمة المجلسين.. مجلس الشعب، ومجلس الشورى.. وطريقة اختيار أعضائهما.. التى تقوم أساساً

على مبدأ الانتخاب الفردى الذى يمارسه المواطنون بكل حرية.. إلى جانب نسبة محددة يتم تعيين أصحابها.

أنصت نائب رئيس المؤتمر الاستشارى وبقية أعضاء وفده باهتمام بالغ إلى ما قاله د. مصطفى كمال حلمى.. إلا أن النائب عاد يؤكد مرة أخرى على أن الأحزاب الثمانية الصغيرة الموجودة فى الصين ليست أحزاب معارضة.. بل إنها تشارك الحزب الشيوعى.. المسئولية، والسلطة.

●●●

هنا تجدر الإشارة إلى أن حسن اختيار الوفود المسافرة للخارج.. أمر مهم للغاية.. فبعد.. أن أنهى أعضاء مجلس الشورى مباحثاتهم مع نائب وأعضاء المؤتمر الاستشارى الصينى.. اقترح د. مفيد شهاب رئيس لجنة الشئون العربية، والخارجية والأمن القومى بالمجلس.. عقد ندوة فى مقر بيت الضيافة الذى ننزل فيه ببكين.. نطرح فيها آراءنا وتصوراتنا حول المناقشات التى جرت.. لاسيما فيما يتعلق بالمستقبل الذى ينتظر الشعب الصينى.. فى ظل «هذا العالم الجديد» الذى تجرى صياغته الآن.. وكانت ندوة استمرت إلى ما بعد منتصف الليل.

٩٢/٣/٤

يوم الصومال

نحن نحيي وزير الصحة والشئون الإنسانية بفرنسا.. على قراره باعتبار يوم ٢٠ أكتوبر .. يوما للصومال يقوم خلاله الأطفال الفرنسيون بتقديم معونات ومساعدات.. لأطفال الصومال الذين يتضورون جوعاً..!!

وهكذا ينعكس «الصراع المقيت» على الإنسان أولا وأخيرا.. فلولا الطمع، والجشع، والتكالب على مقاعد الحكم.. ما وصل الحال بالصومال إلى تلك الدرجة المؤسفة التى تصيبنا جميعا - نحن العرب - بحسرة ما بعدها حسرة..!

●●●

الغريب.. أن تلك الزعامات الواهية.. لا تريد أن تعى الدرس.. فمازالت.. تتقاتل.. وتفتح الأبواب على مصاريعها للسلب، والنهب، والسرقة بغير حساب..!!

ما ذنب الشعب الصومالى فى هذا كله..؟؟ ذلك الشعب الذى

يموت أبناؤه كل يوم بالآلاف.. وعندما تجيئهم المساعدات من الخارج.. تنقض عليها العصابات النهمة لتستولى عليها.!!

●●●

لقد أدلت طبيبة سويسرية موجودة فى الصومال لعلاج المرضى بحديث قالت فيه بالحرف الواحد:

لم أكن أتصور يوماً.. أن هناك نوعيات من البشر.. مثل أولئك الذين يفترشون أرض الصومال..!!

إنهم يفتقرون إلى أبسط مقومات الحياة.. ومهما بذل العالم من أجلهم.. فلن يعوضهم عما هم فيه.!!

●●●

من هنا.. نحن نهيب بالجماعات المتصارعة فى الصومال.. أن يتفقوا فيما بينهم على تأمين وصول امدادات الأطفال الفرنسيين سالمة دون اعتداء..!!

إن وزير الصحة الفرنسى.. يتوقع أن يجمع هؤلاء الأطفال ستة آلاف طن من الأرز.. لتوزيعها على مليون طفل صومالى جائع.!!

فهل تنتصر مبادئ الأخلاق مرة واحدة.. وسط هذا المناخ الردىء.. الذى سيطر عليه الحقد، والكراهية، والأنانية..!!

إنه مجرد رجاء.. كم نأمل ألا يضيع أدراج الرياح..!!

٩٢/٩/٢٧

يسرقون الأرانب.. ويموتون جوعاً وبرداً..!

أغرب، وأصعب، وأطرف خبر.. ما بعثت به وكالات الأنباء من جمهورية جورجيا إحدى جمهوريات الاتحاد السوفيتى (سابقا)، والتى شهدت خلال الأيام الماضية صراعا رهيباً على السلطة أدى إلى سقوط عشرات القتلى، والجرحى.. وهدم كثير من المنازل، واشتعال الحرائق فى مبانى الحكومة، وغير الحكومة..!

●●●

الخبر يقول.. إن «الأرانب» اختفت من حديقة الحيوان الرئيسية الموجودة فى العاصمة «تبليس» لأن الناس تحت ضغط الفقر، والحاجة، وارتفاع الأسعار.. وعدم وجود طعام.. هاجموا مبنى الحديقة والتهموا ما فيها من «أرانب»..!!

كما أضاف الخبر.. إن سعر الأرنب فى جورجيا - إن وجد طبعا - يبلغ مائة روبل.. بينما متوسط دخل الفرد لا يزيد على ٥٠٠ روبل.. وهذا يعنى أن المواطن هناك.. إذا اشترى خمسة أرانب

لا يجد فى جيبه بعد ذلك «روبل» واحدا.. يواجه به نفقات معيشته، ومعيشة أبنائه..!!

●●●

هكذا.. وصل الحال.. بأبناء دولة كان يطلق عليها صفة «عظمى».. حتى مدة قصيرة مضت..!! فالآن.. ليس لديهم استقرار.. أو أمان.. أو طعام.. أو شراب.. أو «كساء» يحميهم من لسعة البرد القارسة خصوصا، بعد اختفاء الوقود الذى يساعد على «التدفئة»..!!

●●●

إن الـ ٥٠٠ روبل.. التى أصبحت تمثل مستوى دخل الفرد.. لا تعدو.. أن تكون خمسة دولارات أمريكية بالتمام والكمال.. تصوروا الانسان فى هذه البلاد مطالب بتوفير احتياجات المعيشة بخمسة دولارات؟؟ ويقولون بعد ذلك.. «بيروسترويكا»..!!

وإعادة بناء..!! وانفتاح اقتصادى..!!

●●●

هل «إعادة البناء».. التى رفع شعارها ميخائيل جورباتشوف.. كان الهدف منها تحسين حياة الجماهير.. أو العكس»..؟؟

.. وما قيمة الحرية الاقتصادية.. التى تحمس لها «بوريس يلتسين» بعد استيلائه على الحكم.. إذا كان الناس سواء فى الاتحاد الروسى الذى يرأسه، وبقية الدول التى انضمت إلى «الكومنولث»..

أو التى لم تنضم.. يسرقون «الأرانب» من حديقة الحيوان.. ويموتون.. جوعا.. وبردا..؟؟

●●●

بصراحة.. إنه أمر يندى له الجبين.. أن تتدهور الأحوال إلى تلك الدرجة.. فى وقت تتبدد فيه كل بشائر الأمل..!!

لقد توقفت المصانع.. وانخفض إنتاج البترول بنسبة تصل إلى ٨٠ فى المائة مقارنة بعام ١٩٨٨.. حتى المطابع التى كانت تطبع «أوراق البنكنوت» تعطلت نتيجة تشغيلها بأقصى طاقتها.. رغم عدم وجود أى رصيد واقعى..!!

●●●

لقد رحل جورباتشوف ـ بعد كل ما فعل ـ فى هدوء..!! لكن المصير الذى ينتظر يلتسين، وبقية زملائه رؤساء دول الكومنولث.. سوف يكون قاسيا، ومريرا.. والأيام بيننا..!!

٩٢/١/٨

أزمة .. بلاحل

يحاول الآن بوريس يلتسين رئيس روسيا الاتحادية.. إيجاد مخرج للأزمة السياسية، والاقتصادية الخانقة التى تعيشها بلاده.. لكن الصعوبات تحيط به من كل جانب..!

سافر إلى واشنطن.. وقدم للأمريكان.. أكثر مما قدمه لهم سلفه ميخائيل جورباتشوف.. ويكفى قوله.. إن الصواريخ النووية.. لن تكون موجهة إلى أمريكا.. فى يوم من الأيام..!

كما بذل جهودا خارقة مع الفرنسيين لمنحه قروضا، ومنحا، ومساعدات، ومازال فى الانتظار..!!

●●●

فى نفس الوقت قام يلتسين بإجراء تعديلات «ساذجة» فى السياسة الاقتصادية لبلاده متصورا أنها تعمل على تخفيف وطأة المعاناة التى يعيشونها.. لكن الواضح أن المؤشرات تؤكد.. أنه لافائدة.. على المدى القريب..!!

●●●

مثلا: ماذا يعنى تخفيض ما يسمى «بالقيمة المضافة» من ٢٨ إلى ١٥ فى المائة.. على سلع غير متوافرة أصلا فى الأسواق..؟! بل ولن تتوافر أبدا فى ظل المناخ العام الذى تعيشه الآن كل دول الكومنولث وعلى رأسها روسيا الاتحادية..!!

●●●

إن معظم دول الكومنولث.. ترفض الآن.. أن تكون بمثابة «البقرة الحلوب» التى تصدر الخير لروسيا الاتحادية بدون مقابل.. أو بأثمان بخسة..! وشعوب هذه الدول، وحكوماتها يقولون: كفانا ٧٣ عاما.. ظلت موسكو تمتص طوالها دماءنا.. بلا مقابل..!

●●●

أيضا.. لم يتقبل أصحاب المعاشات فى روسيا الاتحادية - وهم يشكلون نسبة كبيرة - الزيادة التى قررتها الحكومة لهم منذ أيام.. لأن متوسط ما يتقاضونه.. لا يكفى لشراء زجاجة مياه غازية بعد تطبيق سياسة الاقتصاد الحر..!!

●●●

على الجانب الآخر - وهذا عنصر مهم - يعتبر الإنتاج فى كل المجالات شبه متوقف تقريبا.. فعمال المصانع، ومهندسوها، ومديروها، والخبراء، وعلماء الذرة.. كلهم هربوا من البلاد.. أو فى طريقهم للهروب..!! وهكذا.. تتأزم المشكلة أكثر.. وأكثر.. دون أن يعلم أحد.. أين يكون المصير..!!

٩٢/٢/٨

لاسمح الله جورباتشوف

طبعا .. لم يكن يتوقع مواطنو الاتحاد السوفيتى «السابق» أنهم حينما يتخلصون من كابوس الشيوعية.. سوف يتضورون جوعاً.. ويتسولون فى شوارع الدول المجاورة.. ويبيعون علماءهم وابتكاراتهم بأرخص الأسعار!!

لكن ــ للأسف ــ بعد أن تهاوت النظرية البغيضة بتطبيقاتها السيئة .. فوجئ الناس بانهيار كل شئ.. ولعل أبلغ مثل انهيار الإنتاج الصناعى بنسبة ٧٦٪ والزراعى بنسبة ٨٢٪.. وبالتالى لم يجدوا شيئا يصدرونه للخارج لكى يحصلوا من ورائه على عائد بالعملة الصعبة.

●●●

بكل المقاييس لن يرحم التاريخ أبدا ميخائيل جورباتشوف الذى استغرق فى بحور النظريات... وأحاط نفسه بوهج إعلامى زائف وصف من خلاله بأنه المصلح الاقتصادى والاجتماعى الأول.. صاحب نظرية «البروسترويكا»، والذى أراد تحرير بلاده اقتصاديا طفرة واحدة دون

مراعاة أى لون من ألوان التدرج فى الوقت الذى تمسك فيه بتلابيب الشيوعية.. فجاءت نهايته سريعا..

وعندما جاء خليفته بوريس يلتسين فتح الأبواب على مصاريعها من غير ضوابط.. متصوراً أن التحرر يأتى بين يوم وليلة فإذا بالخراب يعم أنحاء البلاد.

من هنا أقول.. إن أى معونات تحصل عليها دول الكومنولث الحالى وعلى رأسها روسيا.. سواء من الولايات المتحدة الأمريكية أو من صندوق النقد الدولى لن تكون سوى قطرة ماء فى محيط.. لسبب بسيط أن الجماهير فقدت حماسها وانتماءها بعد أن اكتشفت أنها ظلت مخدوعة على مدى ٧٤ عاماً من الزمان.. وباتت غير مستعدة للوقوع فى الفخ مرة أخرى مهما كانت نوايا من يقدمون المساعدة.

●●●

مثلا.. ماذا تجدى الـ ٦٠٠ مليون دولار التى وافق الكونجرس الأمريكى على تخصيصها لعلاج الاقتصاد الروسى المنهار؟؟.

ان هذا الاقتصاد ليس فى حاجة الى ٦٠٠ مليون دولار فقط بل الى عشرة أضعاف هذا المبلغ على الأقل.. فكيف يكون الحال إذن بالنسبة لبقية دول الكومنولث التى تتصارع صراعاً مريراً.. وكأنها تنتقم لنفسها من نفسها؟؟!.

٩٢/٨/٩

كشمير والوساطة المصرية

لم يكن أحد يتوقع أن النيران سوف تنطفئ.. فالجروح عميقة وغائرة.. وانتهاك الحرمات وصل أقصى مداه.. والرغبة العارمة فى الانتقام تضغط على الصدور بعنف.. والنائمون فى العراء يحتاجون إلى مأوى.. لكن «اليد قصيرة» - كما يقولون - والأزمة الاقتصادية المستحكمة.. تبدد الآمال فى الوصول إلى حل قريب.

●●●

هنا.. رأى المجتمع الدولى - ممثلا فى منظمة الوحدة الأفريقية - الاستعانة بالرئيس حسنى مبارك للتدخل بين كل من موريتانيا، والسنغال عسى أن يقف نزيف الدم.. وتهدأ النفوس - ولو لفترة محددة - لعل الظروف تصبح بعدها مهيأة للاتفاق على أسس التفاوض.

ولقد شاء القدر.. أن كان الرئيس مبارك - وقتئذ - رئيسا لمنظمة الوحدة الأفريقية التى تضم فى عضويتها الطرفين المتحاربين.

●●●

بدأ الرئيس اتصالاته.. مع كل من الرئيس السنغالي عبده ضيوف، والرئيس الموريتانى معاوية ولد أحمد الطايع ثم أوفد بعثة من وزارة الخارجية المصرية زارت كلا البلدين.. وقد دلت كل المؤشرات على أن الموقف صعب.. وأن الجارين قد انقلبا إلى عدوين لدودين لكل منهما حجته وأسانيده.. و«مشاعره المستفزة» تجاه الآخر..!

●●●

قرر الرئيس مبارك أن يقترب للمشكلة أكثر، وأكثر.. فقام برحلة سريعة التقى خلالها بالرئيس الموريتاني.. ثم بالرئيس السنغالى.. حيث عقد جلسة عمل مع كل منهما استغرقت نحو أربع ساعات أفاض خلالها الرئيس فى الحديث عن أهمية عودة الوئام والصفاء.. من أجل مصالح الشعبين فى موريتانيا، والسنغال.. مؤكدا على أن استمرار العداء لن يجلب إلا مزيدا من الخراب، الدمار فى وقت لا يتحمل فيه «الاقتصاد» .. هنا وهناك.. أية أعباء.

ولأن مبارك ينبذ الحرب وآثارها الدامية فقد ركز بعناية شديدة على أبعاد السلام، وأهمية تحقيقه، ثم وجوب المحافظة عليه مرددا مقولته الشهيرة «ما أسهل الحرب.. وما أصعب السلام».

●●●

غيرت رحلة الرئيس مبارك إلى نواكشوط، وداكار.. اتجاهات عديدة.. وساهمت إلى حد كبير فى نزع فتيل الاشتعال.. وأخذت

مشاعر الغضب تخفت رويدا.. رويدا.. الأمر الذى ساعد فى النهاية على مواجهة المشكلة بأعصاب هادئة ومن خلال مفاوضات، وحوارات.. سيطر فيها العقل شبه كاملة.

ويذكر كل من الموريتانيين، والسنغاليين للرئيس مبارك الفضل فى أنهما لم يتبادلا طلقة رصاص واحدة بعد أن أنهى الرئيس زيارته للعاصمتين الأفريقيتين.

●●●

ولأن الحياة بين البشر ... لا تخلو من المشاكل، والنزاعات، والصراعات.. ولأن حاجة الأفواه إلى الطعام تزداد إلحاحاً يوماً بعد يوم .. إلى جانب العشق الانسانى للزعامة، والسيطرة.. فقد كان من الطبيعى ظهور «مناطق ساخنة» فى العالم ..إذا لم يتم محاصرتها بعمق، وفهم، وموضوعية.. فسوف تدوى الانفجارات.. وتنطلق المدافع.. وتنفجر القنابل.. وفى النهاية يدفع الانسان الثمن..!! وما يجرى الآن بين باكستان والهند، خير شاهد، وأبلغ دليل..! لذلك .. اتجهت الأنظار إلى الرئيس مبارك.. الذى وصفه «بقس سومرو» وزير العلوم والتكنولوجيا بباكستان بأنه زعيم واقعى رفع بلاده إلى القمة .أقول اتجهت الأنظار إلى الرئيس مبارك ليتولى حل الخلاف بين الهند، وباكستان حول مشكلة كشمير.. لاعتبارات أساسية:-

● أولا :ـ لم يحدث أن هناك دولة فى العالم .. لها علاقات طيبة، ووثيقة بكل الدول سوى مصر.. التى يعترف الجميع .. بأنها استطاعت خلال العشر سنوات الأخيرة إقامة جسور متينة مع الشرق والغرب والشمال والجنوب.. قائمة على الاحترام المتبادل.. والمصالح المشتركة.. وعدم التدخل فى الشئون الداخلية.

● ثانيا:ـ استنادا إلى نفس المبدأ .. لقد احتفظت مصر بالمودة مع كل من الهند وباكستان.. رغم الخلافات القائمة بينهما.. وهذا ما أكده أيضا وزير العلوم الباكستانى الذى جاء إلى القاهرة موفدا خصيصا من قبل رئيس باكستان للرئيس مبارك.

● ثالثا:ـ كافة التجارب السابقة أثبتت أن جميع محاولات الوساطة التى قام بها الرئيس مبارك.. كللت جميعها بالنجاح نظرا لما يحظى به من تقدير دولى.. وها هى النار التى أطفئت بين موريتانيا، والسنغال.. أقرب مثل.

● رابعا:ـ تجرد الرئيس من أية نزعات ذاتية.. شجعت الأطراف المتنازعة على أن تجعل منه «حكما».. نظرا ليقينها المسبق.. بأنه لن ينحاز إلا للحق، والعدل ومصالح الشعوب .

● خامسا:ـ ما يتحلى به مبارك من حكمة، وهدوء أعصاب، وطول بال، وعدم انفعال.. تبث الطمأنينة فى النفوس.. بأن القضية التى اختير للتصدى لها لابد وأن تجد انفراجة مهما طال الوقت.. لا أن تصبح عرضة للتأزيم.. والتعقيد.

وفى النهاية تبقى كلمة :

ما أسعدنا نحن المصريين .. أن نكون دائما «الركيزة» .. لأية تحركات دولية.. لاسيما فيما يتعلق بحق تقرير مصائر الشعوب.. والدفاع عن حرية الإنسان والسلام، والعدل فى شتى بقاع الأرض. وكم نعتز ونفخر.. أن يشار إلى مصر بالبنان.. بحيث تحصل على شهادة كل يوم تؤكد ريادتها، وزعامتها، ومصداقيتها، وثقلها العالمى الكبير.

.. وأخيرا.. لابد أن يكون واضحاً جيدا .. انه إذا كانت هناك صياغة جديدة توضع الآن .. لعالم جديد.. فمن المؤكد أن الرئيس حسنى مبارك يشارك بإيجابية، وفعالية فى تلك الصياغة.. بما يعود بالنفع، والخير على جميع شعوب الدول النامية.

فهرس

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ٨٤١٠ / ١٩٩٧

I.S.B.N 977 - 01 - 5372 - 9